رجل عشقته النساء

بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب: رجل عشقته النساء

تأليف: أحمد النويرى

رقم الايداع / ٢٠١٦/٢١٢٢١

الترقيم الدولى / ٩٧٨-٩٧٧-٦٥٦٥-٤٢-٥

الطبعة الأولى ٢٠١٧



القاهرة: ٤ ميدان حليم - خلف بنك فيصل

شارع ٢٦ يوليو - من ميدان الأوبرا

٢٧٨٧٧٥٧٤ - ٠١٠٠٠٠٠٤٠٤٦

Tokoboko_5@yahoo.com

رجل عشقته النساء

تأليف

أحمد النويرى

الاهداء

المرأه غالبا هي المعشوقة والمخطوب ودّها.. تتبعها النظرات وهي من تلعب بالهوى.. وفى الرجال من تلاحقه النساء أو هو محظوظ بهن.

إليها وإليه أهدى هذه الرواية التى بنيت على الحقيقة ولوّنها الخيال وغذّتها الذاكرة

المؤلف

منصور: هذا هو اسمه كما قدّمه لنا صاحبه الذي يروي حكاياته مع النساء، هكذا مجرَّد من الكنية وربما أراد صاحبه إغفال كنيته، ليكون مبني على المجهول، تجنبًا لكشف الستر، ـ وستر الله باقي لمن أراد الله ستره ـ وحتى لا يعرف بين الناس، حين يقرءون هذه الرواية، فالرجل باق على قيد الحياة وله وجه وأثر بينهم، النقائص والهفوات وحتى الآثام والسيئات يغفرها الله، ويتجاوز عنها حين يتوب عبده ويتوجه إليه بالاستغفار والتوبة، أما العباد فلا يتجاوزون ولا يغفرون.

منصور حين يروي صاحبه جانبًا من سيرته الذاتية، بما فيها وصفه الشخصي وبعض الحيثيات الخاصة به، فهذه ربما تكون لازمة للتعرف عليه أكثر ـ منصور ـ بما فيها خاصيَّاته.

أخبر صاحبه الذي عاش معه عمره، فهما من حي واحد وعمر واحد، قال: إن الرّجل كثير الترحال منذ كان شابا حتى قبل ان يتقلّد وظيفة، قضى تلك الفترة وعمره لا يتجاوز العشرين، كان يرحل إلى المدن والبلدان الداخلية، في ربوع الوطن القريبة من سكنه، وحين شب وتيسرت أحواله ماديًا بفعل العمل الرسمي، ونوافل أخرى كان يحصل عليها من هنا وهناك حذقا واجتهادا، توفّرت له أسباب اعانته على السفر إلى خارج الوطن، فشَّرق وغرّب ينشد التعرّف على الأوطان والناس، الثقافات والمعارف، الخبرات والتجارب، وكانت السياحة والترفيه جانبًا حاضرا في هذا السفر والترحال.

يروي الرجل عن صاحبه فيقول: منصور كان شابا: أميل إلى الطول خفيف اللحم، أقرب إلى النحافة الغير مذمومة، بوجهه وأطرافه المكشوفة سمرة خفيفة، مسبسب الشعر، حلو قسمات الوجه، تنبسط أساريره فجأة حين يسمع لمحة فكهة، أو نكتة نادرة، أو خاطرة أو لمعة ذهن من أحد، وانت تخاله مستغرقًا في صمت كأنه يتأمل في غيبيّات، أو يعمل الفكر في مسألة ما، يضحك ابتساما لما يفرح أو يدغدغ المشاعر ويطرب، يطرب غافلاً عما يدور حوله، لأنه في الجمع كثير الصمت وإذا تكلم أنصت له الجميع.

الرجل: علم في محيطه بفضل شهرة اكتسبها من اجتهاده حين الدرس، وبعده في العمل، فهو مميّزا ممتازا في الحالين وكذلك عرف بكرم في غير سفه، ومروءة ونجدة في مواقف كثيرة بين معارفه، لا يؤذي أحدا بكلمة نابية، أو بوصف بذيء، سلم الناس من يده ولسانه، يقدّم لهم كل الخير حين يقدر، ويكف عنهم الشّر والعدوان، هكذا هي سيرته محمودة بين الناس، وسمعته طيبة وذكره حسن على ألسنتهم، وللرجل ايادٍ بيضاء على كثير منهم، هذا طرف من سيرته في التعامل مع الخلان والأصدقاء، والمعارف والأجوار، ومن في محيطه من مجائيليه، عبر حياته المديدة والتي تجاوزت الثمانين حتى الآن.

وفي طرف آخر من سيرته، يتعلق بذاته الشخصية أو بعض المقومات المادية، تنحصر في المتعلّق باللباس والنظافة والسلوكيات العملية نحو الآخرين، كالاحتفاء والاستقبال والترحاب وحسن الخطاب وتقديم

الخدمات، وكل ما يدخل تحت بند الأصول (الأتكيت).

هو رجل نظيف المظهر جسما ولباسا، يعتني بنظافته الجسمية ولباسه ومظهره العام، فمن حيث اللباس، ينتقيه بعناية وحسن ذوق، يحرص على أن يكون منسّقا ولافتًا للنظر حتى ولو لم يكن غالي الثمن، فهو يختار الذي يلائم جسده وبشرته، يحرس على التنسيق قبل كل شيء، يختار القميص وما يناسبه من رباط العنق، وما يتماشى مع السترة والبنطلون وكذلك الحزام والحذاء، ولا ينسى دائما أن يصفّف شعره الأسود المسبسب اللامع بطريقة تثير الإعجاب، ناهيك عن عطر رجالي يتفرد به يكون نادرًا في الغالب ولو كان غير ثمين، فهو يعد العطر مدخلا سحريا إلى عالم الأنثى.

هكذا هو منذ شبابه الباكر اتبع أسلوبا خاصا يتعامل به في دنيا النساء، يبدّل ويعدّل فيه حسب الظروف، وبما يقتضيه الحال نحو كل منهنّ، يدرس إستراتجيته وخططه للإيقاع بالهدف قبل الاقتراب منه، درسًا وافيا محكما ثم يرمي فيصيب ولا يخيب أبدا.

كانت البداية محلية، في وقت قبل أن يرحل خارج الوطن، وفي مقتبل الشباب، ليس في المدينة وإنما في الريف على وجه التحديد، اللقاء كان صدفة، والمعرفة سابقة مجرد معرفة ليست عن قرب، هي أكبر منه قليلا وأنضج، كان اللقاء والسلام باليد في الأرياف والبادية مباحًا، مدّ كل منهما يده في لحظة واحدة، لم يغض كل منهما الطرف، فأصاب شعاع

العين الشعاع، كان منه الأقوى، سحبت يدها وقد أحست بأنها طالت في يده أكثر من المعتاد، ولّت وولى كلٌّ نحو وجهته، تباعدا قليلا، التفتت، وهو يعرف أنها ستفعل، هي عادة المرأة، لذلك احتاط أن يلحظها دون أن تفطن، هكذا كانت البداية، وضعته في رأسها، أخذت تفكر فيه كل حين، ألحّ عليها هاجسها، ليس لها مناص من حسن التدبير، تحيّنت الفرص حتى كان اللقاء الثاني.

حين سلّم عليها في المرة الأولى أحس بشيء ما يسري في كيانه، شعر باضطراب يهزّه، تصور أن يكون قد أصابها ما أصابه، وما أصابها كان أشد وأقوى لو يعلم.

وتمر الأيام يوما بعد يوم، والخيالات والتصورات تنهال عليها، وكذلك تنقضي الليالي والسهاد يؤرق جفن صاحبته، لم تعد تطيق صبرا، هيئت لها الظروف موعدًا للقائه التقت به مرة أخرى، كانت في هذه المرة أكثر ثباتا وجرأة، سلمت وتبسمت، وفاهت ببضعة كلمات كلها تدور في ذلك الرغبة والهوى، تغابى هو عن قصدها وما ترومه، وأظهر لها الفرحة والاحتفاء بها، ولم يزد عن كلمة قالها: أنت جميلة يا... نزعت يدها من يده في شبه احتجاج عن تغابيه ثم دارت حوله، وفي جرأة نادرة عند المرأة: داست فوق رجله وتعمدت أن تكون شديدة بكل ثقلها، بوغت هو وضل صامتا ينظر إليها في شبه إنكار وإعجاب، قالت له:

ألا تفهم؟!

الظرف غير موات ولا المكان.

دبّر المكان.. واختر الظرف.

هذا ما سأفعله.

قريبا.

هو أملي ورغبتي.

افترقا وكل منهما يهزّه الشوق إلى صاحبه، وكل في رأسه تصورات وأفكاره تتبعها هواجس وتوجسات، على أن الفكر الأكثر كان ينصب على التدبير، دبّرت ودبّر هو، وجاء وقت الحسم، قضية يجب الفصل فيها مهما كان الثمن، والتقت به، فكانت الجولة، سجّلت هي فيها النقاط، وكانت الضربة القاضية له: ضربة الانتصار، لم تقنع هي بالانتصار عليها فتوعدته قائلة: ستكون لي لعبة أخرى معك ولو طال الزمن.

كانت الرحلة الثانية خارج الوطن، إلى قُطر ما بعد القطر المجاور ـ الأولى كانت سلبية في عالم النساء ـ المناسبة كانت الذكرى الأولى لاستقلال ذلك البلد، والمهمة كانت رسمية، حيث التقت عديد الوفود من أقطار عربية وأجنبية في مؤتمر عام.

كان لمنصور كما يروي صاحبه، رفيق أزهري محافظ، جلس منصور ورفيقه، في تراس يعلو مقهى فاخرا في مساء يوم خال من أشغال المؤتمر، وكان صاحب منصور مستغرقا في قراءة جريدة، تصدر ذلك اليوم تأتي على أخبار المؤتمر، وكان هو يمسح بناظريه مقاعد التراس المتناثرة في

فضاءات متباعدة في تنسيق متعمّد، وقع نظره على سيدة تجلس بمفردها كأنها تنتظر أحدا، ترك صاحبه يمارس هوايته المفضلة، وانتقل إلى حيث تجلس السيدة، حيّاها وطلب منها إذا سمحت له بالجلوس، قالت: وكيف تترك صاحبك؟ هل ضائقك وهو يقرأ كتابه بيمينه؟! وتبسّمت تعني شيئا آخر.. قال: هو ما قلت، إنه رفيق يثقل عليّ بهوايته هذه، إنه في الحقيقة لا يجيد الصحبة ولا يجامل حتى في ساعات الراحة والاسترخاء، والاّ هل هذا مكان للقراءة؟! لكن الناس في ما يعشقون مذاهب.

قالت:

وأنت ما هو مذهبك؟ أليست لك هواية ما؟

هوايتي الأنس، ومذهبي الانشراح والترويح عن النفس ما وجدت إلى ذلك سبيلا، نحن خلقنا لنعيش الحياة، العمر قصير والدنيا مليئة فرحا وسعادة، وهي فرص لا تطرق بابنا دايما، ونحن نفرط فيها حينما تأتي.

صدقت فيما تقول، نحن لا نغتنم ساعات الفرح، وأحيانا كثيرة نفرّط فيما تقدمه لنا الحياة من أسباب السعادة والسرور.

قدّرها أربعينية العمر، وكان هو تحت الثلاثين، كانت عبلة الجسم، ولم يتبيّن طولها حيث كانت جالسة، لكنّها حين قامت وقام ظهر له طولها الفارع ورشاقة جسمها وحسن قوامها، واكتشف فيها بعد المزيد من مقومات الفتنة والجمال.

ضل وقتا يحادثها وتحادثه بعد أن اطمأنت إليه واستأنست به، وحرّك فيها عاطفة كانت مخبوة فتفجّرت فجأة بسبب قوة شخصيته، التي أسرتها بعد وقت وجيز، الرجل في عينيه سر، وفي لسانه سحر، وفي حركات يديه وإشاراته وبسمته، وانتقائه الكلام تأثير وأي تأثير، امتز كيانها، واضطربت جوانحها، وانحلت أوصالها رويدا رويدا، حتى قالت:

من أنت يا رجل، وكيف استولى عليّ سلطانك واحتويتني بهذه السرعة، ولم يمر على جلوسك معي إلاّ وقتا يسيرا؟!.. هل أنت من السحرة؟!.

أنا رجل ربما يعجب الأنثى.

وأي رجل.. أنت تحركها.. تذيب الحديد، وتفتت جاعود الصخر، وتسحر دون سحر، أو أنا واهمة؟!

أنت وتقديرك.. أنا لا أرى في نفسي إلاّ رجلا يحترم المرأة ويحتفي بها ويقدّرها، ويعشق فيها الجمال والفتنة.

وهل أنا فاتنة وجميلة؟

أنت كل: الجمال والفتنة.. يكفيك هذا القوام الآسر، والجمال الرائع بتفاصيله: العينان السوداوان الواسعتان، كأنك من أصل شرقي، وهذا الوجه وكأنه قمر منير، وكم هي حلوة الشفتان، وهذا الأنف الدقيق والشعر الفاحم، والعنق الطويل العاجي، وهذه القلادة الذهبية التي لا تُزينه، وانما يُزينها.. ياه.. وهذه النجمة السداسية نجمة سيدنا سليمان.

وهل سليمان سيدك كما قلت؟ ومنذ قليل سألتك قلت لي إنك مسلم.

نعم.. سليمان سيدنا، وإبراهيم وداود ويعقوب وعيسى وموسى، كلّهم سادتنا كما هو محمد سيدنا ونبيئنا، نحن لا نفرق بين أنبياء الله ورسله كما أمرنا الله أن ديننا الإسلام يعترف بكل الأنبياء والرسل والكتب المنزّلة وبمحمد خاتم الأنبياء والرسل.

هنا نختلف معكم.

لأنكم تكابرون.. دعينا من هذا، نحن الآن في موقف آخر، والجدال في مسألة قد لا نلم بها أنا وأنت كل الإلمام، ولنترك هذا لأهل العلم والاختصاص.

صدقت.. هذا ليس وقته، ولا هو مجالنا.. نسيت أن أسألك عن اسمك.

أسمي موسى.

ياه.. وتتسمون باسم نبيئنا؟!

نحن نتسمي بكل أسماء الأنبياء، لأننا نعترف بهم.. إن من أسمائنا نحن المسلمين: موسى وعيسى وسليمان وداود وإبراهيم ويعقوب ويوسف وحتى عمران وزكريا ويحيي ومريم من عباده الصالحين.. وأنتم لا تسمون أبناءكم باسم محمد.. فأنتم جاحدون.

هذا صحيح.. أعني لا نتسم باسم محمد، لكننا نكتبه في أسفارنا.

حين تحرّفون رسالته.

دعنا من هذا كما قلت أنت.. سيفضي بنا هذا الجدل إلى أن نختلف،

ثم نفترق، وهذا ما لا أرغب فيه من جانبي.

وأنا أيضا... أنت بالنسبة لي اليوم فرحة كبرى، وقد مللت صاحبي وملّني.. فمنذ ثلاثة أيام وجهي في وجهه ولا شيء بيننا إلاّ صحيفة أو كتاب.

ما رأيك ان تكون ظيفي هذه الليلة، ليكون حديثنا وجلوسنا بعيدا عن فضول الآخرين، ورقابة الأعين المتطفّلة، وحريتنا هناك في داري مطلقة.

عين الصواب.. عن إذنك لحظة واحدة أستأذن صاحبي وهو لا يمانع ما دام يخلو بصاحبه الكتاب.

تحول منصور الذي أصبح معروفًا باسم موسى لدى صاحبته اليهودية المولودة في تلك البلاد بعد أن هاجر إليها أجدادها منذ أكثر من مئة وثلاثين عاما ضمن موجة استعمارية معروفة.

قال لصاحبه:

أنا سأتغيب عليك ساعة من زمان فلا تنشغل عليّ.

ستجدني في الفندق.. قالها دون أن يرفع نظره عن الصحيفة.

خرج موسى وجوزفين من المقهى ـ كانت هويتها فرنسية واسمها ـ قصدا بيتها في شقة فاخرة في شارع جانبي قريب.

أخرجت مفتاح الشقة من حقيبة يدها وفتحت الباب، سبقته إلى الصالة تتفقدها، وتبعها هو يخطو وراء خطوات متمّهلة مأخوذًا بأناقة الشقة، الذي طالعه بمجرد أن توسط البهو.. التفتت إليه.. بعد أن اطمأنت إلى حسن ترتيب كل شيء في غيابها، الذي قامت به سيدة

تستأجرها كل يوم أحد تخرج فيه عادة إلى المقهى ـ وقالت:

تفضل مرحبا بك ومكرّما.

أشكركِ وأتمنى لك نعمة وخيرا أكثر، وأحسد هذه الأثاثات التي تستعملينها وتجلسين عليها وأغير منها.

ضحكت ثم قالت:

هل هذا غزل أم استدراج إلى مأرب خاص؟؟

الاثنان معًا.. لكن ما رأيك أنت، أن فضل ونعمة كهذه. هو حظ ساقته لك السماء وأنت جديرة به.

هذا من فضل رب موسى.

ورب محمد إنك تستأهلينه.

اجلس يا أخي، ودعنى ألتقط أنفاسي أنك تأسرني بالإطراء الذي ربما لا أستحقّه.. حتى بيتي تتغزل به.. ألا تخاف أنني أغير؟!

اجلسي أنت قبلي ولا تغيري.. فكل شيء هو لكِ الغزل كلّه لك وبيتك جزء منك.

وجلست وجلس قبالتها، يغرق وتغرق في فوتيل فخم، ثم همت أن تقوم لتقدم له واجب الظيافة، قال لها: إلى أين مكانك من فضلك، دعيني أتأمل أجمل ساقين وقع عليهما نظري.

ضحكت بصوت ثم قالت:

لا تسوقني من فضلك إلى الغرور، بهذا الأسلوب الساحر الذي

لا يقاوم.. أنا لا أعرف كيف تكون ردّة فعلي تجاهك في هذه اللحظة.

لا تكوني شرسة.. ترفّقي بي من فضلك.

وانت لا تزيد في غوايتى.. لقد جعلت في كلامك: العسل المصفى فخًا فيه سحر وغواية منذ ان كنا في المقهى.

وماذا عسانى أن أفعل وأنت بهذا الجمال وهذه الفتنة، وأنا المفتون المأخوذ بالجمال، وبي رغبة واشتهاء لا يوصف بالجمال والفتنة.

تعالَ ولا تقاوم، عندي لك مكانا آمنا، ونهضت بثقلها وأنا التي أصبحت لا أستطيع المقاومة فأخذت بيده ودلفت به إلى غرفة نوم خرافة، هناك مكثا ساعة زمن كما أخبر صاحبه وزاد ساعة أخرى.. لم يحدث بعد ذلك ما يذكر إلاّ أن ساعدته في ارتداء ملابسه وخرج مودّعا عابرا حلمًا جميلا وكان له بعد ذلك خلال أسبوع مواعيد مع عابرات غيرها، ثم عبر الأجواء عائدًا إلى بلاده وهو يتمنى العودة.

في هذه المرّة شرّق.. حط الرحال في أرض الكنانة، في مصر أرض النيل والقنال.. مصر عبد الناصر في ذلك الوقت.. مصر الأهرامات: خوفو ومنقرع وأخوهما الآخر.. مصر الأزهر الشريف والحسين والسيدة زينب.. مصر القناطر الخيرية، هبة النيل.. مصر الثقافة والحضارة القديمة والحديثة.. مصر العلماء والتنوير: رائدة المسرح والسينما والصحافة والكتاب، مصر العلم والأجلاء وعمالقة الفكر والأدب والشعر: العقاد وشوقي وطه حسين مصر المصلحين: محمد عبده والطهطاوي وغيرهم،

وفرسان الرواية إدريس والسباعي، وعبد الحليم عبد الله وتوفيق الحكيم والمجلد الأول نجيب محفوظ. مصر أم الدنيا كما قالوا عنها، وفي الحقيقة هي أم الدنيا وأم العرب جميعا، هي وسطهم ـ العرب ـ وحاضرتهم وأكثرهم ساكنة، هي التنوع البشري، مرت بها كل الزحوف في اتجاه الغرب نحو أفريقيا حتى وصلت اسبانيا وجنوب أوربا، ونحو الجنوب إلى السودان وأفريقيا السوداء، مصر سكانها عرب أقحاح، وأقباط من الأصل، بقايا الفراعنة الذين صنعوا التاريخ وأجناس أخرى من أتراك وشركس وجاليات يونانية واوربيون آخرون..

مصر وحدّث عن مصر حتى يجف القلم، فهي التي تستحق كل ثناء أو يكفي أن منها أساتذة التربية والتعليم في كثير من الأقطار العربية التي استقلت حديثا.

هذا استرسال خرج عن النسق الروائي يلتمس الكاتب بشأنه عذرا من القارئ، غير إنه إضافة يرى فيها فايدة.

قصد منصور الفندق ليقضي به ليلة واحدة كما قرّر، فمصر والقاهرة بالذات كما أخبره صاحب له، لا تكون الراحة فيها إلاّ في شقة أو دار فاخرة حيث تتوفر الحرية والاستقلال والحياة المصرية بما فيها المعيشة والخدمة.

ليلة واحدة قضاها منصور في الفندق، خرج صباحا بعد طعام الافطار وقصد مكتب للخدمات العامة بما فيها تأجير العقارات والسيارات وخدمات السفر والسياحة، هناك وجد صاحب المكتب مهتمّا بسيدة مهيبة ظاهرة الوجاهة والثراء في ركن خاص من المكتب،

كانت السيدة ترتدي ملابس فاخرة وتضع حقيبة يد أنيقة على ركبتيها، أمامها على طاولة صغير فنجان قهوة وكاس ماء وتمسك بين أصابعها سيجارة قدّمها لها صاحب المكتب من نوافل الاحتفاء بها، لم يشعلها لها لأنها لا تدخن وأخذتها منه على سبيل المجاملة، كان منصور يرصد كل هذه الأشياء والموجودات من قريب فقد جلس على كرسي أمام سكرتيرة المكتب، وكانت هناك صبيّة لا يتجاوز عمرها السابعة عشرة كما قدّر تنطّ من مكان إلى مكان ملفتة للنظر، وهي تلبس بنطلونا لاصقا وتعكس شعرها الأصفر إلى الوراء تتحدث مرة مع السكرتيرة حديثا فارغا عابثا، تتلهى به ليس إلاّ، ومرة تنتقل حيث تجلس السيدة مع مدير المكتب وتكلّمها في شأن، الأمر الذي قدّره منصور بأنها ابنتها أو أختها الصغيرة، فالسيدة كانت تحت الأربعين كما خرّص عمرها، ويظهر أن للبنت دالة على السيدة فهي ـ السيدة ـ تترفق بها وتبتسم في وجهها حين تطلب منها طلبًا كما يتضح جليا، وتأمرها بلطف أن تجلس مع السكرتيرة، قائلة لها حالا سنخرج يا ناريمان، التقط منصور الاسم وصوب الهدف نحوها ـ ناريمان ـ صرف نظره قليلا عن السيدة، وأخذ يدبّر كيف يناوش البنت التي جلست قباله في مكتب السكرتيرة، لكن مدير المكتب أشار إليه بالانتقال إلى حيث يجلس والسيدة، أرادت السيدة أن تقوم بعد أن أنهت معه شيئًا ما، إلاّ أن مدير المكتب أمهلها أن تبقى ليكلّمها في شأن آخر.

انتقل منصور إلى الركن الذي يجلس فيه مدير المكتب والسيدة،

رحبّ المدير بمنصور وقد عرف بحدسه أنه يطلب شقة للإيجار، قدم له السيدة باسمها مقرونا بصفة الوجاهة والأبهة، وهذه عادة في المصريين عموما: التبجيل والتقدير والاحترام.

قال:

السيدة جلبهار هانم صاحبة أطيان، وعقارات.

علّنا نجد عندها عقارًا للإيجار.

حاضرًا.. قال مدير المكتب وقد شغر للتو والمفاتيح استلمتها الآن من المؤجر السابق.. هي دار فاخر.. أبّهة.. ملوكي والله.

وهي المنى.. قالها بطريق فيها ترميز، وقد هاله جمال السيدة من قرب.

قالت:

تكرم.. علّها تعجبك.. وستعجبك إنشاء الله. كانت أفطن منه وأشطن، وضحكت في خبث.

قال المدير:

وهذه المفاتيح خذها من الآن.. هي دارك وليس غيرها.

قالت:

لا.. لابد من ترتيب الدار سأشرف عليها بنفسي ولنتفق على موعد بعد العصر ـ أرادت أن تصرف البنت ناريهان وهي بنت أختها ترافقها في اغلب الأوقات، وقد لاحظت منصور وهو يكاد يلتهمها بعينيه، وخافت هي من ضياع فرصتها فالرجل ـ منصور ـ حين جلس قبالتها

ـ السيدة ـ وجدت فيه جاذبية غير عادية، ليس في شبابه وفتوته، وإنما هناك سر لم تتبيّنه فيه بعد، زيادة عن تلك الكلمة الإسقاط التي تبدأ بها الخطاب (وهي المنى) وفسرتها بفطنتها أنها مرغوب فيها.

لم يعترض منصور على تأخير المعاينة، بل وجد فيها فرصة له كي يتأنق في ملبسه ويحلق ذقنه ويضع عطره الذي فيه سر يعرفه، وليكون في كامل لياقته، فهو قد خرج من الفندق على عجل، وموعد بعد العصر يخدمه فيما نوى.

عاد منصور إلى الفندق فأخرج من حقيبته الكبيرة بدلة انتقاها من بين ثلاث بدلات كان يصحبها معه، دفع بها إلى الخدمات في الفندق لكيّها، ثم أخرج قميصًا جديدًا وربطة عنق اشتراهم جميعا كطاقم كامل قبل سفره بيوم، وفي جزء من الحقيبة كان يضع حذاءً جديدا وحزاما للبنطلون اختارهما ليتناسقا مع البدلة الرمادية التي فصلها على قوامه الفارع، وضع كل الأشياء على حافة السرير وانتظر حتى تحضر البدلة، لينطلق بعد ذلك إلى الفيلا التى زوّدته السيدة بعنوانها ورقمها في الحي وليكون في انتظار السيدة حسب الموعد بعد العصر.

أما السيدة جلبهار فقد قصدت مزيّنها الخاص توّا قبل أن تذهب إلى بيتها، حيث الغت وجبة طعام الغذاء في ذلك اليوم وهاتفت الشغالة في بيتها تعلمها بأنها لا تأتي الآ بعد ثلاث ساعات قدرتها لتأخذ زينتها كاملة.

ومن جهة أخرى تحدّثت مع الشغالة ـ مديرة الفيلا ـ لتهتم بترتيب الفيلا بعناية شديدة.. تتفقد كل الأثاثات في الصالة وغرف النوم

وكذلك الحمّام، وأوصتها أن تشتري باقة ورد فاخرة تضعها على طاولة في الأنتريه، وطلبت منها أن تنتظر أيّة تعليمات أخرى، وقالت لها إنها قادمة بعد العصر، ثم قالت لها: إذا جاء شخص ـ زوّدتها بأوصافه ـ أن تهتم به كل الاهتمام وتقدم له واجب الضيافة حتى تأتي.

يذكر أن مديرة الفيلا: امرأة مسنّة من النوبة، وتقيم فيها بصفة دائمة في بيت صغير ملحق بالسور الكبير الذي يضم الفيلا والحديقة الواسعة وحمّام السباحة ، وأنها متواطئة والسيدة مالكة الفيلا في أشياء خاصة، وهذه الفيلا هي بمثابة استراحة للسيدة الأرملة مالكة الأطيان والعقارات التي ورثتها عن زوج كان من أصحاب المناصب السامية قبل الثورة.

جاء منصور إلى الفيلا قبل الموعد بنصف ساعة حيث قصد أن يأتي قبل أن تأتي السيدة ليكون في استقبالها وليستطلع الأمر، وربما ليحصل على بعض المعلومات من الشغالة قد تفيده في التعامل مع السيدة، ويرى موقع الحي وحيثيات أخرى تعلّم أن يلم بها من خلال تجاربه السابقة وسفره خارج البلاد.

دق منصور جرس الباب الخارجي ففتح له البواب ورافقه إلى الفيلا على مسافة من السور، وجد في استقباله الشغالة التي أشعرها البواب بقدوم الظيف، رحبت به ترحيبا زائدا وأدخلته إلى الصالة الكبيرة وهي تلهج بكلمات الود والترحاب، وتبدي الاستبشار والفرح ـ طبعا كان هذا بتوجيه من الهانم ـ جلس منصور في الصالة الرئيسية الفخمة بأثاثها الفاخر المميز وستائرها الحريرية، وسجادها العجمي،

وثرياتها النادرة، وتحفها الرائعة المنوعة والموزعة على الصالة وبعضها معلق على الجدران، وبعض آخر موضوعًا على طاولات صغيرة تحتل أركان الصالة، وكان هناك يتوسط الصالة تمثال رخامي يمثل فينوس آلهة الجمال المعروفة، والذي يحرس كبار الأثرياء، وأصحاب الوجاهة والرسمون في الدولة من الكبار على اقتنائه.

جلس منصور على فوتيل كبير يتصدّر الصالة، وبجانبه كراسى أخرى وثيرة من نوع الفوتيل الكبير يجلس عليها عادة المحتفون بالظيف المبجّل.

وقفت الشغالة العجوز تحني رأسها أمام الظيف تستأذنه في أن تقدم له ما يطلب من مشروبات باردة أو ساخنة أو أيّ خدمة أخرى.

قال لها:

شكرا وأفضل أن أنتظر السيدة لتكون الخدمة واحدة وللمشاركة والاستئناس.

كما تأمر حضرتك، ثم أضافت: هل يرغب البيه في الاطلاع على الغرف والمرافق.. هناك أيضا صالة الطعام في الركن الآخر، وصالة الرياضة خارج الفيلا والمسبح.. تعالى أفرجك على كل حاجة.

كل شيء باين.. والكتاب من عنوانه.. ريحي نفسك ما فيش داعي.

لا والنبي ـ واللّي نبَّى النبي نبي.. لأفرجك على أوضة النوم.. دي حاجة ثانية خالص.

طيب يا ستي.. النبي له مقامه وعلى راسي.. فين هي أودة النوم.

تعالى شوف وصلي على النبي.

اللّهم صلي عليه وتبعها إلى غرفة النوم الرئيسية.

دخل صالة كبيرة مليئة بالأثاث المنسق الجميل مكيّفة على أساس غرفة نوم، وجدها خرافة، سرير فخم عال يصعد إليه عن طريق سلّم من خشب ثمين له جوانب حديدية مذهبة تعلوه من جهة الوسائد ستاير حريرية غالية الثمن، يقابلها الحائط مرآة كبيرة تغطي كامل الجدار من اليمين إلى اليسار ومن أسفل إلى أعلى، وعلى الجوانب الأخرى كراسى كبيرة وثيرة بعضها لشخصين وبعضها فردية، وهناك صوان للزينة مصفوفة فوقه: زجاجات متنوعة من عطور نسائية ورجالية، وعلب بودرة وأحمر الشفاه وغيرها من لوازم المرأة، وفي ركن آخر طاولة صغيرة بساق واحد على شكل تحفة موضوعة فوقها زهرية بها ورود حديثة القطف، يظهر أن الشغالة أحضرتها منذ قليل من بائع الزهور في الحي وعلى طاولات صغيرة أخرى تحف مختلفة الأحجام والأنواع ثمينة ونادرة مجلوبة من بلاد العالم، من الهند والشرق، ومن أفريقيا السوداء، من أوربا: فرنسا وإسبانيا وإيطاليا، ومن الدنمرك والبرتغال، وحتى من جزيرة مالطا، من إستنبول وروسيا البيضاء.

عرف كل هذه المعلومات عن هذه الأشياء والتحف النادرة من السيدة جلبهار، خلال إقامته في تلك الفيلا الفخمة لمدة سبعة وعشرين يوما عاشها بالطول والعرض ويقول إنها مرّت كساعة واحدة. أليس الناس يقولون: (يوم النكد مثل عام وعام الطرب مثل ساعة).

محظوظ هو منصور مع الحياة ومع النساء، رجل عشقته النساء وكانت السيدة جلبهار إحداهن، سلب عقلها واستولى على كل ذرة في كيانها ، ملأها راحة وسكينة وسعادة وفرحًا، زهوا وافتخارا، لأنها عرفت شابا في شبابه وقوته، ورجولته وجاذبيته التي اكتشفت أخيرا أنها تكمن في عينيه، في عينيه سر عجيب، وفي عيون الناس ألوان، رجالا ونساء على السوا: اللون الأزرق النادر عند رجال الشرق وفيهم الأسود وهو الغالب، وهناك الأخضر والأصفر العسلي، أما هذه العيون التي تقرأها جلبهار في كل حين، ولا تتبيَّن سرّها ولا لونها في منصور، فهي مزيج بين كل الألوان، وأخيرا اهتدت إلى أنها رمادية من نوع خاص ويشعّ منها بريق خاص، يستحيل وجوده في ألف رجل، بل في مليون، لون نادر ندرة الزئبق الأحمر.

قدمت السيدة في الموعد المحدّد، تركب سيارة فارهة أمريكية الصنع من ذلك الحجم الكبير المستطيل ذات لونين: أبيض من أعلى وأحمر عنّابي من الجانبين ومن أمام وخلف، كان يقودها سائق خاص وبلباس مميّز، تهادت بها السيارة عبر ممر طويل ممهد يؤدي إلى مرأب في ركن من الحديقة. ترجّلت السيدة بعد أن فتح لها السائق الباب وأراد أن يدخل السيارة إلى مربضها، لكنّها السيدة أمرته أن يذهب إلى بيته ولا يعود إليها بعد وقت تحدّده كعادتها سابقا حين تسهر مع صاحباتها وتعود بعد منتصف الليل.

قالت للسائق:

أنا الليلة سأكون في بيت زكية هانم ستأتي إليّ لتأخذني بسيارتها،

وربما نمت عندها لتستأنس بي حيث سافر ولدها للدراسة في فرنسا.

أمرك يا هانم.. سأذهب رأسا للعيال.. الليلة عيد ميلاد زينب بنتي.

آه.. أخرجت من حقيبتها بضعة جنيهات قائلة: خذ لها تورتة.

قبّل الرجل الجنيهات وقال: نعمة، ينعم الله عليك بالكثير.

شعرت قيِّمة الفيلا أم شحاتة بحضور السيدة الهانم فانتظرتها على الباب.

قالت: هل حضر الظيف؟

منذ ساعة تقريبا وهو ينتظرك في الصالون الكبير.

طيب.. هل قمت بواجب الظيافة؟

ودي عايزة كلام.. هو رجل نظيف ومؤدب.

عارفة.. ودخلت يفتح لها الطريق صدرها وفخامة لباسها وثباتها.

طالعها الرجل جالسا على أحد الكراسي الفخمة. قام يستقبلها مرحبا بكلام جلّه غزل مع الإكبار والإجلال وهو يبتسم ابتسامته العريضة ويركّز عليها النظر، وكانت هي على حال ليس كحالها حين رآها في المكتب، تبدّلت كل التفاصيل: من اللباس إلى تسريحة الشعر إلى مكملات الزينة الأخرى، من أصباغ للوجه إلى أحمر الشفاه وطلاء الأظافر، وزادت عليها قلادة من الماس طوقت العنق وانحدرت إلى أعلى الصدر المفتوح وعلى الرأس قبّعة ثمينة رمز للوجاهة والأرستقراطية.
كانت أساريرها تنطق بالزهو والفرح والإحساس بالظفر..

تكلمت فقالت:

مرحبا بظيفنا العزيز.. ظيفنا على رؤوسنا يحلّ أهلا وينزل سهلا.. مرحبا به ترحيبًا لا ينقطع.

ومن يكون الظيف يا ترى؟! المنتظر منذ ساعة، أم الداخل للتو، وعلى كل حال فنحن سوا ظيف ومظيفًا تغمرنا الفرحة والسعادة.

عاد ليجلس في كرسيه الأول، فأشارت إليه لا ليس هذا مقعد ظيفنا العزيز.. أنت مقعدك في الصدارة على الفوتيل الكبير.

أمازلتي مصرّة على أنني الظيف؟.. طيب يا سيدتي سأجلس حيث تأمرين.. فأنا الظيف وأنت صاحبة الدار. كادت أن تقول: الدار وصاحبة الدار لك.. لكنها أحجمت فهي تزن كلامها قبل أن تنطق به، وفي الجملة لو قالتها ربما تفسّر على أنها رخص وابتذال، وليس أثرة وكرم.. لكنها قالت: الآن أنا راضية إذ قبلت أن تكون ظيفي. وظيفي المبجّل العزيز.

ومسكين من لا يقبل ضيافتك.. فقط هي ظيافة ليوم واحد بعدها نتكلم في أجرة هذه الدار الفخمة التي تستحق كل ثمن يحدده المالك ولمدة أسبوع إنشاء الله.

ولماذا أسبوعا واحدا.. وهل أسبوع يكفيك لمجرد التجوال في القاهرة فقط وللوقوف على معالمها الكثيرة والشهيرة التي يشد إليها الرحال من جميع أنحاء العالم ناهيك عن الآثار والشواهد التاريخية والملامح البشرية والاجتماعية: الناس الوجوه واللهجات واللباس،

الثقافة والحضارة العادات والتقاليد، ونمط عيش الناس في القرى والأرياف، وفي الواحات على أطراف الصحراء، الجغرافيا، الأودية والسهول والجبال. والسواحل والشواطئ والتعرف على المناخ. هناك النيل هبة مصر، والأهرامات إحدى عجائب الدنيا السبع، قناة السويس التي يعرفها كل العالم، والتي قرّبت طريق التجارة والاتصال بين الغرب والشرق، وشهرتها عالمية، ولا تقل قيمة عن العجائب السبع، وصلة حفرها المصريون بين البحر والبحر، وربطت المحيط بالمحيط أليس هذا بأمر عجب؟! عندك ما تتفرج عليه في مصر لمدة عام أو يزيد ولا يكفيك، مصر يا سيد منصور هي: مصر العظيمة أم الدنيا التي خلّدها التاريخ.

ومصر التي منها أنت: الكرم والبشاشة والترحاب وحسن الاستقبال، والحسن والجمال والفتنة، ويا للحسن والجمال.

تضحك وتقول: الله اخليك.. هذا من ذوقك.. وأنت تمزج الجد بالهزل.. وما أحلاها من لطيفة إذا كانت صادقة.

وهل الحياة إلاّ: جد وهزل.. كما أني صادق فيما أقول، صادق والله، وهل هناك أجمل من هذا، ألم ترى نفسك؟!

في المرآة.. أرى نفسي مرارا كل يوم.

وماذا تقول لك المرآة اليست المرآة عاكسة لما هو موجود؟! وأراه أنا الآن وجها لوجه: منتهى الحسن والفتنة والجمال.

ربما أنت مفتون بي فتطربني أكثر ممّا أستحق ـ إذًا أنت تشكين في

ذوقي.. أنا واثق من ذوقي والله إنك لجميلة وفاتنة ولن أزيد.

ياه.. أخذنا الحديث ونسينا أن نشرب شيئًا في صحتك نخب الاحتفاء بك ونادت أم شحاتة، وهي التي عودتها أن تحوم قريبا منها بين ردهات الدار كلما كان في ضيافتها شخص عزيز.

جاءت أم شحاتة مسرعة تتلقى الأمر قالت:

أمرك مولاتي.

ظيفنا العزيز ألا نقدم له شيئا، والتفتت إلى منصور قائلة: طلبات السيد منصور؟

قال:

الوقت مرّ سريعا ونحن في حديث لا يملّ، وأتمنى الاّ ينقطع بشيء غيره.

لم أسالك من قبل أتشرب؟

مع الأحبة أشرب ولا أكثر.

عين الصواب الإفراط في كل شيء غير ممدوح.

بل مذموم وخاصة في الشراب.. ماذا عندكم يا سيدتي من أنواع الشراب؟

كل ما تطلب وما يخطر على بالك.. عندي مخزن صغير خاص ملحق بالمطبخ وأنت لم تتفرج على المطبخ، أليس كذلك سنراه فيما بعد ـ قلت لك عندي مخزن به كل أنواع المشروبات الفاخرة والثمينة من كنياك فرنسي من ماركات شهيرة وجن وفودكا روسية غالية الثمن، وعندي الويسكي بأنواعه، وكل الميزات موجودة.

يا سلام على الويسكي. هات لنا بلاك ليبل ـ دعينا نتوسّك.

هو ما أفضله أنا.. التفتت إلى أم شحاتة.. سمعتي ما قال السيد منصور؟

حالا مولاتي، وسأحضر كل لوازمه والميزات التي تناسبه.

أسرعي ولا تبخلي علينا بشئ.. نحن وظيفنا متَّفقون في الذوق.

وآمل أن نكون متفقين في كل شيء.

وليس ذلك بعزيز حسب ضنى.

إلاّ في إيجار هذا القصر التحفة أدام الله عزك فيه.

غزل فيّ وفي داري؟! تضحك وتضيف: أنت رجل ليس مثلك الرجال، محظوظة هي من تكون أنسًا لها وزوجا.

أنتِ رأيت فيَّ جانبا واحدا ربما راق لكِ.. من أدراكِ أنني سالما من كل عيب.. بل ربما تكون عيوبي غير محتملة.

لا أظن هذا مطلقا.. إن ما ريته فيك يغطّى على كل عيب إن وجد، ولا أضن فيك عيبا واحدا، أنت سالم من كل العيوب أنت العظمة على رأينا نحن المصرين، ويا سعد من تكون من نصيبها.

تحـوّل الإطـراء والغزل مني فيك.. إليّ منك.. ضحكت وضحك ومدّت له يدها تصافحه على تلك القفشة، وكانت أوّل مصافحة بينهما، تركت يدها ترتاح قليلا، ثم تداركت نفسها فسحبتها حين شعرت بما يشبه المخدر اللذيذ يسرى في كيانها،

فأسبلت طرفها تنظر إلى الأرض تخفي اضطرابها الذي دلّت عليه حمرة علت وجنتيها.. جفّ ريقها وتلعثمت في الكلام حين قالت له: في راحة يدك ما يشبه الكهرباء وفي عينيك إشعاع لا يطاق.

ـ أرجو ألاّ يكون إشعاع نووي.

لا هو أكثر تدميرا.. إنّه لا يبقى ولا يذر.

هل أنت خوّافة إلى هذا الحد؟!. أنتِ أول امرأة تقول لي هذا، وتخاف مني هذا الخوف.

وهل نساءك كثيرات؟

هن عابرات.

لكنك ما زلت تذكرهنّ.

مجرد ذكرى اختزنتها الذاكرة.

حدثني عنهن.

ستكون لنا أحاديث كثيرة بعدما حضر فاتح الكنوز هذا وأشار إلى صينية كبيرة جاءت تحملها أم شحاتة.

نعم هو ما وصفت.. يفتح خزائن الأسرار.

نحن نسميه في بلادنا: ماء الذهب، وأحيانا نقول عنه الشاي الأخضر.

التسمية الأولى تليق به.. هو فعلا ماء الذهب.

ويذهب العقل.

عند الإفراط.. والعاقل من يأخذه بقدر.

قد يسترسل كالحديث عندما يحلو، ويطول السهر.

دعنا نجرّب.. أنا الليلة عندي استعداد للسهر.

وأنا جئت من بلادي لهذا.. سفر طويل واستعداد للسفر قبله بأيّام، كلّه من أجل السهر، الحياة، الاغتراف من متعها ولذائذها ما أمكن. والحياة قصيرة، العاقل من عاشها وهي تقبل بوجهها الصبوح، قبل أن تعبس وتدبر، هي فرصة علينا اغتنامها حين تأتي طائعة حافلة بالمسرات، فإذا ولت علينا أن نقابلها بالصبر.

يظهر أننى في حضرة فيلسوف.

وما الفلسفة فيما قلت؟ هذه تجربتي وتجربة الناس.

أنا لا أجاريك جدالا.. ليس من قدّك، كما نقول.. أتملأ الكؤوس أم أملأها؟

وهل يوجد ساقي أفضل من أميرة باذخة الحسن والجمال؟

هل أنا أميرة حقّا في نظرك؟

أنت ملكة غير متوجة بتاج الملك والسلطان.. لكن تاجك الجمال والفتنة.

لن تسمع مني كلمة قبل أن تأخذ كأسك في صحتك.

وفي صحتك قرّبي كأسك، ولا تخافي إشعاعًا مني كما قلت.

ويلامس الكاس الكأس، وتبقى صامدة في بريق عينيه ولا يغض هو الطرف فتقول: كفاني دمّرتني.. مالك لا ترحم.

ليس هذا هو الدمار.. هناك حرب شعواء، ومعارك حامية الوطيس، لابد أن تكون فيها المواجهة والصمود.

أنا كأس فارغة ـ هات كأسك لأملاها ولا تخوفني أكثر فحصوني غير منيعة، لكني لا أفر من الميدان ولن أستسلم بسهولة، سأقاوم، وإن خسرت معركة فالحرب سجالا.

وأنا سأغزو الغزوة الكبرى والنصر لي وسأعيد الكرّة وحتى تضع الحرب أوزارها، ولن أهزم أبدا.

وإن طالت المواجهة والصمود؟!

سأسقط كل الحصون.

ربما يكون خصمك عنيدا، وله صبر لا ينفد.

للصبر حدود.

لا حد لصبرٍ إذا أراد صاحبه الاستمرار والاصرار والثبات.

إلى متى؟!

إلى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا.

وينفد الصبر.

إذا قضى الله.. أراك متعجلا وكلك ثقة في الانتصار.

ما هزمت مرة قط في معركة.

لا تسلم الجرّه كل مرّه.. والغرور مقبرة.

صبّي لنا، ولنخرج من هذا الجدال الذي أراه يفسد الفرح والنشوة.

في هذه أصبت لكنّا ثلّثنا، وأهل الشراب يقولون: أخفّه ثلاثة، وأوسطه ثلاثة، والثلاثة الثالثة إفراط.

وما رأيك في خير الامور؟

أوسطها.. ليكون ذلك ولا نزيد حتى لا نفرط.ة

ـ بعدها لكل حادث حديث، لعّله يكون أمر آخر.

صبّت له ولها ومدّت بالكأس ورشفت من كأسها.

قالت له:

ما رأيك في جولة سريعة في الحديقة وقد أرخى الليل سدوله، وتوسط القمر كبد السماء، فالليلة حسب التقويم هي ليلة منتصف الشهر، ونحن الآن في منتصف الليل تقريبا.

اقتراح جميل. لكن بعد الثلاثة الثانية.

طبعا.. وكادت أن تقول يا حبيبي لكنها ردتها على لسانها وقالت: وهناك مجلس على المسبح تحلو القعدة فيه.

هناك سنطلب المزيد من الشراب.

لا ضرر على ألاّ نفرط.

أنا لا أضمن جلسة على المسبح وتحت ضوء القمر.

وما عساك أن تفعل وتبسّمت وهي ترنو إليه في شغف.

سأتضرع بالصبر الجميل، كما هو مذهبك.

من صبر نال.

هذه كأسنا الخامسة عجلي بالسادسة، بعدها سنخرج إلى الحديقة كما اقترحت فالطقس جميل كما يبدو.

أرى قبل ذلك أن أتجول بك في كامل مرافق البيت أنت لم تر إلاّ جزءًا منه كما أخبرتني أم شحاتة.

على ألاّ تمري بي على غرفة النوم وهي بيت بحالها: صالونات وسفرة طعام وحمّام، وحدائق معلّقة وغير معلّقة: أحواض نباتات وأزهار، وزهريات تحمل الورود، ونافورة مياه، ومتحف للتحف النادرة والمقتنيات، ومسمّيات أخرى لا حصر لها.

ياه.. أحصيت كل هذا في جولة سريعة لم تتعد الدقائق؟!

وأحذرك أن دخلت إلى ذلك المكان.. سأحرن ولن أخرج أبدا.. لا إلى الحديقة ولا المسبح ولا الليل المنور بالقمر.

الليل المنور بالقمر.. الله.. هل أنت تجمع بين الفلسفة والشعر؟!

قيّميني كما تشائين، فقط لا تمري بي على مخدع النوم ذلك الفضاء الواسع الخرافي الحالم الذي لا يقاوم.

وإن رغبت أنا في ذلك ألا تأخذ بخاطري فتتفرّج على مخدعي وتحفي النادرة الثمينة؟

ألا تخافين إن دخلنا هناك، من أن تدفعي الثمن؟

تغابت وحوّلت الحديث قائلة: الثمن مدفوع من زمان.. تلك الأشياء

جلب أغلبها من بلاد بعيدة خارج البلاد. ودفعت فيها أثماناً غالية.

ستدفعين أثمن إن دخلت ولن أزيد.

إذًا هيا بنا إلى الحديقة والمسبح والليل المنور بالقمر ثم نرى ما يكون بعد ذلك.

أنت مناورة ماهرة، وعنيدة، شديدة المراس.. لبوة شرسة لها مخالب وأنياب.. أنت الصعب ولا أقول المستحيل.. يشفع لك جمالك وتسمح لك الفتنة، ويفتح لك الطريق الدلال والفنج، لكنك تنسى من يكون محاربًا عنيدا، كانت له الغلبة في كل غزوة غزاها ولم ينهزم أبدا.

إذا لن نمر على فضاء النوم كما سميته.

إذا حدث ذلك سوف لن تحمد العاقبة كما يقال، لكن في هذا الحال ينطبق عليها القول المجازي أما الحقيقة فهي عاقبة محمودة وأي عاقبة لكلا الطرفين.

عدنا للفلسفة ومنطق الكلام.

الفلسفة بحث عن الحقيقة، وما قلته حقيقة، وإلاّ ما رأيك.

أنا لا أجاريك في كل شيء إلا أرى إلاّ أني سأخسر كل شيء.

وأنا لا أرض لك الخسارة، سأوعوضك تعويضا عادلا.

أرجو ذلك أنا لا أحب الخسارة.

من لا يخسر لا يربح.. الربح والخسارة صنوان.

دعنا نذهب إلى الحديقة. وإلى المسبح بالذات. هناك جلسة تحت

ضوء القمر تساوي العمر كلّه.

لنذهب إلى أيّ مكان عدا ما حذّرتك منه.

فضاء المخدع.. ستحن إليه حتما إن طالت الأيام.

أنا لا أخاف منه.. أخاف عليك.

غيرّت مجرى الحديث.. هيّا بنا إلى مكان ستكتشف أنه ساحر ومريح.

تجولا جولة قصيرة في مماش وممشي الحديقة التي تتقاطع طولا وعرضا، وهي ممهّدة بأرصفة جميلة ومضاءة من الجانبين تحف بها شجيرات مهذبة ومنسقة، أفضت بهما تلك الممرات في النهاية إلى المسبح في ركن من الحديقة، وحوله كراس، ومطارح من نوع خاص تستخدم لحمامات الشمس وهناك قعدة مريحة: كراسي واطية من خيزران وطاولة كبيرة وأخرى جانبية صغيرة توضع عليها الكؤوس حين تكون ملأى بماء الذهب، أو الشاي الأخضر في التسمية المجازية، جلس وجلست بعد أن قرّبا القعدة أكثر من المسبح.

قال:

هنا فعلا يحلو السهر، ويحلو الكأس.

ولا مانع من الاثنين.. منصور انظر إلى القمر، ما أحلاه من منظر يأخذ بالألباب.

أيْن من الأقمار؟

الذي في السماء.. هل هناك قمر غيره.

نعم هناك قمر في السماء وقمر في الأرض.

انظر إلى السماء

من ينظر إلى السماء قد يسقط.

تتلقاه قمر الأرض.. أحسدك فطنتك هذه.

وأحسدك تلميحك.

دعني أنادي أم شحاتة تنقل لنا قنينة ماء الذهب كما تقول ولوازمها إلى هنا. وذهبت صوب الدار فوجدت أم شحاتة قريبا كعادتها تنتظر الأمر لتقدّم الخدمة. أمرتها بتحويل كل شيء إلى المسبح، وأن تنوّع الميزات التي تغني عن العشاء الذي فات وقته، وعادت سريعا إلى منصور، قالت: حالا سيكون كل شيء جاهزا أم شحاتة قادمة.

أنا أخاف عليك من الجوع، وأنت لم تاخذي وجبة الغذاء كما أخبرت.

عملت حسابي، أم شحاتة ستحضر لنا ميزّات منوعة ومفيدة، تغني عن الطعام الثقيل.. أنت تعرف ماء الذهب هذا لا يريد منافس، يريد كل الحيز له.

أنا أعرفه، وأعرف خيانته، إنه يسرق العقل، ولا يأمن جانبه، ستكون الأحكام غير الأحكام، ويستخف شاربه بكل شيء عند التمادي.

تلك مرحلة الإفراط، ونحن اتفقنا: أن لا أفراط.

ولا نفرّط.

تضحك.. ألا تنسى؟!

أنسى الحياة؟! قلنا إن الحياة لا تتكرّر.. هي مرّة واحدة، والأخذ بأسبابها من الواجبات.

المشروعة.

المشروعات كلٌّ يراها من زاويته الخاصة.

بعض الناس يرى بعض المحرّمات مشروعة.

هناك المحرّم والمباح، وهناك من يخلط ولا يتبين الأمر، وما نحن فيه من جدل لا يقطعه الاّ أن تصبَّ لنا كاسنا.

لا تنسى أننا قد نتجاوز بهذا الكأس ما اتفقنا عليه.

وماذا يعني؟ هي السابعة. نحن بعد أن جلسنا هنا تحت القمرين وعلى حافة المسبح كأننا لم نشرب شيئا.

فعلا، كأننا لم نشرب شيئا.. في هذا الجو الساحر وتحت نور القمر الذي يعكسه ماء المسبح سنتجاوز العاشرة ولا نخاف.

أتخافين من ماء الحياة هذا.

تخلّيت عن تسميته الأولى؟! ماء الذهب أو الشاي الأخضر؟!

لونًا هو ماء الذهب، أما الفعل فهو ماء الحياة. وتملأ له ولها ثم تقول: خذ في صحة الحياة.

يبادلها النخب ويقول: من هنا نبدأ.. كل الذي سبق انقضى وأنمحى.. لا تحسبي علينا لا سادسة ولا عاشرة.. هذه تعتبر الأولى في هذا المكان الرومانسي الآسر.

هو ما قلت.. أنا لا أحسب شيئا بعد الآن لا معك ولا عليك، وأنا تحت أمرك.

لا تقوليها.. أنا أعرف أنك غير جادة.. ولا تعني ما أطمع فيه.. أهي سبق لسان؟

نعم.. وتحت أمرك.

كيف نعم، وتحت أمرك ولكل منهما وجه.. هل نعم إجابة عن سؤالي: أهي سبق لسان؟.. وتحت أمري، فعلا وحقّا وصحيحا أنت تحت أمري.

فسّر ما قلتُ كما تشاء.

أنا لا أريد تفسيرا، أنا حرت في أمري.. أنا أريد أن أشرب، صبي لنا نخب العمر والليل والسهر، فاليوم خمر وغدا أمر.

ألم أقل لك، إنك شاعر: خذ كأسك وهذا كأسي لنبدأ من البداية كما قلت.

الآن حقّا أنت نديم، يفهم أصول المنادمة والشراب. ضلا يصبان من ماء الحياة ويصيبان من المزات التي من كل شكل وجنس ولون، حتى اقتربا من حد الثمالة، هنا قالت: منصور أشعر بخدر النوم هيا بنا إلى الدار. ولا تمر بي على المخدع.

قال:

سأمر على الديار.. أمر على الديار ديار ليلى أقبل ذا الجدار وذا

الجدار * وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا.

وقفت وكانت يدها تشتبك مع يده وقالت: مالك وتقبيل الجدران؟! اقتربت منه أكثر ورنت إليه وكلمته شفاهًا ـ برقت عيناه فيها لحظة ثم جذبها إليه حتى التصقت به فغضت طرفها.. أطبق بفمه على شفتين ذابت حلاوة كأنها عسل مصفى، انتفضت كالطير الذبيح وفتحت عينيها.. قالت له هيا بنا.

إلى أين؟.. أي مكان في الدار؟

إلى الصالون.

ماذا نفعل في الصالون؟!

لنشرب.

بعد كل هذا الشراب؟

إذًا لننام.

إلى المخدع؟ أعني في الفضاء الكبير؟

لا أنت في غرفتك وأنا في غرفتي.

في دار واحدة، رجل وامرأة وكل منهما في غرفة؟!!

وما الغريب في هذا؟

الغريب عجب عجاب، لم أسمع به ولم اره من قبل.

لنجلس إذًا في الصالون، ونواصل السهر.

نحن في الفجر، ويطلّ الصباح.

صباحنا مبارك أنا وأنت.

هل أصبحنا نغلِّب الهزل على الجد.. جلبهار هانم أنا ظيفك.

أنت ظيف مبجّل وعلى عين جلبهار ورأسها، كادت أن تقول كلمة أخرى... أضافت يا ساحر.

ساحر لم ينفعه سحره.

لا يفلح الساحر في كل مرّه..منصور.. صب لي كأسا.

الكاس أفسد كل شيء.

ننام اذًا.

كل واحد في غرفة؟!

طبعا.

أي طبع هذا؟! أنت لا تعرفي طبعًا ولا طبيعة.

حبيبي لا تغضب.

هذه الكلمة التي غفرت لك كل شيء.

قلتها ولست نادمة عليها.

أتعنيها بالفعل إذا كنت جادة.

قلت لك لا تتعجلّ.. اللهب يفسد الطبيخ، والنار الهادية أوجب وأصلح وأسلم.

سأفر من هذا البيت وأهيم على وجهي، لم أعد أعرف ماذا أفعل.

أغمضت عيناها وقالت: تعال.. قبلني كما لم تقبل مثلي واحدة من قبلي.

ماذا أسمع يا إلهي.

ألا تصدق سمعك؟

أنا لم أعد أصدق، أو أكذّب.. اختلط الجد بالهزل.

وهل الحياة إلاّ جد وهزل؟!.. الحياة ليست رتيبة..جادّة دائما، أو هزل مستمر.. خذ من جدها وهزلها.

أنا لم أعد أعرف، الهزل من الجد.. أنت محيرّة يا امرأة.

كانت تغرق في كرسي وثير، وقد نزعت كعبها العالي حين جلست بعد ما جاءت من المسبح، ومنصور يسندها برفق، وطوحت بشال كانت تغطي به كتفها وزنديها ورقبتها العارية. وكذلك نصفها العلوي تقريبا، ومنصور يقابلها في الكرسي أيضا في توتّر وعصاب مشدود، أما هي فقد كانت هادية ساكنة شبه مخدّره بفعل تلك القبلة التي طبعها منصور على شفتيها وطلبتها بشفتيها إيحاءً قبل أن تطلبها صراحة بلسانها.

قالت: سأطلب من أم شحاتة أن تحضر لنا مائدة الإفطار، ونتحدّث على الطعام، قيل في الأثر (تحدثوا على الطعام ولو بثمن أسلحتكم)

لقد شبعنا من الحديث، قال منصور.

أنا لم أشبع بعد، ألا تجاملني؟

لاذ منصور بالصمت وأحواله النفسية ليست على ما يرام، وانشغل

فكره بتحليل سلوك هذه المرأة: مراوغتها احيانا، طيبتها الظاهرة، إقبالها وإدبارها، رغبتها وعنفها، هل هي داهية ماكرة أم صادقة ودودة كريمة.. حار في أمرها، هل هي عاشقة ومتحفظة، أم طامعة، طامعة في ماذا؟ في المال؟ هذا لا يخطر على بالها أبدا، قال في نفسه أم طامعة في أمر آخر؟ الزواج مثلا.. هذا جائز. تذكّر هذا القول: كيدهن عظيم.

بعد الفراغ من طعام الإفطار جلسا في تراس واسع تحت مضلّة كبيرة على كرسيين من قصب بينهما طاولة صغيرة وضعت عليها أم شحاتة القهوة، هي لا تدخن ولا هو، رشفت من فنجانها رشفة، وضعته على الطاولة ورنت إليه بطرف ناعس قالت:

منصور، لماذا لا نتزوج؟

نتزوج؟! كيف.. ما هي كيفية هذا الزواج؟

الزواج معروف، واحد، ألا تعرف الزواج؟

الزواج ليس واحدا، هناك الزواج العرفي، وزواج المتعة، والزواج المسيار، والزواج السري، ولكلٍّ كيفية وشروط.

أعني الزواج المدني المعروف، زواج فيه طلب وقبول ومأذون وشهود، زواج يسجل في دائرة الأحوال المدنية. زواج بعقد شرعي يكتب في إحدى خاناته حيثيتي: زوجة مثلا أو ربة بيت أو ما شابه ذلك وليس كما أنا الآن: مكتوب في هويتي أرملة، وكنت سابقا متزوجة. زواج يشهده الناس ويعترفون به.

هذا لم أجربه من قبل، لكني عدّدت لك أنواع الزواج لم أجربها وجربها غيري، قيل إنها أيسر ولا تكلف مالا، ولا التزامات قانونية ولا اجتماعية، ربما أيسرها الزواج العرفي وزواج المتعة وغيرهما.

هذه كلّها غير شرعية.

لكنها اختلفت فيها الفتاوى، وحلّلها البعض وخاصة الزواج المسيار.

ليس فيه استقرار، لا يدوم. اسمه فيه: سيّار أو مسيار.

أنا تفاجأت باقتراحك هذا، ولابد من التروي ودراسة الأمر بجدية وروية وترتيب، وأنت خير زوجة يرغبها طالب للزواج.

لاذ بالصمت وقد فاجأه الأمر وهمه قليلا فتبدّلت سحنته، كانت هي تراقبه قالت:

أنت قبلتني.

أنت تعرفين هذا.. نعم قبلتك البارحة ونحن عائدين من المسبح واليوم ونحن في الصالون، وفي المرتين بطلب منك: مّرة بالإشارة، ومّرة بصريح العبارة. أنسيتِ هذا؟!

لا لم أنسى.. لكن لماذا لم تأخذها مني كما أريدها بمبادرة منك، وليس بطلب مني.. أنت لا تعرف كم تكابد المرأة وتعاني من لوعة العشق والغرام وهي تشتهي رجلا، وتضل تنتظر منه المبادأة ولا يبادر، إنها تكبح هواها الجامع، وهي تتمزق مشاعرا واحاسيسَ من الداخل، تحاول أن تقدم ثم تحجم، وهو ـ الرجل الذي تعشقه ـ غير آبه بها، أو

هو يتلذذ بعذابها وهو عارف به لكن يتمادى في قهرها وإذلالها، ولا يحسب لها مشاعرها، وهي الأنثى التي يعاب عليها التعبير عن عاطفتها صراحة وينكر عليها المبادأة.. أنت فعلت هذا وكنت أحسبك الجريء المبادر، تعرف أني عشقتك وقدمت لك كل الإسقاطات التي تقربك مني.. تقدمت نحوك خطوات وأنت لم تتقدّم خطوة واحدة، وأخيرا أسقطّني وأنت لا تدري، بل أسقطّ نفسي ذليلة مهانة، وكنت أطمع في أن تحتويني في حضنك بمبادرة منك لأحس بأنني معشوقة مرغوب فيها، إلاّ أن أملي في أن أحضى بهذه المكانة عندك قد ضاع، وخوف على نفسي من ضياعك مني غامرت وفعلت فعلا لم تفعله بنات جنسي، وأخيرا ها أنا أعرض عليك نفسي، وأنت تعدني بالتروي والدرس.. أليس هذا الذي حدث؟؟.

نعم: هذا بعينه حدث ولا أنكر منه شيئا.. أما عن المبادرة والمبادأة، فهذه عند بعض الرجال وأنا منهم، حين لا تكون في وقتها المناسب أقصد بعد التأني ودراسة الطرف الآخر تكون طيشا وسماجة، وخطوة في غير محلها، ثم لا تنسى أن الرجل أيضا، هيابًا للمرأة، يعمل عقله كثيرا قبل أن يطلق العنان لعاطفته، حتى لا تحسبه غرّا متهورًا لا يأمن جانبه، وسرعان ما تنطفى جذوة الرغبة فيه، ويغادر غير آبه بأنثي تحرس أشد الحرص على الكرامة والشرف، حتى لا يحدث هذا، فان الرجل المتزن يغلّب عقله على عاطفته، ويبطأ في الاقتحام. وأنا هنا أستخدم لغة المواجهة والهجوم، نعم هي مواجهة صعبة يستعد لها الرجل. ألا تعلمى أن للمرأة لها حصونها

المنيعة ـ وأنت قلتها مرة في معرض الحديث ـ وأنها تهاجم كما يهاجم العدو اللدود، وهي الحبيب الأريب، ومنتهى المنى للوصل والتلاحم الروحي والجسدي، إن المرأة المعشوقة وهي تقف قاب قوسين أو أدنى من الرجل، تكون أصعب من مواجهة جيش للعدو بعدته وعدده يستعد للهجوم، وأثقل من زحزحة جبل، وأكثر مهابة من أسد مفترس يدخل معه في صراع، ألم يطف بسمعك القول: المرأة عليها شعرة الصيد، بمعنى: فيها شيء من مهابة الأسد.. لهذا كله هبتك وأنا الراغب فيك بكل جارحة فيّ، تردّدت وابطأت خوفاً من ضياعك مني، حتى كان منك ما كان فكنت كبيرة في عيني فعشقتك أكثر، والآن وأنت تعرضين على الزواج، وأثمن فيك هذا عاليا أيضا، عاد العقل إلى العمل، فنحن نعمل عقولنا من أجل سعادتنا وراحتنا في الدنيا والحياة.

يا حبيبي وقد ضننت بك الضنون.

لا تضرنى بي إلا خيرا، وأنا أكبرت فيك كل شيء.. احتفاءك بي، وترحيبك وكرمك الزايد، وما أنا الاّ رجل جاء يبغي الإقامة في هذا البيت ويرحل، وحتى الآن مجرد ظيف، أصرت صاحبة ـ أنت على ضيافته والظيف له ثلاثة أيام كما تعرفين.

أنت لا تغادر بيتي، ولا ترحل من قلبي.. أنت حبيبي، وفي حل من عرض عليك الزواج، إذا لم تر فيه خيرا لي ولك بعد أن تعمل العقل، ونعم ما تعمل، فأنا يا حبيبي أصبحت أحرس منك على مصلحتك.. طب خاطرا، أفديك بروحي وما أملك، وأنا ملك يديك إذا شئت.

أنت يا جلبهار هانم كبيرة بعقلك، عظيمة في بذلك وعطائك فريدة في جنسك رائعة في جمالك وأنت حد المنى وما قلته لك، دعينى أتروّى وأدرس الأمر، ولاّ امتحان لمعدنك، أصلك وخبرتك ومعرفتك وتجربتك في الحياة. واختبار لعقلك وتفكيرك، بعدما عرفت فيك الطيبة وحسن السيرة ونظافة السريرة، ثم الجمال والحسن الذي هو بداية الخيط. أما الآن فأنا موافق على عرضك ولن أغادر هذا البيت ولن أرحل، فأنت حبيبتي التي لا أقدر على فراقها.

طفرت من عينيها دموع الفرح، اهتز كيانها واضطربت جوانحها، ولم تقاوم رغبةً رمت بها عليه تقبّله في وجهه حيثما اتفق، وتلقى بثقلها على صدره وهي تغمغم بكلام أشبه بالهذيان فحواه الشكر والحمد والامتنان، على ما سمعته من منصور من تقييم لمعدنها ومروءتها وكرمها وطيبتها، وحسنها وجمالها. الأمر الذي حسبته شهادة ممهورة بتوقيع حبيبها الذي عشقته حد الهيام.

هدّى من اضطرابها وثورتها المفاجئة بقبلة ـ طويلة طاف بها على عنقها ثم انحدر إلى ما بين النهدين، ثم صعد إلى أعلى من جديد فرنق من رضابها، ثم خلّصها منه برفق وأسندها على كرسيها الذي كانت تجلس عليه شبه مغمى عليها، بعدها عادت إلى حالها الطبيعي، فتحت عينيها على اتساعهما في وجهة وتبسمت راضية.

قالت بصوت واه:

أنت حبيبي، وتاج رأسي وزوجي، ومالي وما أملك، وأنا والتاج

والمال وما أملك لك أنت وحدك.

والآن كيف يكون زواجنا؟!

كيفما تشاء، على أي نوع أنت ترضاه.

لنتدبّر أمرنا في هذا.

كنت قد طلبت من أم شحاتة أن لا تعد لنا طعاما للغذاء، فانا وأنت سنخرج بعد قليل في جولة سريعة إلى القناطر، بعدها نقصد مطعما في فندق راقٍ أعرفه ولا يعرفني طاقم الخدمة فيه درءًا للشبهات هذا من جهة، ومن جهة أخرى: ناريمان بنت أختي تبحث عنّي في كل مكان، ولا أضمن أن تفاجئنا هنا وهذا ما لا أرغب فيه ولا أريدها أن تعلم شيئا، عني ولا عنك، فهي جريدة ناطقة في كل مكان، ولا آمن أن تفضحني وتفسد علينا كل شيء. طب نفسًا يا حبيبي، ستكون كل الأمور على ما يرام، والآن دعنى أخذ حمامي الصباحي وأتهيأ للخروج، أما أنت فلك حمامك الخاص هنا قريبا من الصالة، وقد وضعت فيه أم شحاتة جميع لوازم الاستحمام وهناك الروب تخرج به إلى الغرفة المجاورة غرفة الظيف المبجل، وفيها خزانة بها أكثر من عشر بدلات انتقى منها ما يناسبك، وهناك القمصان وربطات العنق والأحذية كلها اشترتها أم شحاتة أمس من محل للملابس الراقية. بأمر مني، بعد أن عرفت قياساتك تقريبا حسب التخمين، لا تستغرب هذا المرأة بالحب تصنع المستحيل.

ما أكرمك واوفاك، وما أجملك وهذا قبل كل شيء، فلولا جمالك ما قادتني قدماي إلى هنا، هذه هي الحقيقة، حسنك وبهاؤك هو الذي

قادني إلى هذه الدار، ولم أكن أطمع في شيء آخر، لا في مال ولا جاه ولا وجاهة، فأنا رحّال مسافر، أسوح في أرض الله الواسعة كل مرة في مكان، أما الآن، فسبحان الذي هو كل يوم في شأن. الإنسان يتبدّل من حال إلى حال بين عشية وضحاها، وما يدري ماذا تخبىّ له الأيام، والأيام والليالي. حبلى، وتلد ما لا يخطر على بال، ظروفها وصروفها متغيرة متبدّلة، تأتي بما لم يكن في الحسبان، وتفاجئنا بما لم يكن متوقعا ولا منتظرا، تقول كلمتها وتمضي.

تهيأ وتهيأت للخروج، لم تطلب سائقها الخاص، لتستعمل سيارتها الفخمة في الذهاب إلى القناطر وبعدها إلى الفندق تجنبًا لملاحقة عيون الفضولين، وأهل الضنون السيئة. أخذت جلبهار هانم ومنصور سيارة أجرة غير لافتة للنظر، عند الوصول فتحت حقيبة يدها، لتدفع الأجرة ناسيةً، سبقها منصور فدفع الأجرة قبل أن يفطن السائق إلى حركتها، نزلا من التاكسي، وخطى منصور خطوات وهي متعلقة في ذراعه، نظر إليها يلومها بلطف قائلا: لا تفعلي ما كنت ستفعلينه منذ قليل، حين هممت بدفع أجرة التاكسي.. نسيت أنّنا شرقيون، وان الرجل هو الذي يدفع عندما تكون في رفقته امرأة، الناس هنا تفسر الأمر على أنه رجلها، خطيبها أو زوجها أو أحد محارمها، فإذا دفعت هي فالأمر يختلف ويفسر على نحو آخر.

قالت:

اعذرني حبيبي، لم أتعود أن يكون معي رجل من قبل فأنا أستعمل

سيارتي دايـمًا.. أما أنت فحبيبي وخطيبي وزوجي: خطيبي اليوم وزوجي غدا، وحبيبي إلى الأبد.

وأنت الزوجة والحبيبة الغالية والمعشوقة أبدا.

جولة أخذت وقتا في القناطر تخللتها استراحة قصيرة في مقهى فخم بعدها انطلقا إلى أحد الفنادق من ذوات الخمسة نجوم في قلب المدينة، هناك في مطعم خاص جدا تناولا طعام الغذاء، وحتى لا تحرجه مرّة أخرى زحفت يدها في سرية تامة فأخرجت رزمة من ورق البنكنوت دفعت بها إليه في غفلة من رقيب قائلة له أدافع أنت، فأنت الرجل.

أنا الرجل ولكني لم أصبح الزوج بعد.

مالنا واحد يا حبيبي، إن لم يكن اليوم فغدا إنشاء الله.

عندما نكون زوجين، يكون مالنا واحدا، أما اليوم فأنا ما زلت خطيبا، وغدا شأن آخر.

عذرا حبيبي ما قصدت شيئا يقلّ من شأنك أو يشعرك بشيء ما، أنت تعرف سريرتي وقصدي.

وأنا لم أفسّر ما فعلتيه بنية سيئة، أنا أعرف طيبة قلبك وسلامة نواياك، وعندما نتزوّج لا أردُّ عليك شيئا ولا أنت تردين شيئا.

إننى أنتظر الغد بفارغ الصبر.

ليس غدا ببعيد، من اليوم علينا أن نتدبّر أمرنا لقد اتّفقنا وانتهى، من جانبي لا رجعة في كلمة أقطعها على نفسي.

وكذلك من جانبي يا حبيبي، أنت لا تعلم كما أنا فرحة وسعيدة أنت بالنسبة لي حظ سعيد مبارك من السماء، وأنا اشكر الله على هذه العطية والنصيب الذي يحسدني عليه النساء.

وهما ما زالا في حديقة الفندق يشربان الشاي بعد الغذاء، دخلت جلبهار هانم بعدما استاذنت منصور في إجراء مكالمة هاتفية من داخل كابينة الاستقبال، لم تغب طويلا حتى عادت إلى منصور متهلّلة الأسارير، وجهها يطفح سعادة وفرحًا، جلست تبتسم في وجه حبيبها ومشاعر جميلة وأحلام وردية تمسها من الداخل.

قالت:

منصور بشرى سعيدة وخبر سار أزفه اليك وأنا اكاد أطير من الفرح.

خير إنشاء الله؟ أنت لا تأتين إلاّ بالفرح والبشرى.

هاتفت صاحبتي: تلك المرأة الثرية المتقدمة في السن التي أخبرتك عنها في الصباح، وهي مطلقة وتعيش في قصر ورثته عن والدها فهي وحيدته، قلت لها سأعقد قراني عندك غدا، وأريد ان أدعو إليه عددا محدودًا من الرجال والنساء من الرجال خالها العجوز الذي يعيش معها في قصرها وصديقة لها أرملة تسكن بجوارها وأنا وأنت ليس إلاّ.

والمأذون طبعا وشاهدين، هل نسيت؟

لا لم أنسى.. هاتفت أيضا أم شحاتة فهي كاتمة أسراري أن تبحث عن المأذون أم الشاهد الثاني مع خال صاحبتي هو منسق حديقتي، وهو

غدا نوبته عندي، لا تشغل بالك حبيبي كل الأمور موكلة بها أم شحاتة.

أنت امرأة يعتمد عليك في كل شيء، ألم أقل لك حين كنا نتحدّث في أمر زواجنا هناك في القناطر، أنني معتمد عليك في ترتيب ما يخص الزواج المبارك إنشاء الله؟

ما زال أمر واحدا علينا أن نتشاور فيه والآن علينا أن نقرّره.

ما هو؟.. كل شيء يتعلق بزواجنا يجب أن يتم الآن، لم يعد لنا وقت.

نوع الزواج يجب الاتفاق عليه من الآن، وانا أفوضك أن تختار الذي تحب وترغب فيه.

أنا أرى: أن الزواج المسيار أنسب لنا، ما دام بعض المفتين يحلّله، فهو أفضل من زواج المتعة والـزواج العرفي والسري، وكل أنواع الزواج، عدا المدني الشرعي الذي يُسجل في دائرة الأحوال الشخصية، ما دام في المسيار شهود ومأذون.

أنا فوضتك.. أنا واثقة أنك لا تبغي إلاّ مصلحتنا. على بركة الله يا حبيبي، غدا يتم كل شيء.

مجرد سؤال بريء ليس إلاّ، لماذا لا يكون عقد القرآن في دارك وهي فسيحة رحبة ولا ينقصها أي شيء؟

وناريمان؟! أنسيتها. هي تبحث عني في كل مكان تعرف أني أغشاه، وقد أخبرتني أم شحاتة أنها جاءت تبحث عني اليوم فقالت لها: خالتك مسافرة.

نعم ما فعلت.. وهل نحن مسافران حقا؟ وأنا ما زلت بوعثاء

السفر، ما زلت لم أر من قاهرة المعز ولو حيّا واحدا عد مكان الفندق الذي نزلت فيه يوم أن وصلت ومكتب الخدمات الذي وجدتك فيه، ودارك وهذه الجولة اليوم.

سترى الكثير، جولات كثيرة سنقوم بها في ربوع مصر كلها، في الوجهين القبلي والبحري، وفي مدن القنال وفي الصحراء إن شئت، أما شهر العسل فسنقضيه في فنادق الغردقة والعين السخنة على ساحل البحر الأحمر الساحر، وسترى ما يسرّك من مناظر في ذلك الساحل، هناك الحرية المطلقة فهي منطقة للراحة والاستجمام، لا يؤمها إلاّ الأثرياء وكبار الرسميين والسوّاح الأجانب من كل بلاد العالم، هناك الرفاهية والحياة الباذخة ـ لم تنبعث منتجعات شرم الشيخ في ذلك الوقت ـ سترى بعينك سحر الطبيعة والجمال، وتلمس الخدمات الراقية في المطاعم النظيفة التي تقدم الأكلات العالمية من إيطالية ويونانية وفرنسية ومن أسبانيا ـ طعام شعوب حوض البحر الأبيض، إلى جانب المطاعم الصينية والشرقية، والمقاهي والحانات التي تقدم أنواع المشروبات الروحية والمشارب الأخرى.. هناك ملاعب الرياضة بأنواعها بما فيها فضاءت ألعاب القولف ورياضة ركوب الخيل. انّه عالم خرافي، تجد فيه كل ما هو موجود في الدنيا.. هناك يا حبيبي سنقضي أيامًا سعيدة سوف تحتفظ بها الذاكرة مدى العمر، هذه الرحلة الجميلة كما أتوقعها، والإقامة في هذا المكان الفريد، هي هديتي لك بمناسبة زواجنا الميمون، وقد حجزت تذاكر السفر، والإقامة في ثلاثة فنادق مختلفة لمدة

ثلاثة أسابيع كل أسبوع في فندق، والتكاليف مدفوعة مقدما، فأنا وأنت واحد كما قلت لي سابقا بعد الزواج، أليس كذلك؟

نعم نحن واحد لكنك لم تستشيريني قبل، وعلى كل حال لا بأس مغفورة لك.

والآن يا حبيبي، من هنا رأسا على قصر صاحبتي فهي الآن أعدّت كل شيء، وأم شحاتة هناك وقد رتبت جميع مراسم الزواج، والمأذون والشهود في الانتظار، هذا ما أخبرتني به صاحبتي منذ قليل عندما طلبتني على الهاتف.

أخذت جلبهار هانم وخطيبها منصور سيارة تاكسي عاديّة من الفندق، أوصلتهما إلى قصر صاحبتها، حيث وجدا الجميع في انتظارهما، دخلا فاستقبلتهما أم شحاتة بزغرودة مدوية تعلن قدوم العروسين، جلسا بين الحضور، قدمت المشروبات إلى الحضور: المأذون والشاهدان وصاحبة القصر وخالها وصاحبتها وأم شحاتة لا غير.

هنيهة قصيرة، وبدأ المأذون، ينطق بما حفظه عن ظهر قلب من تقرير شفاهي يعاد في كل زيجة بصيغة واحدة، فحواها: الطلب والقبول وقيمة المهر يعقبها الدعاء بالرفاء والبنين، وأن الزواج مودّة وسكينة وهو على سنة الله ورسوله، وقد رغّب فيه رسول الله لمن استطاع وما إلى ذلك من أقوال من عند المأذون.

انتهى كل شيء، دفع منصور مبلغا ماليا للمأذون وكذلك للشاهدين، كان مبلغا محترما، نهض بعدها المأذون مستعجلا من أجل

زيجة أخرى في مكان آخر، وقبل ان يغادر المكان، قال موجها الخطاب إلى السيد منصور غدًا بأذن الله سيكون العقد الشرعي مسجلا في دائرة الأحوال الشخصية، وستكون قسيمة الزواج جاهزة خلال ثلاثة أيام. لي صاحب هناك سيتولى أمرها.

بعد خروج المأذون والشاهد الجنايني، نظر منصور في وجه جلبهار منكرا ومستفسرا، ماذا يعني قول المأذون؟!

فهمت هي قصده، وكانت محرجة أمام منصور بسبب ما تفوّه به المأذون، وفي نفس الوقت هي بريئة من كل تدبير وسوء قصد، قد يضن حبيبها أنها ضالعة فيه، فالاتفاق بينهما كان على الزواج المسيار، والآن حسب تصريح المأذون وصيغة العقد والشهود وموضوع التسجيل في دائرة الأحوال المدنية، أصبح الوضع غير ما اتفق عليه، الآن العقد شرعي والزواج رسمي لا شأن له بالمسيار، قالت جلبهار تخاطب منصور:

حبيبي أرجو أن يكون ضنك بي حسنا، أنا لا دخل لي فيما حدث من لبس، ولا أعلم من أوحى له ـ المأذون ـ بذلك.

لا عليك حبيبتي، نحن صار حالنا كحال الأبكم، أو كما نقول (كلام البكوش في صدره) قول شعبي متداول، لا أنا ولا أنت أخبرنا بما اتفقنا عليه، فاللوم عليّ وعليك، والمأذون بريء والشهود، والقدر أراد أن يكون العقد حلال محلّلاً، نحن نريد والله فعّال لما يريد، لعل في هذا خيرنا، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم، كوني كما كنت فرحة

مستبشرة، لا أريد هذا التبرّم الذي طرأ عليك فجأة، أنا واثق منك ولا شك لي فيك أبدا، أنت الآن زوجتي على سنة الله ورسوله، والله أراد بنا خيرا ونعم المولى ونعم النصير.. هيّا زغردي.

يا حبيبي.. يا حبيبي ما أنبلك.. أنت شهم وصاحب مروءة يا منصور، وقامت من مجلسها فقبّلته أمام الجمع وهي تقول: أنا لا أعرف أن أزغرد إلاّ بهذا الشكل.

ضحك الجميع من قولها وفعلها، أم شحاتة ضحكت وباركت فعل جلبهار سيدتها وزغردت لها ولعريسها، ودعت لهما بالذرية الصالحة وهي تعلم أن جلبهار هانم، لا تنجب هي: عقيمة.

قال منصور:

لا تتعجلي يا أم شحاتة، امنحينا فرصة سنة، سنتين ثلاثا، بلا حبل ولا ولادة، ما زال في العمر فسحة إنشاء الله.

قالت صاحبة جلبهار العجوز الثرية المطلقة التي أنجبت ولدين وبنتا، أحدهما في استراليا والآخر في كندا والبنت متزوجة وتعيش مع زوجها في الإمارات:

وما نفع الأولاد؟ أنجبنا وربينا وعلمنا فلما كبروا واعتمدوا على أنفسهم، تركونا ونحن في حاجة إليهم على الأقل اجتماعيا.. نسونا وانشغلوا بأولادهم الذين سينسوهم حتما يومًا ما.

قال خال العجوز وهو شيخ طاعن في السن:

وأنا يا ولدي أنجبت خمسة أولاد وثلاث بنات، وأحفادي بالعشرات لم أرى منهم أحدا منذ عشر سنوات، الدنيا تاخذ منّا أولادنا وتأخذ عمرنا أطال الله عمرك.. مبروك يا ولدي، وهنيا لك بهذه المرأة الطيبة. جلبهار هانم، أميرة لم نر منها الآ كل خير، وأرى أن الله كافأها على حسن خلقها وسيرتها مع الناس، أكثر الله من أمثالها.

قال منصور ردا على الرجل ويخاطب من حوله:

سأضعها في عيوني، هي كما قلت يا عم، أميرة وستجدني الزوج المخلص الوفي بإذن الله.

نزلت دموع التأثر ممزوجًا بالفرح ، كفّتتها العروس بمنديل في يدها، فالموقف كان مؤثرا، كلمات الإطراء التي سمعتها من الشيخ وأمّن عليها زوجها الحبيب حركت فيها الشجون.

تبدّل الجو قليلا، فعم الانشراح الجميع بما فيهم جلبهار التي كفّفت دموعها وأطلقت وجهها، ونظرت إلى منصور نظرة فيها معنى..

استدركت مضيفتهما صاحبة القصر الموقف، قالت:

أعددنا لكما جناحا في القصر كامل المرافق واللوازم، هو تحت أمركما من الآن، على أن تقيما فيه ما شيتما، وهذه أم شحاتة ترشدكما إليه، وهي تحت أمركما في الخدمة وكذلك خادمتي من الآن، وأشارت إلى أم شحاتة أن ترافقهما إلى الجناح، ثم اعتذرت لهما واستاذنت في الذهاب إلى الفراش فهي تنام في الوقت المحدّد.

قال منصور:

نحن شاكرون لك فضلك، ولا ننسى لك هذا الجميل الذي طوقت به أعناقنا، هي الأصالة فيك وكرم المحتد.

العفو.. الحمد لله الذي قدرني على أن قمت بواجبي نحوكما، وأنتما خير من يقدم له الواجب.

قالت جلبهار:

زكية هانم حبيبتي وروحي، والشكر والثناء عليها على ما قدمته لنا لا يفيها حقها.. فقط حبيبتي زكية هانم: أحب أن أخبرك أنّنا غدا مسافرين عن طريق الجو إلى الغردقة لقضاء شهر العسل هناك.

زكية هانم:

يا بختكما. ونعم الاختيار، ذلك المكان هو جنة العرسان والآن تصبحون على خير ودامت لكما السعادة وقامت تلتحق بغرفة نومها.

منصور: هيا بنا يا عروسة. أناس يذهبون إلى النوم وآخرون يذهبون إلى النضال.. هكذا هي الحياة كلٌّ في حال، تبسّم في خبث وبرقت عيناه في وجه جلبهار وأخذها من يدها ثم قال:

من الآن أنت جلبهار فقط، لقد أسقطنا الألقاب كما ألغتها الثورة عندكم.. هيا تأخرنا كثيرا.

جلبهار: لا كلفة بين الأزواج ولا ألقاب، بينهما المودّة والمحبة والعشرة الطيبة والإخلاص.

منصور يبتسم.. فقط؟!

وأشياء أخرى.

ضننتك نسيتيها.

يا ماكر، أنت الذي لا تنسى.

ضوضاء العرس تذكرني بأشياء جميلة بعده.

لا أسألك ما هي إلاّ بعد ان ندخل الجناح.

هناك سيكون شأن أخرى فلا أنت تسألي ولا أنا أجيب.

وهما يتحاوران وقوفا وفي حالة تأهب قصوى، فطنت أم شحاتة إلى أنهما سيتحركان نحو جهة مقصودة فسبقتهما تفتح الطريق.. وصلا إلى الجناح، دخلا وعادت.

أسدل الستار على فصل مستور لا يعرف أحد ماذا دار فيه من أحداث، عدا اثنين لا ثالث لهما، الاّ سريرًا عال فخمًا تغطّيه الشرائف وتتناثر فوقه الوسايد، كان كالمرسح تعرض فوقه المشاهد دون متفرجين.

وجاء الصباح السعيد كان الإفطار جاهزا بعد الساعة العاشرة أعدته وأشرفت عليه أم شحاتة بمساعدة خادمة زكية هانم وبتوجيه منها بخصوص محتوياته ووقته.

بعد دش الصباح الذي سبقه أكثر من دش أثناء الليل، جلس منصور يرتدي الروب وجلبهار تواجهه مرتدية تنّورة، قصيرة (وبدي) بلوزة مشجرّة دون أكمام، يتناولان الطعام المشكّل من كل صنف مع

القهوة وعصير المانجة الطازجة، وكان الحديث يشمل مفارقات البارحة التي ما زال طعمها في اللسان، مفارقات كلها تتعلق بتلك المشاهد التي دارت على الركع ـ السرير ـ وكان فيها إبداع من الطرفين دون ملقّن للحركة والكلام، يضحكان من بعضها كيف جاءت تلقائية سلسة، وبعضها جاء عفويا دون ما تعمّد، هي الطبيعة تفرض أشيَاء من عندها.

كانت أم شحاتة قد أعدت ثلاث حقائب كبيرة بتعليمات من سيدتها، وضعت في اثنين منها ملابس مختلفة: بلوزات وتنورات وبنطلونات وفساتين من كل صنف ولون للسهرة وللخروج في النهار، كلها من موديلات حديثة، وأحذية وقبّعات تخص السيدة جلبهار، وفي الثالثة تلك البدلات التي اشترتها في يوم سابق مع قمصان وأرواب وربطات عنق وأحذية وأحزمة خاصة بالسيد منصور، ترافقهما حقيبة صغيرة بها لوازم الزينة وأدوات الحلاقة مشتركة بين منصور وجلبهار، كل ذلك كان جاهزا وحاضرا في ركن من مخزن قرب الباب الرئيسي.

عند الواحدة بعد الظهر تنطلق سيارة فخمة مزينة بالورود والأشرطة الملونة هي سيارة زكية هانم يقودها سائقها الخاص، وتنطلق في أثرها الزغاريد من أم شحاتة وخادمة السيدة زكية هانم. كانت السيارة متجهة صوب المطار، فالرحلة إلى الغردقة على الساعة الثانية بعد الظهر.

حلقت الطائرة في السماء، وحلّق خاطر كل من جلبهار ومنصور يسبح بين الحقيقة والخيال، جلبهار كانت تستعرض أحداثا عاشتها خلال ثلاثة أيام وهي غير مصدقة أنها قد تظفر بمنصور وتتزوجه،

هذا الشاب الوسيم الساحر كما تقول له دايما، وهي مقتنعة برأيها، وبين الخيالات والتصورات التي قد تقع خلال أيام شهر العسل.

أما منصور فقد مرّ بخياله أشياء كثيرة منذ أن وطئت قدماه مكتب الخدمات بما في ذلك طيف ناريمان تلك الفتاة التي كانت تنط كالغزال في سروال لاصق.

في قاعة الرحيل مر الوقت سريعا، عشرون دقيقة فقط، تبادل فيها منصور وجلبهار كلمات قليلة أغلبها تعليقات عن أحداث ليلة البارحة، وبعض ملاحظات حول الركاب الجالسين مثلهم في الانتظار: عجوز تتوكأ على عكاز بدأ يتخلى عنها العمر، ذاهبة في نفس الرحلة إلى المكان تجدّد ذكرياتها كما يبدو، وأخرى شابة في مقتبل العمر تشبك يدها في يدى شاب وتخاطبه بعيونها تغمرهما السعادة، يظهر أنهما عروسان، ومشهد ثالث امرأة تقارب جلبهار بالعمر تحتضن مهدا صغيرا مبطنا بلين القماش يرقد فيه وليد ترنو إليه وتناغيه في فرح.

ويمر الوقت، وتأتي سيارة كبيرة (باص) ويفتح باب القاعة ليستقلّها الركاب إلى الطائرة الرابضة في مكان ليس ببعيد في ناحية من المطار قريبة من مهبط النزول والإقلاع.

تقلع الطائرة وترتفع تدريجيا محلقة في الفضاء، معلقة بين السماء والأرض، تاركة بلدا يموج بالحركة والبشر، قاصدة أخرى، وهي عامرة أيضا بسكانها يمارسون فيها الحياة.

قال منصور بعد أن فك الحزام متحرّرًا منه ومسندا المقعد إلى الخلف، ناظرا إلى جلبهار بجوار النافذة تنظر إلى سحب صيف عابرة، وكانت مستغرقة في أحلام اليقظة والخيال. كما ظهر له.

قال:

جلبهار.. أنت سعيدة بي؟

تسألني وأنت تعرف الإجابة.. يظهر يا حبيبي أنك تنكر مشاعري التي تطفح على وجهي.. ألا تراني متألقة فرحة مستبشرة، كمن ضفرت بحبيب تعشقه حد الهيام، يأخذها إلى جنة الحلم ويطير بها على جناح الشوق، كنت أحلم يا حبيبي بالنعيم الروحي تحت جناحك في الفردوس.

تغيب عني الحقيقة أحيانا وأنسى، ألا لعنة الله على النسيان.

قلت النعيم الروحي.. ألم يكن هناك شيء من النعيم الجسدي؟؟

وهل هناك نعيم روحي إلاّ بعد ان يرضى الجسد خاصة لمن كان في ريعان الشباب مثلنا؟!

قال:

الإشارة أمامك تقول: اربط الحزام نحن نباشر الهبوط.

إلى الفردوس.. إلى النعيم المقيم.

لمدة ثلاثة أسابيع كما قلت.

سنمدّد إن طاب لك المقام ورغبت.

يطيب لي المقام ما دمت معي أينما كنت.

يا حبيبي ما أروعك من صاحب نبل ومروءة.

وانت الرائعة والجميلة الفاتنة ولا أنسى لك الإخلاص ما حييت.

أفديك بعيوني، وأنا خادم لك وزوجتك الوفية المخلصة.

في الغردقة قضى منصور وجلبهار ثلاثة أسابيع كاملة، تنقلا فيها بين ثلاثة فنادق فخمة، كانت أيام عسل، ساد فيها الحب والمودة والانسجام، أيام هانية رائعة اعترفا فيها من متع الحياة ولذيذها، كأنهما في الفردوس، كان منصور راضيًا قرير العين يأسره جمال زوجته وفتنتها، ويفرح قلبه بطيبتها وحسن أخلاقها وفضلها اللاّ محدود، وهي كانت مغرقة في العشق حد الثمالة أرضاها زوجها وحبيبها على كل المستويات، وهي الأرملة منذ سنوات كانت فيها ذات عفة ومحافظة على الشرف، حتى جاء سعدها بالزوج الحبيب الذي استهوى قلبها وملك عليها مشاعرها فاغترفت من الحلال.

***

قررّت جلبهار أن تكافئ زوجها، بهدية فريدة من نوعها. حجزت جناحا في فندق فخم خارج البلاد لمدة ثلاثة أيام وفاجأته بالأمر.

هنا تتحول الأحداث إلى خارج مصر إلى يوغزلافيا.

هبطت الطائرة على بعد خطوات من صالات الدخول، تسرّب الركاب عبر الممرّ الكبير إلى الداخل، لا إجراءات تذكر ولا انتظار عدا ما يستغرقه الوقت لاستلام الحقائب، ومن ثم تبدأ الحافلات في نقل القادمين

وتوزيعهم على الفنادق التي تم لهم فيها الحجز على اختلاف المدد.

دخلت الحافلة من البوابة الكبيرة إلى أمام باب قاعة الاستقبال، نزل منها العروسان، منصور وفي يده حقيبة يد صغيرة بها بعض المتعلقات: جواز السفر ودفتر ملاحظات به بعض العناوين وأرقام الهواتف وكتاب كان يقرأه قبل أن يتعرّف على جلبهار، ويدخل في دنيا غير دنيا الكتاب.

وجلبهار تحمل حقيبة يدها، تلك التي تلازم المرأة أينما ذهبت، وقد اختارتها على لون الحذاء وتمشيًا مع اللباس والقبعة التي تضعها فوق رأسها. وفي يدها مروحة خفيفة مزركشة لا لزوم لها إلاّ أنها من مظاهر الأرستقراطية.

على باب المدخل إلى صالة الاستقبال، كان هناك موظف بلباس رسمي يعلق بعض الشارات الغير رسمية، تابع لأكثر من جهة أو جهاز هو في الظاهر حارس للباب الخارجي، لكنه يتطوع لمرافقة الزبائن القادمين المستجدين، يساعده عامل يهتم بالحقائب يحملها فوق عربة وينتظر التعليمات من موظف الاستقبال المسئول بتسكين الزبائن يعرف الغرفة أو الجناح المقصود، وهناك آخر يستلم المفتاح الأكتروني في ظرف عليه رقم الغرفة، وكل هؤلاء المرافقين يتحركون في خدمة الزبون، يقدمون له خدمة لا لزوم لها في أغلبها، وكلّهم ينتظرون البقشيش، وكلهم مطلوب منهم تقديم التقارير حسب الرتبة من أدنى إلى أعلى، يؤخذ بها أو لا يؤخذ، فأغلبها غير ذات بال.

دخل منصور وجلبهار إلى الجناح المخصص لهما والمطل على حوض السباحة كما طلبت جلبهار عند الحجز، يرافقهما مدير الاستقبال في زيه التشريفاتي الرسمي ترافقه مديرة قسم الأجنحة وهذه تساعدها فتاة جميلة مكلفة بالنظافة، تجر أمامها عربة تحمل مزهرية بها باقة من ورود حسب حيثية الزبون، أحيانا تكون ورودًا بيضاء كالتي تقدم لرجال الأعمال، وكبار المسئولين، وأحيانا ورودا ملونة يغلب عليها الأحمر، وهذه تقدم للعرسان، ومن في صحبته امرأة خطيبة أو حبيبة أو حتى عشيقة، وقبل أن ياخذ الزبون راحته، ويبدأ يضيق بهذه المراسم المبالغ فيها ـ ومدير الاستقبال لم يخرج بعد ومرافقته مديرة الأجنحة تدخل عربة أخرى يدفعها موظف خاص بتقديم سلال الفاكهة احتفاء بالزبون وكل الذين دخلوا ينتظرون المكافأة، مع الترحيب المتكرر: أهلا وسهلا يلزم أي خدمة أخرى، صيغة يفهم منها: نحن في انتظار البقشيش ولا يرتاح الزبون إلا بعد أن يخرج هذا الحشد المفتعل المتطفّل الذي لا لزوم له بهذا العدد والمهمات التافهة أحيانا .

تحركت جلبهار بعد أن وصلت الحقائب، وأخذت ترتب محتوياتها في الخزائن، كما أفرغت أدوات الزينة وقنينات العطور، وضعت كل شئ فوق الرفوف في الحمّام.

أما منصور، فقد امتدت يده إلى سلة الفاكهة بجانبه فتناول تفاحة قضم منها ونادى جلبهار، جاءت مسرعة.

قالت: روح جلبهار.. أمرك حبيبي؟

هذه تفاحة ادم، قطمت منها قطمة، خوذيها يا حواء وقرّب لي الكأس، أرى في ذلك الركن عربة فوقها شيء من ماء الذهب، وشيء من فضة.

ضحكت وقالت:

ما ألطفك.. ساحر بكلامك وبوسامتك يا نصري العزيز.

هل غيرت لي اسمي؟ لا ضير ان راق لك ذلك أنا نصرك، ومنصورك ومنتصر عليك.

في الكلمة الأخيرة الصفة: قولان.

نعم منتصر عليك، عشم لا يخونني.

سوف نرى، وأن يغلب الرجل المرأة ليس بأمر مستغرب. لكن المرآة أحيانا تقهر الرجال.

الضعفاء منهم.. المرأة دائما ضعيفة، ألا ترى أن الرجل أقوى من المرأة حتى في البنية الجسدية.

لكن سلاحها أمضى، ومقاومتها شرسة، ومناوراتها لا يقدر عليها أقوى الرجال، هي المسكينة المستضعفة المترفق بها كقارورة العسل، لكنها ـ وهذا يغرب عن بالكم أنتم الرجال ـ هي حية رقطاء تلدغ فتميت، وتزحف متخفّية عن مسرح الجريمة في لمح البصر.

تعالى إذًا يا أفعى، جرّبي سمك القاتل، كانت تقف قريبا منه حافية القدمين وما زالت بلباس السفر، وتضع القبعة على رأسها، طوحتها، وقالت:

أخاف عليك من الفستان، ولم تقل أخاف على الفستان أن يصيبه هلاك.

لا تخافي عليّ من شيء أنا الذي أخاف عليك من الدمار.

دمرني كما تشاء، ما أحلى دمارك دعني فقط أنزع ما يعوقك.

لا تنزعي أنا الذي أنزع.. جذبها إليه وكانت تقف قريبا منه غابا في قبلة طويلة.. تحررت منه تلهث. قالت:

عنيف ومتعجل.

لمح السرير الكبير في الغرفة الرئيسية المفتوحة الباب على الصالون حيث يجلس قال:

صبي لي كأسا أنا داخل إلى الدش.

لا تهرب، لاحقة بك بعد ان أنفذ أمرك.

نعم ما تفعلين.

صبت له ولها وتحرّرت من فستانها وما فوقه وما تحته، ودخلت عليه حورية بحرية غمها وإياه رذاذ الماء.

قال وهو يفتح عينيه وقد أصابهما الماء

دخلت الأفعى الرقطاء؟!

لا تخف الحية لا تلدغ في الماء.

دقائق معدودة ليس إلاّ، فهما قد شبعا من الاستحمام الليلة الفارطة، مجرد عادة تعوداها قبل الدخول في الفراش. قفل هو مصدر الماء، واخذت هي فوطة كبيرة معطّرة نشفت بها جسمه وطوحتها،

أخذت الثانية نشّفت بها وربطتها حول خسرها، ألبسته روبًا للحمام وسبقته نحو غرفة النوم، غافلها فنزع منها الفوطة. ضحكت وضحك وتواريا خلف الباب.

بعد ساعة تذكّر الكاس قال:

أنسيت أن تصب لي كأسا؟!

هذا الدمار والخراب الجميل لم أعد أذكر معه شيئا.

شربا الأكثر من كأس داخل الغرفة ثم لبس كل منهما ما خف وراق له وخرجا إلى الصالون، هناك بين سلة الغلال ومزهرية الورد، واصلا الشراب حتى شعرا بالجوع فقصدا فضاء المطاعم المختلفة التي تقدم كل أكلات العالم، تخيرا أحدها وفي ركن منه جلسا حول طاولة مرتبة ومزينة بالزهور قالت:

أكاد أموت من الجوع. منذ أن خرجنا من الفراش.

وأنا مثلك، ولو لا تلك المزات التي صاحبت الكؤوس لما صبرت حتى الآن.

هي الطبيعة البشرية.

لا تنسي أن الجهد يفقد الإنسان بعض الطاقة، ولا تعوض إلاّ بالطعام.

إنسانيتنا هكذا، طبع كما قلت.

سيسعفنا هذا الطعام المنوع الذي وضع أمامنا على كل شكل من استرداد بعض القوة.

- الليلة يا حبيبي سنسهر في ملهى أعرفه قريبا من هنا، إذا لم يكن بك ميل للراحة أو النوم.

أي راحة وأي نوم، هي أيام سنقضي لياليها في سهر مستمر والنهار كفيل بالنوم.

وأنا من رأيك، هو شهر العسل الذي لا يتكرّر في العمر.

هذا يسمى إجازة للراحة والاستجمام، أما العسل الذي يقولون به مجرد اسم مجازي، وكان يجب أن يسمى شهر الراحة والسكينة، أما العسل وشهر بحاله، كثرة غير محمودة، ألم تسمعي بالمثل (كثّر من العسل يبسال) بمعنى يصبح غير مستساغ، وإلاّ ما رأيك انت؟؟

وهل لي رأي مع المنطق والفلسفة؟! أنت كما قلت لك سابقا رجل يتعامل مع الحقيقة، والفلسفة بحث عن الحقيقة.

في اليوم التالي وقبل موعد طعام الغذاء، في ساعات الضحى خرج هو من الجناح يلبس شورت، وقميصًا مفتوح الصدر وينتعل صندلا خفيفا، وتبعته هي تلبس بلوزة مفتوحة أيضا إلى قرب النهدين وتلبس شورت لا يكاد يغطي نصف فخذيها، تمشي حافية.

التفت وراءه فراها تتبعه على هذا الحال، أدركها منّبها: جلبهار ما هذا؟! فتنة سيراها كل الموجودين في الفندق.

يا حبيبي أي فتنة هذه التي أنا عليها؟ أنت لم تر الفتنة بجد، سترى الفتنة عندما تجلس على حافة حمّام السباحة أو تمر في الحديقة وتجد الخلق

في الشمس وفي وضح النهار، عراة ونصف عراة.

لم أسمع ولم أرى هذا من قبل، من هم العراة ومن نصف العراة.. أنا لا أصدق ما تقولين.

سترى بعينك كل شيء، أما العراة فهن الفاتنات الشابات جئن من كل بلاد الدنيا أغلبهن من أوربا وراء البحر، شقراوات يحرصن على حمّامات الشمس في الحديقة وعلى المسبح ليكتسبن اللون البرنزي الذي يفضلنه على الأبيض الذي يعشقه الشرقيون، واما نصف العراة فهن العجائز اللاتي ينشدون السمرة ويتزودن بالكلسيوم على حد قولهن.. وأنت يا حبيبي تنكر علي هذا اللباس الذي تقول عنه يشف عن الفتنة أي فتنة مع صبايا لا يتجاوزن العشرين عاريات من كل لباس؟!.

هن عاريات من الحياء إذا صح قولك ووجد ما تصفين هنا في هذا الفندق.

سر بنا وسترى.

إذا صح ما قلت مسموح لك بهذا ولا تزيدي.

على ألا تحرن بينهن، وهن بدورهن ستأسرهن هذه الوسامة الساحرة فيك، وهذا الجسم الرياضي واللياقة، ساعتها سأجن من الغيرة ولا تأمن ماذا أفعل.

وماذا ستفعلي؟ إذا راقنى ما تقولين وحرنت.

سأنشب فيك أضافري، وأصرخ بقوتي وأسوقك أمامى قصرا إلى حيث كنّا.

هكذا يكون في شهر العسل؟ الصراخ ونشب الأظافر والناس شهود؟؟

لا تفعل إذًا.. لا تحرن تسلم.. يا حبيبي أنا واثقة منك، وأعلمك أنهن: صبايا وعجائز يضعن نظارات شمسية معتّمة على عيونهن ويتفحصن الرجال بنهم، هنّ فارغات متحررات سائحات ينشدن الرجال والشمس.

وهل أنا غرٌّ طائش؟ وملك عيني هذا الجمال والجسد الطاهر؟!

انتبه، معك حارس شديد غليظ.

أنا محروسٌ إذًا ومراقب ومضيّق عليَّ الخناق.

هذه معلومة أريدك أن تأخذها في اعتبارك فلا تحرن، أو تحاول الإفلات، ستكون محط أنظارهن بما فيهن العجائز المتصابيات، وأنا أمامك وخلفك ومن الجانبين وضحكت وضحك، ثم قال:

الآن أنا مطمئن على أمني الخاص.

معك (قارون بوى) فلا تخف، الحراسة مشدّدة والإفلات مستحيل.

دعيني أنظر فقط إلى ما شوقتيني له على الأقل من قبيل العلم بالشيء خير من جهله.

نظرة واحدة فقط، هي التي سمح لك بها الشرع.

تلك النظرة في وجه المرأة لنعرف جنسها، أما هنا كما تقولي هي نظرة إلى أجساد الفاتنات العاريات، هذه لا يجيزها الشرع ولا السنة.

تحركا بعد هذا الحوار القصير، خرجا من الباب الزجاجي الدّوار،

الذي يفضي إلى الحديقة الواسعة التي يحتضنها مبنى الفندق على شكل هلال، تنطصب فيه الأجنحة فوق بعضها البعض، ومنها جناح جلبهار ومنصور في الطرف من جهة اليمين، وفي الدور العلوي، حيث تكون الرؤيا (بانوراما ساحرة ـ خاصة في الليل حين تضاء الأنوار فتنعكس على ماء المسبح.

بعد خطوات، بدأت عينا منصور تصدم بالأجساد النصف عارية من الجنسين، وهؤلاء أغلبهن من كبار السن وفيهم متوسط العمر وبعض الصغيرات من الفتيات، أما الشباب فيندر وجوده، وإن وجد البعض ففي الفضاء الآخر الحر الذي لا يلبس مرتادوه شيئا.

كان منصور يسير رفقة جلبهار مأخوذا بهذا المنظر وجلبهار تراقبه وتختلس بدورها النظر، أجساد مطروحة في أوضاع مختلفة حول المسبح وبعيدا عنه، كلّما كانت هناك ساحات تسقط عليها أشعة الشمس الحارقة، فالحال صيفا والرياح ساكنة، التفت منصور إلى جلبهار قال:

ما هذا؟ عقلي يكذّب، وعيني تصدق.. هذا عجب عجاب.

لم تر بعد العجب العجاب، هناك في الفضاء الحر سيطير عقلك ولا تكذّب عينك.

وهل هناك أعجب وأغرب؟!

سترى، على ألاّ تحزن.

وعدتك لن أفعل، وعاهدتك.

وهل كل الرجال يوفون بالعهد؟! ورغم ثقتي فيك أنت بالذات. لكنهم الرجال: عيونهم (زايغة) وإرادتهم ضعيفة خاصة أمام الجنس، وأي جنس هذا الذي ستراه معروض كما...

كنت غير راغبة في أن أرى ما تصفين، فلا تذهب إلى هناك، أنا لا أريد أن تضن بي الضن.

لا. لابد أن نذهب، للعلم بالشيء خير من جهله كما تقول.

سارا بعد جولة ليست سريعة كانت متمهلة في الحديقة وحول المسبح، ثم تحولا إلى الفضاء الآخر.

فضاء واسع وعلى امتداد طولي ليس بالقليل، على شاطئ البحر خاصًا بالفندق ذى الخمسة نجوم، الذي حجزت فيه جلبهار جناحًا رويال، ملوكي لمدة ثلاثة أيام، فالإقامة في مثل هذا الفندق خصوصا وان الدفع فيه بالعملة الصعبة، يكلف ما يكفى لإقامة شهر في فندق آخر ومن نفس الفئة، ينقصه، الشاطئ الحر ليس إلاّ.

ساقتهما الارجل إلى ذلك الشاطئ الخرافي الذي لا يصدقه عقل من يسمع به ولم يره، كانت تلك الجولة برغبة منصور ورضاء جلبهار، وفي الحقيقة جلبهار هي التي تعمدّت ذلك، منذ أن فكرت في الرحلة ودبّرتها، لتفاجئ منصور بشئ لم يره من قبل أو يخطر على باله مبالغة في إكرامه وتدليله من جهة، ومن جهة أخرى رغبت في أن تعيش معه أجمل أيامها تحتفظ بها ذكرى عزيزة طوال عمرها.

في ذلك الفندق الفخم على أحد الشواطئ من جهة بحر الأدرياتيك في يوغزلافيا، كان مقامهما لمدة ثلاثة أيام في جناح يحدّث عنه كخرافة، وإن بالغ المتحدث عنه لا يفيه حقه وصفا للضخامة والفخامة والراحة والرفاهية.

في هذا الجناح الفحم لا يجب أن يضيع الوقت سدى في إغماض الجفون، ولا التفكير في أي شيء آخر، قد يفسد هذه الأبهة، والجو الساحر الرومانسي، فالحياة هنا راقية مرفّهة باذخة، علينا أن نغترف منها ما شئنا، ليبقى لنا ذكرى عزيزة مدى العمر، قالت جلبهار:

منصور: ولماذا التفكير في شيء آخر، هي الأيام: يوم مرّ ولن يعود بخيره وشره، وآخر آت لا نعلم ما سيكون فيه، ويوم نحن فيه علينا أن نعيشه طولا وعرضا ولا تفكر في يوم مضى وآخر مجهول لم يأت بعد.

نعم الرأى والنظرة إلى الحياة. قالت جلبهار

عادا بعد جولة قصيرة حول المسبح وفي الحديقة إلى الجناح، قال منصور:

والآن لنترب ملابسنا في الخزاين، ونضع أغراض الزينة في الحمّام، ثم نستريح قليلا بعد أن نغيّر ملابسنا.

دع عنك كل شيء، هنا لا تقوم بخدمة أي شيء، هناك من يقوم بهذا، كل شيء مدفوع ثمنه، حالا كما استقبلنا ذلك الحشد من العاملين في الفندق: مدير الاستقبال، والبواب وموظف الحجز وحامل الحقائب والمرشد إلى الجناح وجالبة باقة الزهور وحاملة سلّة الفاكهة، ستأتي أخرى ترتب كل شيء وتتفقد النظافة وتسأل هل ينقصكما شيء؟

وتعنى هل من بقشيش.

أنت حافظة هذه المراسم والبرتكول في مثل هذه الفنادق كأنك زبونة دائمة لا تنسى شيئا أبدا.

تعرف أن زوجي المرحوم كان من كبار الموظفين السامين وكان يؤدى للدولة مهمات كثيرة في دول أوربا، كنت أرافقه في بعض المرات.

حين دخل منصور وجلبهار ذلك الفضاء الممدّد على شاطئ البحر، والمحظور دخوله على غير زبائن الفندق، ما له ما ترائى له من منظر لأجساد بشرية عارية تمامًا، مسترخيا بعضها على كراسي خاصة كأنها فراش، وبعضها مستلقيا على الرمال البيضاء الناعمة، وأخرى في صالة جلوس عادي فرادى وجماعات يتبادلون الأحاديث من كل الجنسين، شباب وشابات، وآخرون في منتصف الأعمار، ويندر وجود العجائز وكبار السن في هذا المكان، وإن وجدت بعض الشاذات من النساء، يكون النشاز بعينه، ولا تفعله عاقلة، فهي أن فعلت تعرّض نفسها للسخرية والاشمئزاز، لذلك تجد العجائز من الإناث والذكور يتحاشون الدخول إلى هذا الفضاء، ويكتفون بالحديقة والمسبح هناك حيث مسموح بنصف العري فقط.

أصبح الآن وضع جلبهار ومنصور شاذا بعض الشيء، فهي تلبس شورت لا يكشف الاّ على نصف فخذيها السفليين، وقميصها رغم أنه يكشف جزءا كبيرًا من الصدر إلاّ أنه يخفي النهدين، وكذلك منصور وهو الشاب الذي لم يتعد الثلاثين، كان يرتدي الشورت وقميصًا مفتوح

الصدر، الأمر الذي جعل كل المنبطحين والمنبطحات على الرمال، والمسترخين على الكراسي والجلوس ينظرون اليهما كنشاز مستغرب يقتحم عليهم ـ العراة ـ خصوصيتهم ولو جاء منصور وجلبهار كما خلفنا لكان الوضع عاديًا وسليمًا.

أخذ المنبطحون والجلوس العراة، يشيرون إلى الزوجين اللاّبسين ويضحكون، وربما يستهجنون الوضع، غريب هذا العالم وعجيب، نحن المستوران يسخرون منا ويضحكون ، وهم العراة حتى من ورقة التوت يعتبرون وضعهم هو الصحيح، قال منصور:

الغالبيّة غالبة في أحكامها قالت: جلبهار.

قال:

إما أن نخرج ونرتدي مثلهم فلا نكون نشازا في حكمهم وأما أن لا نعود إلى هذا المكان، ونبقى على المسبح فبعض الشر أهون من بعض قال منصور:

وماذا نرتدى مثلهم؟! هم لا يرتدون شيئا.

نرتدي العري.

هذا هو الوضع الصحيح بالنسبة لهم.

هم الغالبون كما قلتي.. مئات الأجساد العارية تنتشر على هذا الشاطئ الساحر ماذا تكون النسبة؟! اثنان إلى جمع يعد بالمئات.. هيا نعود على الأقل إلى المسبح حتى لا نعرض أنفسنا لمزيد من السخرية.

في فضاء الحديقة حيث المسبح جلس الزوجان على طاولة وطلبا مشروبا باردا، أخذتهما الأحاديث والتعليقات على هذا العالم المجنون، عالم هؤلاء العراة، وكيف هي فلسفتهم في هذا الشأن، وما هو منطقهم إذا ما ناقشهم أحد في قضية العري هذه هل هم أصحاب نظرية جديدة؟ أو مذهب في الحياة أم ماذا؟!

قالت جلبهار:

هو مذهب لا شك، له أتباعه، هؤلاء المنادون بالطبيعة والوجودية.

الوجودية فلسفة أخرى، لها منظورها مفكرون كبار، هي أعمق من سطحية كهذه، فكرة ساذجة، وتقليد أعمى دون تدبّر ولا روية.

ما قلته صحيحا، نعم.. هل لهؤلاء الشباب من الجنسين من فلسفة؟! أو منطق ينحى بهم هذا المنحى فيسلكون هذا السلوك الشائن المستهجن؟؟ هو جنون بعينه كما قلت، أو ضغط من ضغوطات العصر، وارى أنّه انفلات اجتماعي وثورة على الأخلاق.

تدمير للأخلاق، وبدعة ما عرفها الأولون.

لكن من أخبرنا أن الأولين كان لهم لباس؟

آدم وحواء كانت لهما ورقة التوت.

وذريتهما ماذا كان لباسهم؟

حتما كانت من أوراق الشجر، تطورت إلى لبس الجلود حين بدأ الإنسان يصطاد الحيوانات.

لعل هؤلاء يريدون العودة إلى زمن آدم وحواء.

دون ورقة توت؟!!

لأن أعداد البشر وصلت إلى المليارات وقلت أوراق التوت.

ضحك منصور وقال: هو ما قلت.. أين يجد كل هؤلاء الصبايا والفتيان حاجتهم من أوراق التوت؟! والأغرب قلّدهم العواجيز.

انظر إلى هذه الشمطاء وهي تستلقى نصف عارية بلا حياء.

أعوذ بالله قالها وبصق عن يساره.

لاحظتك تبصق عن يسارك.. يقولون الشيطان في اليسار.

وهذه تتقمص الشيطان أو هي الشيطان بعينه.

وما رأيك فيما رأيت على الشاطئ في الفضاء الخاص؟؟

الحقيقة.. هناك غزلان بشرية عارية.

اذًا هناك الجمال.

وهنا القبح يتجسّد في هذه العجفاء بجوارنا.. كيف ساقتنا أقدامنا إلى هذا المكان، لنهرب حالا منه إلى مكان آخر.

إلى جناحنا.. هناك اسلم لنظرنا، وانسب لراحتنا

نعم ما قلتى.

يأخذان طريقهما إلى البهو الكبير حيث يوجد المصعد، وفي الطريق كان مرورهما بتلك الأجساد شبه العارية حول المسبح، كان زبائن

الفندق أغلبهم من الألمان والنمسا ودول الشمال: فلندة والسويد والنرويج، والنسبة الأقل من الإيطالين واليغزلاف من أهل الثراء.

معلومة استقاها منصور من مدير الاستقبال حين سأله من قبيل الفضول، أما جلبهار كانت تعلم هذا من قبل حيث قرأت نشرة سياحية عن هذا الفندق قبل أن تحجز فيه.

مرّ اليوم الثاني في ذلك الفندق الشهير، وفي الجناح الملوكي الفخم، قضى منصور وجلبهار النصف الأخير من اليوم داخل الجناح بين صالة المشرب وغرفة النوم والحمّام، حتى طعام الغذاء جيء به إليهما داخل الجناح، وذلك من أجل الاستعداد للسهرة، التي تبدأ على الساعة العاشرة ليلا بعد الفراغ من طعام العشاء، ويا لها من سهرة تساوي العمر كله، كما أخبرت جلبهار منصور، إذ حضرت سهرات من قبل في هذا الفندق مع زوجها المرحوم.

سترى في هذه السهرة العجب قالت جلبهار.

وأي عجب أراه بعد ذلك الذي رأيته على الشاطئ أجساد عارية لشابات في عمر الورد تنبطح على الرمال.

وهنا بيت القصيد.. سترى تلك الأجساد مرة أخرى. لكنها لابسة.

على ألاّ أرى تلك العجفاء وأمثالها ولو كنّ لابسات.

تلك وأمثالها في الصدارة، مقاعدهم محجوزة، وطاولاتهم عليها الورود والمشروبات الروحية الفاخرة، وهن يرتدين أغلى الثياب والمجوهرات من

الألماس ينادمهن شباب في أعمار أحفادهن مدفوع الثمن.

عالم غريب وعجيب، مقلوب الحقيقة، ومختل الموازين، قال منصور.

وعند الرقص ترى العجز يلهث، يلاحق النشاط والحيوية في غير طايل، تشبثًا بالحياة وحرصا عليها وهي المكابرة ليس إلاّ.

ضل منصور وجلبهار في الجناح لا يبرحانه من بعد منتصف النهار إلى ما بعد العصر، حين بدأ كل منهما يتهيأ للسهرة بعد العشاء بالطبع، الذي قرّرا أن يكون في مطعم إيطالي اكتشفاه أثناء جولتهما في النهار. بعد تناول الطعام عادا إلى الجناح استعدادًا للسهر.

ارتدت جلبهار أجمل ثيابها الخاصة بالسهرات، وضعت عقدا ثمينا في رقبتها، اختارت أجمل أحذيتها في تناسق مع الفستان، لبست في يديها قفّازات بيض، وضعت على رأسها قبعة راقية ارتدت فوق ثياب السهرة (بالطو) من الفرو الثمين، فالجو يبرد في الليل وخاصة عند العودة في ساعة الفجر، كانت قد استدعت إحدى عاملات المزين في أسفل الفندق صفّفت لها شعرها في تسريحة أرستقراطية فريدة، زينت أحد أصابعها بخاتم فريد، تعطّرت ووضعت المساحيق وأحمر الشفاه بمساعدة مندوبة محل التزيين، كانت متألقة كأنها أميرة من أميرات القرن التاسع عشر.

أخذ منصور: زينة الرجال، تتمثّل في بدلة رمادية اشترتها له جلبهار من محل يبيع الملابس الرجالية الراقية قبل مغادرتهم الفندق حين كانا في الغردقة، واشترت لوازمها ربطة عنق حريرية فاخرة، وحذاء أسود اللون لمّاع (فريز)، قميص أبيض من (ماركة) عالمية، وحزام وجوارب

ومنديل وردي اللون، تعطّر بعطر رجالي مشهور في وقته ذلك الوقت.

ذهبا بدايةً إلى البار شربا قليلا من كنياك فاخرة، ثم تحولا إلى الصالة الكبيرة أمام الاستقبال، هناك في صالون جانبي جلسا ينتظران وقت السهرة التي تبدأ عادة على الساعة العاشرة.

بدأت أسراب زبائن الفندق تخرج من الغرف، فرادى وأزواجا وجماعات، وتتجّمع في الصالة الكبيرة الواسعة، ويجلس كل منهم في مكان.

لاحظ منصور كيف تغيّر المشهد الذي رأه في الصباح، في الحديقة وحول المسبح أو على شاطئ البحر في الفضاء الخاص، الناس هم الناس رجالا ونساء، وإن كان النساء أكثر والشابات منهن هنّ الغالبات.

اختفى المظهر العاري تمامًا، وظهرت تنانير وبنطلونات تلبسها الصبايا الفاتنات، وفساتين سهرة من أرقى الأنواع والموديلات ترتديها النساء الناضجات، أما العجائز من النساء فلم يتبين منصور ما يلبسن على وجه التحديد، لأنهن كن يثقلن أجسادهن النحيلة الواهنة بأفخر (بالطوات) الفرو الثمين من جلود الدببة والثعالب والنمور، غير ان جلبهار وهي الخبيرة بما تفعله النساء، وما يلبسنه في مثل هذه السهرات أخبرته أن ما تحت هذا الفراء لزوم المفاخرة والمباهاة، هو فساتين من الحرير الخالص، يشف أغلبه عن لحم مترهل، وسيقان منحنية تحمل أجسادا عجفاء، وصدورا تكاد أن تكون مصطحة متغضّنة، هي كما عاينتها في الصباح نصف عارية على حافة المسبح، وهن الآن يسترن أنفسهن تحت هذه الملابس الراقية، أولاء هن الفئة الثريّة في هذا الفندق

جئن من بلاد العالم، لا مطمع لهن في شيء وخاصة في الرجال، إلاّ مجرد تمضية أيام باذخة ومن نوع خاص، يغترفن من متع الحياة، وينطلقن في الحرية إلى مداها كما رأيت في الصباح، أما الفاتنات الصبايا، والنساء الأخريات فهن في إجازات من العمل، وقد تكون الإقامة لهن مدفوعة من طرف رجال أعمال وكبراء قوم يزورهن بين الحين والآخر، وخاصة في عطلة نهاية الأسبوع، وبعضهن بائعات هوى.

لم تكن هذه المعلومات عن هذا العالم الصغير إن صح التعبير في هذا الفندق، متوفرة لدى منصور، قال:

إذًا هذا الفندق والشاطئ الخاص وزبائنه العراه، هو فقط للاثرياء. ورجال الأعمال وكبراء القوم، ولا يؤمه أحد من سكان هذه البلاد؟

- نعم هذا فضاء خاص كما قلت لك، والشركة مالكة الفندق لها عقد مع الدولة في هذا الخصوص، وهناك لوائح تنظم كل شيء هنا لا يخل بها أي طرف، لكن الدولة تسمح بفضاءات أخرى، على شاطئ الأدرياتك الذي تضمّه جغرافيتها الطبيعة لعامة الناس، وفي الغالب هي شواطئ مفتوحة لا فنادق فيها أو استراحات، عدا المقاهي والحانات والمطاعم التي تقدم الأكلات الخفيفة هذه الفضاءات يؤمها الناس متى شاؤا في فصل الصيف لأنها لا مسابح فيها مغطاة ولا مكان للإواء .

أزف موعد السهرة، وبدأ الحضور في الصالة الكبيرة يتحركون نحو الصالة ذات التجهيزات الخاصة أهمها بالطبع حلبة الرقص، جلست جلبهار وزوجها منصور على طاولة خاصة محجوزة باسمها،

توزع الآخرون على طاولات كثيرة بعضها محجوز وهي قريبة من الحلبة، وبعضها حرّة يجلس عليها الساهرون، بدأت الموسيقى بمقطوعات خفيفة على البيانو تعزفها امرأة متوسطة العمر، مبدعة في العزف على هذه الآلة، بعدها اعتلت المنصة فرقة من العازفين على الآلات الوترية وآلات النفخ والإيقاع، ثم بدأ الرقص الكلاسيكي، أولا، الايقاع الهادي، فكانت فرصة لكبيرات السن من النساء وحتى الرجال المتقدمين في العمر، لإشباع هوايتهم ومشاركتهم في السهرة وقوفًا ومتحركين، وليستعرضوا لباسهم الفاخر.

أما الشابات والفتيات الصغيرات فلا يستهويهن هذا النوع من الرقص الهادي الرتيب، ويفضلن الرقصات الشبابية كالتشاشا، وغيرها من الرقصات الحرة التي لا تتقيد بشخصية رجل وامرأة مثلا، وإنما يشتركن في الرقصات الجماعية الساخنة، موسيقى وحركَة، يستعرضن الحيويّة والشباب.

كان منصور مميزّا بشخصه وأناقته، وشبابه ووسامته، وكان محط أنظار الكثيرات من الفاتنات الصبايا والأكبر سنّا وحتى العجائز الغانيات المتهالكات.

فوتت عليهم جلبهار أمانيهن، ونهضت تصحب رجلها إلى الحلبة في أغلب الرقصات الكلاسيكية، ثم عادت وعاد إلى مجلسهما وكاسهما.

وقت ليس بالطويل، وتتبدّل الموسيقى تدعو الجميع إلى الرقص الشبابي الحر الذي يشترك فيه الجميع، وتدخل الصبايا إلى الحلبة بأعداد

كبيرة، تجرؤ واحدة وتهجم على منصور فتأخذه من يده وتدفع به إلى الحلبة. سرّه هذا الفعل وغاب وسط حشد هائل من الفاتنات، ولم ينس زوجته فهي حتما تراقبه بالعين وكيف يتصرف، ومن هي التي تحاصره أكثر أو تضرب كفها بكفه في تلك الرقصة الشبابية المعروفة التي يشترك فيها الجميع، وتلك الحلقة التي يشكلها الراقصون يمسك كل واحد بخصر الآخر ويدور الجميع على شكل دائرة وتستمر وقتا، هو أيضا كان مع زوجته، بفكره: كيف تكون ردة فعلها، وما هو إحساسها الآن، وهل تقبل منه هذا الدور الذي قام به رغم أنفه، ثم كيف يكون عذره إذا أنكرت عليه فعله، أو وجدها متبرّمه وتقاطعه بالكلام؟.. دخل في حيص بيص.. لكنه عزّى نفسه، بأنه كما يقال، كان مكرها لا بطل، فالبنت الجريئة هي التي دفعت به إلى الحلبة، واستولت عليه أكثر من واحدة بعد ذلك. هل تقتنع جلبهار بهذه الحجج التي أوحى له بها فكره؟؟

عاد إلى زوجته بعد أن انتهت تلك الرقصة الشبابية الصاخبة حركة وموسيقى، وجدها ليست هي كاظمة غيظها رغم أنفها، تحاول أن تكون طبيعية.. لكن هيهات لها ذلك، كان داخلها يعتمل بالانفعالات المقلقة التي تدمر الكيان في الخفاء وتظهر على الوجه، وهي تحاول أن تداريها، تفتعل الابتسام الذي لا يطاوعها وتقول:

لعلها كانت جميلة تلك التي خطفتك ودخلت بك حلبة الرقص؟! أنا لم أتبينها جيدّا.

لأنها هربت بك كالقطة تخطف من صاحبها شيئا من طعامه وتختفي.

لعل اعترافك بأنها خطفتني، يشفع لي عندك.

أنت حر فيما تفعل.

وهل فعلت ذلك بإرادتي، ألم تعترفي بأنها هي التي هربت بي؟؟

كنت مطواطئ.

مع من؟ هن كثيرات اللائي رقصن معي، ألا تعلمي أنها رقصة يشترك فيها الجميع؟؟

وهذا الأسوأ بالنسبة لي، كل واحدة كانت تنهبك بدورها، وأنت سادر في غيك معهن.

كيف كانت غوايتي؟ وما هي غايتي من هذا العدد الوفير من النساء المختلط بين الصبايا الطائشات وغيرهن العاقلات، وهن شبه فاقدات لوعيهن مع هذه الرقصة الهيسترية المجنونة.. أنا نفسي كدت أُجن من ذلك الصخب.

ليتك فعلت.. جننّتني يا رجل، تهينني وتستخف بمشاعري.

هي الغيرة يا جلبهار.

ومن حقي.. ألست زوجي؟ وتأخذك عاهرة من يدك وأنت جالس معي - بكل صفاقة وقلّة حياء؟!

- لا تبالغي في لومي وأنت تعرفين نيتي وصدق سريرتي.

- لا تفعل مرة أخرى.

- من تلقاء نفسي أعدك، لا أفعل.. أما إذا دعيت من طرف غيري

وبالطبع من امرأة فلا أرفض، من الأصول أن أجيب طالبي، وإلاّ كنت متخلفًا وغير متحضّر.. يعني (سوفاج) في اللغة الفرنسية.

ـ افعل ما تشاء قالتها جلبهار في غضب.. أضافت أنت لا تحبّني، لعبت بعقلك الصبايا الفاتنات والعا...

ـ إن أكملتيها تكوني غير عاقلة، أو أعمتك الغيرة التي ليس في محلّها، وأنت تعرفين معدني وانا أحبك ولا أرضى بك بديلا.

اطمأن قلبها قليلًا، وطرحت وجهها.. تبسمت وقالت:

حبيبي أنا أخاف عليك، ومن حقي أن أغير وحتى أنشب أظافري فيمن تريد منك شيئا ولو نظرة عابرة.

ـ الغيرة الزايدة والتي ليست في محلها تفسد الحياة.. دعينا نعيش حياةً هادية هانية، لا تنغصها الشكوك والضنون. ألا عليك حبيبي.. لا تواخذني، أحيانا أخرج عن طورى بفعل الغيرة.

وتعزف الموسيقى مرة أخرى، ويستأنف الرقص بين الكلاسيكي والعصري الحديث (الشبابي) تحاول جلبهار أن تحاصر زوجها فترقص معه كل الرقصات الكلاسيكية، وحتى الشبابية، لم تتركه وحده وضلت معه في الحلبة، لكن الرقصات من هذا النوع هي رقصات جماعية يشترك فيها الكل يتماسكون ويتلامسون، الكف بالكف، والكتف بالكتف، وأحيانا الردف بالردف، وهذا الذي أزعج جلبهار وضائقها فخرجت من الحلبة غاضبة وضلت جالسة، إلى انتهت جميع الرقصات التي

أستمرأها منصور وأكملها إلى آخرها حين انتهت السهرة عند الفجر.

عاد الاثنان إلى الجناح، لكن الجو ليس الجو الذي كان في اليومين الأولين في ذلك الفندق الخرافي، بشاطئه الفريد الحر من نوعه في تلك البقعة من الأرض اليوغزلافية، كانت جلبهار متوترة الأعصاب، جهمة الوجه، لا تتكلم مع منصور، إلاّ حين ترد عن سؤال ما، وفي اقتضاب، وضل هو يكابر ويشيح بوجهه أحيانا عنها، يقلّل من الاحتكاك بها عن قصد، ويتعمّد عدم النظر إليها، بل حتى ملابسه أخذها بنفسه من الخزانة ووضعها في حقيبته ووضع الحقيبة خارج الجناح إيذانا بالرحيل وكأنه متعجّل، أما هي فقد طلبت من الخدمات معيْنا يساعدها على جمع حوائجها، وينزل الحقائب إلى الاستقبال، حيث تنتظرهما سيارة الفندق لتأخذهما إلى المطار، طوال الطريق من الفندق إلى المطار كان الصمت مطبقا بينهما، قام هو بكل الإجراءات اللازمة من ختم للجوازات وإيداع الحقائب واستلام بطاقات الصعود وغيرهما، وكانت هي صامتة تمنع نفسها من الحديث معه وهي تكاد تنفجر، هو يشعر بذلك لكنه يتمادى في مغاضبتها لا ينزل عن كبريائه، وهي تحسبه يتعمد اذلالها وإهانتها.

ركبا الطائرة، كان يفصل بينهما الممر، خفّف هذا الوضع من التوتر وتحاشى الاحتكاك والحديث، وإمعانا في الابتعاد طلبت هي من جارها في المقعد ان تتبادل معه مقعده، فهي ترغب في أن تكون بجانب النافذة، تنازل لها الرجل عن مقعده فانزوت بعيدًا عن منصور، الذي أصبحت

في تلك الساعة تكن له عداءً ملك عليها مشاعرها.

أما منصور فقد أخذ يقلب في نشرة الطائرة الموجودة في جيب المقعد أمامه، فلما رآها فعلت ذلك وتعمّدت الابتعاد عنه كانت ردة فعله، أن التفت يساره فوجد عجوزا تحاول أن تربط حزام مقعدها ولا تقدر، تطوع فربط لها الحزام، شكرته وكرّرت الشكر ممتنَّة، ومن هناك دخلت معه في حوار لا ينقطع حتى قاربت الطائرة على النزول.

ازداد غيض جلبهار، ولم تعد تحتمل المزيد وضلت تتململ في مقعدها وهي لا تستطيع أن تفعل شيئا، فقط قالت في نفسها: حتى هذه الشمطاء الحزقة يحادثها في انسجام ولا يأبه بمشاعري؟ إنه نذل ناكرٌ للجميل، ومن هنا قرّرت أن تنهي معه علاقتها إلاّ إذا اعتذر وكان العذر مقبولا.. وهي لم تعد تثبت على رأى ولم يستقر لها قرار، فالغيرة والإهانة شوشت عليها أفكارها وتاه عقلها عن الصواب، حقد المرأة وغيرتها العمياء، جعلها تحيد عن الطريق، وقطعت ساعتها أمرا لا رجوع عنه.. أن تنفصل عنه بمجرد أن تصل إلى الأرض، وكأن القدر أعدّ ذلك بالنيابة عنها على أرض المطار، وفي صالة استقبال المسافرين، كانت القشة التي قسمت ظهر البعير، كما يقال.. ناريمان تستقبلهما مع سائقها الخاص ـ جلبهار ـ لم تدّخر جهدًا ناريمان حين اختفت خالتها منذ شهر تقريبا، ثلاثة أسابيع هي شهر العسل في الغردقة، وثلاثة أيام في تلك الرحلة الاستثنائية التي اعتبرتها هدية تقدمها لزوجها وحبيبها منصور، كانت ناريمان قد استعانت بصاحبة لها تعمل في مكتب

للخدمات السياحية، عرفت منها كيف قضت خالتها مع منصور ثلاثة أسابيع داخل البلاد وأيامًا أخرى خارجها، وعلمت منها موعد العودة فجاءت بواسطة سيارة أجرة إلى المطار، حيث التقت بسائق سيارة خالتها ينتظر العروس والعريس، وكانت المفاجأة بالطبع، وكان الجو أيضا مهيأ لمنصور وناريهان، فهو كان قد وضعها في رأسه ـ ناريهان ـ وهي كذلك وخاصة بعدما تآمرت عليها خالتها وهربت به بعيدا.

أشارت جلبهار إلى منصور ليركب معها في سيارتها.. أشاح عليها بوجهه، وجرّ حقيبته وخرج، بعد أن أخبرها بأنه مسافر غدا إلى بلاده، لم تناقشه.. صعقها بالقاضية.. خرجت هي مع سائقها وهي في حالة من الغيض والحنق على بنت أختها وعليه.

خنّس في جانب المطار حتى جاءت إليه ناريهان مسرعة ومتلهفة، صحبته معها في سيارة أجرة ـ قصدت به شقة لصاحبتها كانت تتواطأ معها، وكل منهما تتستّر على الأخرى.

ضل منصور مع ناريهان وصاحبتها أسبوعا كاملاً ثم قرّر العودة إلى بلاده.. لم تتركه جلبهار كانت تتجسس عليه، حتى كان موعد سفره.. وجدها أمامه في المطار وقفت تنتظره حتى استكمل إجراءات الرحيل.. التفت وجد جلبهار واقفة قريبا منه.. طرحت وجهها.. تبسمت وقالت:

ـ آه.. كيف وجدت ناريهان؟

ـ في الحقيقة: هي ليست أنت أنت رائعة يا جلبهار.. رائعة في كل

شيء.. أنت عظيمة.. عظيمة بفضلك ومروءتك.

قالت:

ـ مازلت هو أنت، لا تنسى ان زواجنا شرعيًّا، عُد متى شئت.

ـ لكنّه خارج الاتفاق.. زواجنا مسيارًا.

ـ وزواجك بناريمان من أي نوع؟

ـ خارج عن كل الأنواع.. لا شرعا ولا عرفا، ولا سرًّا، ولا حتى متعة.

فرحت بكلمته الأخيرة: (ولا متعة).. سمع النداء الأخير يطلب من الركاب الالتحاق بقاعة الرحيل.. صافحته بود تبتسم في وجهه.. غادرها وضلّت تلوح له حتى غاب.

التقت به مرات عابرة، في مناسبات اجتماعية، لقاء من بعيد، لها علاقة بمحيطه الأسرى من ناحية النسب البعيد، كانت تسمع عن بعض علاقاته النسائية، فهو المعشوق دايمًا ومثار الأحاديث الخاصة، قررت أن تقترب، هداها تفكيرها إلى حيلة، والمرأة إذا أرادت الوصول إلى غرضها لا تعدم الحيلة، ذات مرة في مناسبة اجتماعية قرّرت أن تحضرها رغم أنها لا تهمها كثيرا، صحبت معها صورة لها، انتقتها بعناية.. قيل عن تلك الصورة من بعض صاحباتها إن فيها إيحاء وإغراء لا يخطيه الفطن ـ أخذت الصورة ودستها في صدرها، دخلت في غفلة من الحضور إلى مكتبة الرجل ـ منصور ـ وبسرعة خاطفة وجدت كتابا كان يقرأه كما يظهر من وضعه على المكتب خارج رفوف المكتبة،

وضعت وسطه الصورة وعادت حيث كانت اللمّة.

رمت بالطعم وغادرت، صدفة كان على سفر في اليوم التالي، وضع الكتاب في حقيبة اليد، في الجو سحب الكتاب ليقرأ فصولا منه يقطع بها الطريق، فرك أوراق الكتاب حيث كان يضع (كارت فيزت) يعلّم به الصفحة التي انتهت عندها القراءة، وجد صورة ملونة ومتوسطة الحجم لامرأة، تأمل ملامح الصورة ليتعرّف على صاحبتها، خانته الذاكرة.. وضعها جانبا خارج الكتاب، وضل يتذكّر لم تسعفه الذاكرة، وهو جالس على السرير في غرفته بالفندق، طلب مشروبا كحوليّا من النوع الخفيف (بيرًا) شرب أكثر من قنينة، عاود يتأمل الصورة يظهر أن الصورة كانت قد أخذت منذ عشر سنوات.. لم يهتد مرة أخرى إلى معرفة صاحبتها، رغم أنه التقى بها منذ شهور في محل لبيع الملابس وسلمت عليه من بعيد، فهي تعرفه ليس عن قرب، ولا هي من الأقرباء المقربين.

أخيرا حينما عاود تأمل الصورة شدّته بعض الملامح.. هي فلانة يعرفها عن بعد ويسمع عنها من كثيرات.. قيل له إنها معجبة به، إعجاب وراءه عشق.. هي نفسها لا ريب.. تفحصها بعين الخبير، صاحب التجربة والمعرفة بمقاييس الملاحة والجمال.. اكتشف البارز من الملاحة في وجهها، فالصورة كانت نصفية، ورغم أن الذراعين واضحان في الصورة، إلاّ أن الملفت في ملاحتها كانت رقبتها: كانت طويلة أسطوانية الشكل تظهر في الصورة من تحت المنحر، حتى تصل إلى ما بين النهدين، فقد كانت حين التقطها المصور تلبس فستانًا صيفيّا

يكشف عن الذراعين ومساحة كبيرة من الصدر.

هي فلانة رأها مرات قليلة ويسمع عنها الكثير.. حسنها في جمالها المحسوس، وعيبها في خفة عقلها وطيشها أحيانا.. هي كما في بيت من الشعر المحلي يحفظه:

عوق الجمل يشرب الدم والطير عوقه جناحه
وعيب الولد قلّة العقل والخف عوق السماحه

السماحة في هذا المقام: الجمال، والخف بمعنى الطيش.

الظرف غير متاح ليعرف أسباب وضع هذه الصورة، وما ترمي إليه صاحبتها على وجه التحديد ـ هي مطلقة من الأول ومنفصلة عن الثاني ـ لكن تكوّن عنده هاجس ما، ضل يعاوده بين الحين والآخر خاصة في وقت الفراغ من عمل كان يؤديه. وحين يخلو إلى نفسه في غرفته ليلا سيما مع الشراب. عاد بعد عشرة أيام من سفرة قصيرة.

اهتم بصاحبة الصورة، يبحث ويستقصى من بعيد.. ماذا تبغي صاحبتها؟ وما هو غرضها بالتحديد؟ هي منفصلة وغير مطلقة من الثاني، وذات بنات وبنين، ثم إنها لم تعد كما في الصورة التي كانت منذ عشر سنوات.. لكنها مازالت من الناضجات الآتي لم يتخطّين الأربعين، ومازالت محط أنظار الرجال. حام حول....... وجودها في النهار.. التقت به في سوق عام.. ناوشته بالنظرات.. تغافل عنها ليرى ماذا هي فاعلة.. تجرأت.. سلمت عن قرب دون مصافحة باليد.. رد سلامها بالكلام:

ـ أهلا وسهلا.

قالت:

ـ مرحبتين بنور العين مع ابتسامة.

ـ أنت فلانة؟!

ـ أنا هي.. يا ناسينا.

ـ من قال ذلك؟ هي الظروف فقط.

ـ عجبتك الصورة؟؟

ـ الأصل أجمل.

ـ من ذوقك.. أين تذهب بعد السوق؟

ربما أعود إلى البيت.

وماذا في البيت؟ الوجه في الوجه دائمًا.. كان إسقاط منها كانت تضن أنه متزوج.

ـ ذاك واقع لابد منه.. أتريدين شيئا ما؟

جاراها في وهمها.

ـ كنت أريد أن أذهب إلى صاحبة لي، كانت جارة وانتقلت إلى مكان آخر، لعل معك سيارة؟

ـ السيارة معي.. لكن ارتباطي بموعد سابق أزف وقته.

ـ الهروب فيه السلامة لكنّه يعدّ أحيانا جبنًا.

ـ قلت السلامة.. وأولى بالإنسان أن يتحرى السلامة.

ـ وذكرت الجبن.

ـ الجبن تقابله الشجاعة، ولكل منهما ظرفه.

ـ متى تواتي الظروف.

ـ الأمور مرهونة بأوقاتها.. لعلك تحتاجين شيئا من السوق؟ ـ بشيء من عدم الارتياح وغضب ظهر قليله على الوجه قالت:

ـ لا أحتاج منك شيئا، وحوّلت وجهها تريد أن تنصرف.

قال يستوقفها:

ـ فلانة.. ربما نلتقي مرة أخرى.. اعذريني.

ـ ولا تهرب؟؟

ليس من شيمتي الهروب.. فقط للظروف أحكام.

ـ لو توكل كل الأشياء للظروف، لما كانت الإنجازات.

ـ هذا صاحبي الذي له موعد معي قادم وأشار إلى رجل يمشي في الاتجاه نحوهما ـ ذريعة للتخلص ـ عفوا سنلتقي.

ـ انسحب منصور من حصارها بعذر أسعفته به الفطنة.

ضلت هي واقفة تتعابث ببعض المعروضات وتستفسر عن أثمانها، وعينها على منصور حتى غاب في الزحام.

وسوس له الشيطان: أنت لا تخاف من أقوى الرجال عندما تكون

المواجهة واجبة والنزال لابد منه، فكيف تهرب من امرأة وهي الجنس الضعيف الرقيق الناعم؟! يا لك من جبان كما قالت.

رد ضميره الحي في ثقة وثبات: أنت لم تهرب من القوة والنزال الشريف.. أنت هربت من الإغراء والغواية التي وراءها ما وراءها.. من الملمس الناعم.. من الكيد العظيم.

قال الوسواس: لا تبرّر جبنك بذرائع الجبناء.. وهل إغراء الغواني شيء مذموم؟ ولمن خلق الرجال الفحول؟ وهذه الوسامة فيك، واللياقة بالبدنية والسحر الرجالي، لمن خلق؟ أليس لمثل صاحبتك الجميلة التي تتهمها بالكيد العظيم، وهي تهيم بك غرامًا قال: في نفسه أعوذ بالله منك أيها الوسواس ومنها ومن الشيطان الرجيم، وكيدهن وكيدك عظيم، ثم جلس في مقهى صغير في ركن من السوق، وضل يعيد المشهد ويقلّب الأمر على كل وجه.

فزعت هي عندما غاب عنها في الزحام.. تحركت تبحث عنه في الاتجاه، ورغم أنّه قال لها سيلتقي بصاحبه، إلاّ أنها لم تصدقه وعدتها ذريعة وهروبًا، على بعد خطوات وجدته جالسا في المقهى يرتشف قهوة سريعة، وقفت على رأسه قالت:

ـ جاء صاحبك وانصرف؟ في صيغة شاكة.

ـ نهض في وجهه شيء من التبرّم قال:

ـ فلانة ماذا تبغين؟؟

ـ أبغي أن تأخذني إلى صاحبتي وجارتي القديمة إن كان معك سيارة.

ـ تعالى لنذهب إلى صاحبتك ولا تقولي عليّ جبانا.

لمعت عيناها ورقص فؤادها.. تبعته خارجان من السوق كانت سيارته في شارع جانبي، فتح لها الباب الخلفي وقال تفضلي ودليني على الطريق، لم يترك لها فرصة للكلام وجلس وراء مقود السيارة وانطلق.

قالت:

ـ هل أنا راكبة في تاكسي؟!

ـ أنت راكب معز ومكرّم ومبجّل.. نحن في بلادنا.. أعني في القرية، الزوجة المصون تركب خلف زوجها.

ـ ليتني كنت زوجتك.

ـ أنت الآن في مقامها.. أقصد في مجلسها عندما تكون معي في السيارة.

ـ كنت أفضل في جانبك.

ـ أليس مريحًا مكانك؟!

ـ الراحة في النفس.. ليس في مكان الجلوس.

ـ لم تدليني على الطريق.

ـ حتى الآن لم تتضح معالمها.. ربما قريبا.

ـ وما لنا وألغاز الكلام يا فلانة.

ـ حتى تفهم.

ـ أنا لا ينقصني الفهم.

ـ تنقصك الشجاعة.

ـ ينقصني ظرف المكان والزمان.

ـ صاحبتي مكانها آمن.

ـ والزمان ليس هو الزمان، ثم إنني لا أفضل الجماعة.

ـ هي تعيش وحدها، وفي هذا الوقت هي في المدرسة ومفتاح بيتها عندي.. هل ينقصنا شيء آخر؟!

ـ الاستعداد النفسي هو كل ما ينقصني أنا على الأقل.

ـ عندما تدخل البيت سترتاح نفسيًا.

ـ لا تدخلوا بيوتا حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها.

ـ أنا معك.

ـ أنت لست من أهل البيت.. أنت صاحبة صاحبة البيت.

ـ أنا في مقامها.. لماذا هذا التمنع الزايد، لم أر رجلا يتمنّع.. هل أنا طلبت منك شيئا عسيرًا عليك؟؟

ـ بصراحة لا.. ويعني: المعنى القريب والبعيد.

ـ إذا لماذا هذا الاحتراس؟ ولا نقول الخوف.. عندما نصل إلى بيت صاحبتي، مجرد قهوة تشربها وكفى الله المؤمنين شر القتال، على الأقل تكون أجرة التاكسي اللي أنا فيها.

- التاكسي أجرتها نقودا.

- نحن ندفع الأشياء العينية فقط.. يا رجل ماذا دهاك.. هل أنت فلان الذي نسمع عنه؟؟!

- بشحمه ولحمه.

- الرجل؟! الذي يقال عنه القول؟

- في الأمثال: الرجلة تحضر وتغيب.

- أفي وجهي فقط!!.. أنا أصبحت أهذى.

- أنت متعجّلة، والأمور مرهونة بأوقاتها كما قلت لك سابقا.

- لابد أن تدخل وتشرب القهوة.. قهوتي.

- حتى وإن دخلت لن أشرب القهوة.. القهوة شربتها في المقهى.

- لا تشرب القهوة. أشرب شربات على رأى المصريين.

- إن دخلت يا فلانة.. لا يصير خيرا.

- ومن قال لك أننا نريد الخير.. ولا نريد شرا مستطيرا

- وهل يصح أن ندخل بيوت الناس بالشر؟

- ندخلها بالفرح والسعادة، ستحل فيها البركة اليوم.

كان هذا جدال منصور وفلانة طوال الطريق.. حين وصلا إلى العمارة التي بها الشقة، كان السكون وفراغ الشارع من المارة، فالناس في أعمالهم، حيث كان الوقت قبيل الظهر، الأطفال في المدارس،

وربات البيوت في تدبير شؤونهن، لا ضوضاء ولا لغط، ولا كثرة مرور للسيارات والحي هادى ساكن.

أوقف منصور السيارة على بعد أمتار من باب العمارة التي أشارت بها عليه، قال: تفضلي يا فلانة وتحياتي لصاحبتك.

ـ أنت الذي يتفضل.. أقسمت إلاّ دخلت وشربت قهوتي.

ـ حلف شمعون بالطلاق، عبارة تقال حين يكون الحالف غير جاد في يمينه، سوا حنث أو لم يحنث هو فى حل من يمينه مبيّت.. والعبارة تنسب لليهودي حين يبيع للمسلم.. قالها منصور يستخف بيمين فلانة لكنه ترجل من السيارة تحت إلحاحها وتبعها.

كانت الشقة نظيفة مرتبة، ومعطرّة قبل أن تخرج صاحبتها إلى المدرسة، بها صالة صغيرة وغرفة نوم واسعة مؤثثة وحمام نظيف، جلسا قليلا بعدها قامت هي تعد القهوة، قالت: منصور سأعد القهوة، وهذا الحمام.. تلميح خفي.

قلت لك لا داعي للقهوة.. وأنت قلت شربات فلتكن الشربات.

قامت وأحضرت كأسين من الروزاطه مع حبّات عمبر تحفظها صاحبتها في البراد.. أخذ من كأسه حتى النصف في مرّة واحدة، وأخذت هي رشفات.. نظر إليها قال:

ـ تسلم إيدك.. شربات لذيذة، وقام ليغادر المكان.

ـ إلى أين؟!

ـ شربنا الشربات أليس هذا خيرا؟ كثر الله خيرك.

ـ أهذه هي الشربات التي أعنيها؟! مالك تتغابى؟؟

ـ أنت...

ـ ماذا أنا وصوبت إليه نظرات تناديه بإلحاح.

همّ وهمّت.. في اللحظة كان الطرق على الباب.. بادر هو بالجلوس وأسرعت إلى الباب.. صاحبتها عادت من العمل تحمل أكياسا في يدها.. قالت في نفسها أهذا وقته !!

صاحبتها: والله حدثتني نفسي أنك هنا.. وينك أمس؟

كانت ترد عليها مرتبكة وتشير إلى الصالة الصغيرة.. نظرت الأخرى إلى حيث أشارت رأت الرجل جالسا في استحياء قالت:

ـ هل قمت بواجب ضيفنا؟

ـ ليس هو الواجب.. شرب الشربات.

ـ وهذا المطلوب.. صحتين وعافية.

ـ ليس المطلوب الذي تعنيه.. قدمت له كأسا من روزاطه وحبّة من عمبر

ـ يشربها مرّة أخرى إنشاء الله.

كان هو يفسّر كل كلمة تقولها صاحبته وصاحبتها، هو متخصص في ألغاز كلام النساء قال:

ـ عندما تحين الفرصة مرّة أخرى إنشاء الله.. كما قلت.

ـ البيت بيتك في أي وقت.. نحن نسمع عليك كل الخير.

أراد أن يغادر المكان.. قالت صاحبة البيت اجلس معنا قليلا إن لم يكون وراءك شغل؟

ـ هو الشغل لا ينتهي ولا يخلو منه إنسان.. لكني في الحقيقة اليوم مرتبط وفلانة تعرف.

قالت في نفسها يا ابن... وماذا جاء بك هنا لو كنت مشغولا.. ونظرت صاحبتها، فلانة ما رأيك تستفسر صمتًا.

ـ قالت فلانة: هو اليوم مشغول فعلا له موعد مع صاحب له، ولكن سيزورنا يوما آخر عن قريب.

ـ لم نقم له بالواجب كما ينبغي اليوم، وليحضر متى شاء وفي أي وقت دائما مرحبا به.

قال: شكرا لك ولفلانة.. منتهى الكرم والترحيب والله.

خرج.. شيعته كل منهما بنظرة تعنيها.. عادتا. فلانة تتحسر على ضياع فرصة كانت قاب قوسين أو أدنى أن تقع وتسجل نصرها عليه، رغم أعذاره وتمنعه الكاذب، وصاحبتها تمنّته بقى ولو وقتا يسيرا، لتريه من فنون الفتنة والإغراء ما لم يعهده في غيرها، فهي رغم جمالها المتوسط وقصر قامتها بالنسبة لفلانة الاّ أنها أصغر عمرا وأكثر ريًا، هي لم تتجاوز الثلاثين لذا كانت تقاربه في العمر، ومن جهة أخرى هي

مشهورة في الحي بفتنتها وحرية أكثر من المعتاد، وهذا سبب طلاقها من زوجها الأول الغيور. ذهب وكل منهما تتمناه، غير أن صاحبة البيت لا تظهر رغبتها هذه لصاحبتها، لكنها لا تعدم وسيلة للالتفاف عليه من وراء ظهرها.. هذا ما كان من أمرهما، ضاعت منهما الفرصة على الأقل في هذا اليوم.. أما هو فقد قال في نفسه:

لقد انتصرت على الشيطان، أو العناية أنقذتني في اللحظة الأخيرة عندما طرق الباب.. لقد هميت بها وهمّمت لكن صاحبتها كانت أسرع.

هو رحّال متنقّل، بعد أسبوع واحد من هذه الحادثة سافر إلى الشمال، كانت وجهته هذه المرة إلى إيطاليا، وضلت الصورة في نفس الكتاب ليكمل فصوله فطالعته الصورة، قال في نفسه يظهر أن هذه المرأة قدر لابد منه، تأملها أكثر، هي ليست كما قابلها: الصورة كانت أجمل، لكن الأصل أنضج.. بيّت أمرًا عندما يعود.

ليلة واحدة في العاصمة روما ويتعمق في الشمال، في بلدة جبلية بها عيون للاستشفاء وتعتبر معلمًا سياحيا وخاصة في الصيف، يقصدها الناس من كل الأنحاء جميعهم إيطاليون وبعض العرب من شمال أفريقيا، هناك في هذه المدينة الصغيرة، بالقرب من فيرنا أحدى عواصم الدوقيات القديمة، حط الرحال، ليس كل المتواجدين هنا هم من أجل الاستشفاء بالمياه المعدنية، أغلبهم مصطافون وخاصة في شهر أغسطس شهر الإجازات في إيطاليا، في فندق متوسط ثلاثة نجوم حجز غرفة لمدة أسبوع ـ الإقامة في فنادق هذه البلدة كاملة ـ أغلب نزلاء الفنادق

يتسربون في الصباح إلى المحطة: (سطاسيونى ترمى) بمعنى مكان عيون المياه المعدنية وذلك لشرب المياه الساخنة نوعا والغير مستساغة حين تكون المعدة خاوية، يقال إن تلك المياه تفيد الكبد والأمعاء وتشفي من أمراض أخرى، يبقى هذا الحشد الهائل الوافد على المحطة من جميع الفنادق، خليط من الجنسين كبار ومتوسط أعمار وقل أن تجد الشباب والشابات،منصور التقى بجماعة من بلاده، جلّهم من كبار السنة اعتادوا الاستشفاء والراحة في هذا المكان، وصدفة يلتقي بواحد معرفة قريبة كانت له معه بعض المعاملات في وطنه.. الاثنان ليس لهما علاقة بشرب المياه الساخنة إلاّ من قبيل باب الاختلاط بذلك الجمع الخليط في المحطة، فهما يذهبان إلى هناك من أجل الجلوس في المقاهي المنتشرة، على طول وعرض الحديقة التي تضمها المحطة.. صاحب منصور كانت له خبرة ومعرفة بالمكان من قبل، فالرجل كهل تخطى الخمسين من العمر إلاّ أنه منفتح على الحياة.. ترافق الاثنان وصدفة أخرى كان فندقهما واحدا.. قريبا من الثانية عشرة ظهرا، تعود تلك الجماعات إلى الفنادق من أجل وجبة الغذاء، فهي محدّدة بوقت، من الواحدة بعد الظهر وحتى الثالثة، والعشاء كذلك له موعده، وإفطار الصباح.

حين عاد منصور ورفيقه الذي التقاه في المحطة جلسا في حديقة الفندق يتناولان بعض المشروب قبل الدخول إلى قاعة الطعام، في الأثناء تدخل سيارة حمراء اللون من النوع الرياضي وبها امرأتان ـ كان رفيق منصور يعرف كثيرا من المعلومات عن هذه البلدة وفنادقها، فالزبائن: يأتي فوجا

ويغادر فوجا ـ قال لصاحبه رمزا: (الطريق طعمت، ومنصور شاب لبيب كما هو وسيم وجذاب.. كان الرفيق يتقن الإيطالية والشاب يكسّرها.

ـ أنا لغتي هنا ضعيفة والكورة في ملعبك.

ـ لا عليك، إلاّ أن المشكل يكمن في شيء واحد.

ـ ما هو؟ ليس هناك مشكل على ما أرى.. هما نزيلات هنا على ما يبدو.. انظر تلك حقائبهما يجرها عامل الفندق إلى الداخل.

ـ ليس هذا هو المشكل.

ـ أين إذًا.. كل المشاكل لها حلول.

ـ ألم تلاحظ أنهما واحدة في السماء والأخرى في الأرض والفرق بينهما كالفرق بين الأرض والسماء.

كانت إحداهما شابة جميلة بيضاء من أهل الشمال الإيطالي من مدينة عريقة تملك عمارة وبعض المتاجر، وأمها قاربت التسعين ولها ثروة طائلة، وهي الوريثة الوحيدة ـ معلومات عرفت فيما بعد ـ أما رفيقتها والتي لا تملك إلاّ تلك الحقيبة جاءت بها في سيارة صاحبتها، فهي عاملة فقيرة تشتغل في جمع محصول العنب والكمثرى في الصيف، وفي زراعة المحاصيل في الخريف والشتاء بأجر، وتسكن قرية صغيرة بين المزارع في سهل لمباردي ـ أخبرت بهذا صاحبتها صاحبنا ـ والأمر الآخر الذي يعد مشكلة المشاكل أنّها قمئةٌ قبيحة ثرثارة، ومشرفة على الستين من عمرها.

قال منصور على سبيل المزاح (انخلطوا وتقسموا)

ضحك صاحبه وقال:

هناك حل آخر.. أنت على ما ذكرت تسكن خارج المبنى الرئيسى للفندق في شقق ملحقة به، ولأن الفندق ملآن عن آخره، فاذا كان سكنهما معك: مبروك عليك، واذا كان معي هنا فهذه قسمتي ونصيبي.

- واذا تفرّقنا بين هنا وهناك؟

- في هذه الحالة يكون الإنصاف والقسمة عادلة، ولكل حظه وأضاف:

- أنا أعرف حظي.. دعنى لا نسبق الأحداث رغم أنه أسود.

كان كما توقع الرجل لم يتوفر إلاّ مكان واحد في المبني الرئيسى حجز للعاملة في مزارع العنب، تلك التى قال عنها الرجل: (غولة فيدها عمود) تخوّف وتضرب.

أما صاحبنا المحضوض والمرغوب فيه دائمًا معشوق النساء فقد سكنت بجواره تلك الشابة الجميلة البيضاء صاحبة السيارة الرياضية الحمراء.

بعد العشاء في القاعة الرئيسة في الفندق، وبعد السهرة داخل الفندق التي لا تتجاوز الثانية عشرة، يأوى كل إلى فراشه إذا لم يخرج للسهر في أحد الملاهي خارج الفندق.. في تلك الليلة كان منصور قد فضل ألاّ يسهر خارجا واكتفى بالسهرة داخل الفندق.. هناك نزلاء من مختلف الجهات، من الشمال الإيطالي ومن الجنوب، وخاصة من أهل القدم الإيطالي وسيشليا والجزر، كلهم يلجأون إلى المصائف في الجبال، في هذه البلدة وما جاورها من بلدات الوسط.. أثناء السهرة توزع

النزلاء على الصالونات حول آلة البيانو الذي كان يعزف عليه موسيقى محترف، وبعضهم جلس في الحديقة خارج الفندق.

كانت الغولة وصاحبتها الجميلة بنت الشمال تجلسان في الحديقة قريبا من فانوس للإضاءة وكل منهما قد ارتدت فستانا صيفيا خفيفًا وجلستا أمامهما فنجانان من القهوة وزجاجة ماء معدني.. أقحم عليهما الرجل المتحدث باللغة الإيطالية بطلاقة خلوتهما متذرّعًا بسؤالهما عن إذا كان في حوزة إحداهما (ولاعة)، وكانت في يده علبه سجاير.

تطوعت تلك القمئة فأشعلت له سيجارته، عرض عليها سيجارة أخذتها منه، عرض على الأخرى فاعتذرت شاكرة: أنها لا تدخن.

قالت له صاحبة الولاعة: اجلس، أنت تتحدث الإيطالية جيدًا.

ـ نعم.. أنا درستها في المدرسة حتى المرحلة الثانوية وجلس.

كانت تلك المدخّنة التي شبّهها بالأرض والأخرى بالسماء، هي المتحدثة الثرثارة، وقد وجدت في الرجل استعدادًا للإنصات والفهم، أما الأخرى فكانت متحفظة خجولة ولأول مرّة تزور المكان وصاحبتها فلا تقضي أجازتها إلاّ فيه كل سنة.

استغرق الرجل في الحديث مع السنيورة الثرثارة المدخّنة التي ينعتها لصاحبه: بالمصيبة، ويقول: وحّلمنى فيها ربي وماكنش بعيد هي بختي، أما الأخرى فقد كانت تبتسم وتنصت إلى صاحبتها وإلى الرجل وهما في حديث مستمر، وأحيانا تطلق منها ضحكة صغيرة حين

تخطئ صاحبتها الثرثارة في معلومة تسوّقها صاحبتها عن جهل، وفي نفس الوقت تختلس النظرات إلى الشاب الصامت ينصت بدوره إلى صاحبتها وصاحبه في حديث مستمر.

كان عمر الشاب يقارب عمر تلك الشابة الجميلة البيضاء القادمة من الشمال، ولا يني هو يسترق لها النظر وكلما التقت العيون، فتحول هي نظرها ويغض هو البصر.

جرّهما الحديث، تلك القبيحة ومحاورها إلى السؤال عن: أين يسكن كل منهما ـ وهو مربط الفرس الذي تبحث ويبحث عنه.

هي تسكن حيث يسكن الرجل في المبنى الرئسى وصاحبتها تسكن حيث الشقق.

قال ينبّه صاحبه بلغتهما المحلية:

خلاص تمتّ.. فتلك حظي أسود. وأستمر يغطّي عبارته الخارجة عن سياق اللغة في الحديث مع السنيورة.

ضحك الشاب من تعليق صاحبه الساخر وقال:

ومن ربطها في رجلك؟ بينكما سيجارة، تكمل وغيرّ مكانك.

ـ أضحك عاجبك الحال.. ما هو أنت صاحبتها الغزال المصور ساكنة معاك.

ـ أنا لم أعرف هذا إلاّ منك الآن.. من قال لك؟

ـ قالت لي المصيبة وجه الشوم.. حضك يا سيدي.. أضاف صاحب

السعد تحطّبله الريح ـ قسمة هي غير عادلة رضينا بنتيجتها من بكرى.

يا محمد ـ اسم الرجل ـ ما تزعلشى، انخلطوا ونقسموا.

ضحك الرجل من خاطرة صاحبه وقال:

مع من أتجبّن يابو عتوت: عبارة محلية تورد كمثل، لمن لا يملك شيئا يشارك به الناس، فهو يعرف أن صاحبه الشاب غير جاد في عبارته (انخلطوا ونقسمو) ولا يستقيم المقصود من العبارة أصلا. أضاف بالله يا صاحبي أنت عاجبك الحال: على ظهر جمل وتغزفى القمح. أصبح الرجل يشرك صاحبه في الحديث عندما يجد فكاكا من الثرثارة حين تسحب الدخان من سيجارتها.. كأن يقول له: بحبح، أمك راضية عليك.. مراح البل أتجيه الخيل.. صحتين وعافية. وعلى نفسه: صباح أحرف وحلنى فيه حظى.. نشهد بالله: غولة.

ـ صاحبه: با هي ما عندها شى عمود.

ـ عندها سيف يقطع الرقاب.

ـ تفلت من منصور ضحكة.

ـ عاجبك الحال.. أنت في الربيع المنوّر وأنا فوق طلحة هشيمه.

ـ يضحك منصور مرة أخرى من تعليقات صاحبه الساخرة والصائبة في نفس الوقت ويقول: غير يولد ويسمّوه.

ـ في جيبك المفتاح.. نلقاه أن مطرك صبّت وربيعك نوّر من بدري.. أنا نشبح في كل شيء.

ـ هكى اتقول؟ زعمة الصنارة غمزت؟

ـ وطلّعت حورية بحر.. بخوت يا ولدي.. واحد سعده يخدم عليه.. أواحد ضاربه لين متكّية.

وتحل الثانية عشرة فيتسرب النزلاء إلى غرف النوم إلاّ من كان يسهر خارج الفندق في الملاهى الليلية.

الأحداث إذا رتبّها القدر، تصبح سهلة ميسورة سالكة الطريق والحظ يلعب دورا في الحياة، كما هي الصدف والمفارقات، والسعادة والسرور، والضنك والمنغصات، والتعاسة والشقاء كلّها من ترتيب القدر.

منصور تجنّب الوقوع في الخطأ منذ أيام حين هم وهمّت به فلانة، أو بالأحرى كان لها القدر بالمرصاد، طرقت صاحبة البيت الباب في لحظة كاد أن يقع فيها الفعل، فشل مشروعا كان سينبعث لا يعلم أحد تباعته لو تم وفي اللحظة الأخيرة. سافر وأسقط من حسابه ما جرّته إليه فلانة قبل عشرة أيام، ورغم أن صورتها الفوتغرافية سافرت معه في حقيبته، إلاّ أنه كان يطرد طيفها من خياله كلما مرّ به، كان يحاول قطع خط الرجعة ونسيان الأمر، لكن الأمور مرهونة بأوقاتها.

ها هو الآن يلتقي بفتنة وجمال من الشمال، رومية من أعرق أعراق السلالات، يضرب نسلها في أعماق التاريخ، ربما تكون من حفيدات يوليوس. وهو: أليس من سلالة أقحاح العرب الذين فتحوا الشرق والغرب وتوغلوا في الجنوب؟!

هو لابد حفيد لبطل من أبطال الجهاد في سبيل الله، أو جندي من جنوده قدم من اليمن القحطانية.. من القيسيه أو من جند الشام. الأجناس تلتقي والشعوب تتلاقم، والثقافات تمتزج، والتاريخ والجغرافيا يلتحمان.. يسطّر التاريخ الأحداث، تحفظها الذاكرة أو تضمها الأسفار، والأيام تمضي والحياة تسير، وما يحدث فيها مرتّب ومقدّر بمقدار وقدر.

هنا منصور يلتقي بمن لم تكن في الحسبان، صدفة كان اللقاء مع صاحب يعرفه من قبل، وصدفة أخرى مع المرأة وصاحبتها.. وها هي الأحداث تجري في اتجاه آخر.

شغله الرجل الذي التقاه صدفة عندما التقاه على غير موعد في ذلك الصباح، بنوادره وقفشاته وتعليقاته الساحرة العفوية، ثم كان منتصف النهار حين جلس الاثنان في الحديقة في انتظار موعد الغذاء على الساعة الواحدة في الفندق، وحينها قدمت المرأتان في السيارة الرياضية الحمراء، فكان حديث صاحبه مع إحداهن ـ القبيحة الثرثارة التي بادرته بأسئلة متلاحقة وكان حديث لا ينقطع، أما هو ـ منصور ـ فقد شغلته رفيقتها الشابة الجميلة التي كانت تبتسم ولا تدخل في الحديث، لكنّ كانت تنظر إليه خفية حين يغفل عنها ولا يلاحقها بالنظر المسروق، ومر الوقت سريعا، وسرعان ما يمرّ الوقت في حضرة النساء وخاصة الجميلات. جاء موعد الغذاء، دخل وصاحبة إلى صالة الطعام، ودخلت القبيحة ورفيقتها الجميلة، ثم كانت استراحة بعد الغذاء وغالبا ما تكون في بهو

الفندق الداخلي أو في الحديقة الصغيرة أمام المبنى، وحين يذهب النزلاء عادة في الفترة ما قبل المغرب إلى المراقص في فضاءات مفتوحة في الهواء الطلق، هناك يلتقى نزلاء الفنادق على موائد الشراب ويكون التعارف بين المصطافين الذين التقوا في سنوات سابقة.

إلى مرقص قريب ذهب منصور وصاحبه لتمضية الوقت، والتعرف على مرفق ترفيهي من مرافق المدينة التي ترحّب بالزائرين وتقدم لهم كل خدمة.. جاءت الجميلة الشابة وصاحبتها التي تقترب من الخمسين، والتي يسميها صاحبه: (المصيبة السوده).. انسجم الموجودون في الرقص.. قامت الشابة وطلبت منصور إلى الرقص ـ سابقة لا تحدث كثيرا بين النساء ـ فالرجل هو الذي يطلب المرأة للرقص، لكنها تجرأت، ربما تريد أن تقطع على صاحبتها كل أمر.

قال صاحبه يعلّق كعادته: آش قعد؟ المصيبة قريب اتجيك يا محمدوتي روحك.. لم يكمل العبارة حتى قامت فعلا وطلبته للرقص، قام معها مكرها ـ وهو يقول على مسمع من صاحبه الذي اقترب منه في حلبة الرقص ـ ريت النوّار اللّي حصّله اوفيك!!

ندّت من منصور ضحكة كتمها، وتابع الرقص مع تلك الغزالة كما وصفها صاحبه.

حل المغرب وهدأت الموسيقى، وبدأ الكل يعود إلى الفنادق من أجل الاستعداد إلى السهر بعد العشاء.

طول الطريق من المرقص إلى الفندق وصاحب منصور لا يكف

تعليقا عن المشهد ومنصور يقاطعه أحيانا مستفسرا وأحيانا أخرى تعقيبا على سخرية صاحبه اللاذعة.

قال يخاطب منصور: ريت هالمنداف اللى حصل فيه صاحبك؟!

ـ لا يراجل.. هي نشبع فيها ترقص كويس والفرح على وجهها.

ـ غايتك ما تفرحش.. ترقص مع واحد عمرها ما تحلم بيه.. غيرشن جانبي ليها.. هذاك السبس لحرق أجعنى ما ولعت.

ـ ولّعتلك السبسي ولعت فيك.

ـ نار حمره حشاك.. ريتها مشوّطه كبدها.

ـ ربما عندها ميزات غير ظاهرة.

ـ عندها الغربّي.. والله ما تكساب حاجة.. الربيع من فم الدار.

ـ غيرها واجد.. أنت ما ريتش بكرى في المرقص ماليات الدنيا.

ـ وهيّ خلتني الشوف؟! دعوه حشاك.. وأنا مدعى.. كيف من قال: من عازة التريس درتك صاحبي. هم بعدد شعر الرأس.. لكن شي تقول لواحد شيرته مذهوبه.

قال منصور: نيتك جملك.. ساعات في قلبك حيلة.

ـ والله إلاّ كيف ما قلت.. أنا ناوى هاذيك الوردة اللي معاها لكن زي ما قلتك حظي لسود طيحني في أسود منه.

ـ أيفوتك السو.. غدوه تلقي.

ـ من الليلة.. كان نلقى فكّه.. لكن آش اخلصني من هاللصقة.

ـ ما اتخافش عليك.. لسانك الحلو ولوغتك تجيبلك الخير.

ـ واش ايعدى هالليلة الطويلة.

ـ تكبر وتنسى.. وما تعرف الباهية ألاّ بعد الخائيه.

ـ اتبصّر عليّ؟؟

ـ حشاك من لبصارة.. أنت تستاهل كل خير.

ـ كيف هالخير اللي عندي! أعطيني دحية اليوم.

ـ اليوم قرعتك بلحة صيص، الله غالب.

ـ نبلع ونسكت.. هكى تقول؟

ـ هذا اللّي صار يا صاحبي.. قرعتك.. أنت اللّي قلت اللّي تسكن في مكان هاك مكانها.

ـ في هاذى عندك حق.. سعدك غلب.

ـ لا تدري.. حتى نرى ما يحدث.. من قال أصير.

ـ أصير؟! عندك شك؟ أنا اللي عرفت كل شيء: الجمل عينه في الكرمة يا صاحبي.

ـ شن عرفت؟ سؤال للتأكد.

ـ شارياتك يا لنقر.. كل شيء في الطبق.. ما درّقت شيء.. لعيون ترسل والقلوب تجيب.

ـ ساعات كلامك ما نفهمش فيه.. شنو كل شيء في الطبق؟؟

ـ اقتلني يا سمن البقر.. حاسب روحك خالي قضية.. هي بتاكلك بعيونها طول ما فعدنا بعد هاك السبس لحرف.. وريت منين جت بلا راده وخذاتك للرقص.

ـ ومن قال أصير اللي أنت تفكرّ فيه.. ربما ش في طابق واحد.. صحيح إنت قلت ساكنة في الشقق، والشقق ثلاثة فوق بعض، من قال مش واحد فوق، واحد تحت.

ـ يا ناري عليك يا كبدي.. البلا كان ما نزل يرقوله.. تبى أحطولك النفّه في خشمك؟! والآّ تبى تطلبك كيف بدري للرقص.. الراجل يبدأ يا راجل.

ـ أنت مدرسة يا صاحبي، وأنا نبىّ انتعلّم.

ـ أش لك من هوّين.. غير تضرب وادرّق في العصا، ريتك منين تحدف في عينك من تحت.. تحسابني غافل.. هاذي أفاريات قاريها وماحيها.

ـ ما انقولشى تحسدني.. أنا صاحبك ورفيقك من اليوم.

ـ اللي يحسدك يموت أعمى.. غير ادعيلي افكنى من هالدعوة ويحن عليّ كيف ما حن عليك.. نلقاه أن أمك جابت.

تبع العشاء السهرة التي كانت داخل الفندق تلك الليلة ولم يفضّل منصور وصاحبه الخروج إلى الملاهي الليلية في المدينة، إذ كانا عقب سفر، كذلك كانت بنت الشمال وصاحبتها العجوز، فقد وصلتا في نفس اليوم بعيد وصول منصور وصاحبه.. انفضّت السهرة، وذهب كل إلى

فراشه، صاحب منصور حجزته العجوز وقتًا إضافيا في ثرثرة جانبية بعدما غادرت صاحبتها الجميلة إلى الشقق، ومنصور سبق إلى غرفته في الشقق بوقت قصير.. كانت غرفته في الشقّة التي تقع في الدور الثاني.. دخل غرفته ثم أخذ يستخرج بعض الأشياء من حقيبته (كالبيجامة) وشفرات الحلاقة وفوطة للحمام والصابون ومعجون الأسنان.. دخل الحمام يغتسل من عرق السهرة، حيث شارك في أكثر من رقصة جلّها كانت مع الشقراء الجميلة، التي بادر هو بطلبها إلى أغلب الرقصات كما أشار عليه معلّمه ومستشاره صاحبه محمد، وقد لبى طلبات أكثر من واحدة للرقص بما فيهم العجوز القبيحة واللّصيقة، كما سمّاها صاحبه.

دخل الحمام الذي كان بين غرفته وغرفة أخرى لا يعلم من ساكنها.. أخذ دشًا سريعا، ودخل الغرفة يتهيأ للنوم. ترك الباب مفتوحا نصف فتحة عن غير قصد.. دقائق ويطرق سمعه خطوات كعب عالي. أطل يستطلع الأمر يتبيّن من القادم، وهل يقصد الغرفة الوحيدة المجاورة وبينها وبين غرفته الحمام.. كانت هي، راقبها دون أن تدري، هل تصعد إلى الدور الثالث أم يستقر بها المقام في الغرفة المجاورة.. لم تصعد إلى الدور الثالث، أدارت المفتاح في باب الغرفة الوحيدة تقابله.. صدق حدس صاحبه: إن سعده أقوى من كل السعود.

ضل يرصد كل حركة بالعين والأذن، يراقب كل خائل أو طارق يتعدى على الحمى، بابه منفرج فرجة صغيرة، والمحيط ضيق مسيطر عليه بكل حواسه.. دقائق ويسمع خطوات خفيفة قدّر هي تلبس شبشبا

وتدخل الحمام، اختلس نظرة بحذر، رآها تدخل وتغلق الباب.. على أطراف أصابعه اقترب من الحمام سمع ضجّة الماء تسقط على جسمها.. عاد حذرًا وضل يراقب الموقف.. أنهت دشًا سريعا وخرجت، بدأ يعتمد على السمع.. تأكد أنها دخلت غرفتها، في جرأة لم يعهدها في نفسه من قبل، دخل عليها الغرفة وهي تنشّف رأسها بالفوطة، لم تكن تعرف أن ساكن الغرفة المقابلة هو.. فزعت قليلا.. كانت فرحته وابتسامته العريضة شفعت له قال: (بناسيره).. تحية المساء.. ردت تحيته، وهي غير مصدقة.. كيف هذه الجرأة التي تتمناها. وفي الأثر (فاز باللذة الجسور).

هي لم تحجز أكثر من أسبوع في الفندق، كانت تراعي ظروف صاحبتها التي ستعود للعمل في مزارع العنب، (باولا) وهذا اسمها غير مرتبطة بعمل يلزمها المداومة ، أعمالا حرة، تلك المتاجر وعمارة وأراضي صالحة للبناء في مدينتها.. ألزمها خلقها أن تعود بصاحبتها، وأن لا تتركها تأخذ القطار.. قبل أن تغادر مدّدت إقامتها في الفندق حجزا مسبقا حتى تعود بعد يوم أو يومين كما أخبرت مكتب الحجز.. احتفظت بنفس الغرفة.. ودعت منصورا وداعا حارا.. وعدته أن تعود قريبا، قالت: بعد يومين..

قال: يجب أن تعودي أنا في انتظارك.

ـ سأعود ولن أتأخر.

ـ تصحبك السلامة.. ومد إليها يده ليصافحها قالت:

(نو) لا وهجمت عليه تقبله في حضور بعض من نزلاء الفندق،

لم يستغرب أحد منهم الفعل إلاّ صاحبه الذي قال: أظهر يا حق ربى.

جلس منصور مع صاحبه في الحديقة يشربان قهوة بعد إفطار الصباح.. جاءت عاملة في (الرسبشن): الاستقبال تخبر منصور: بوجود غرفة ستكون شاغرة بعد منتصف النهار وبإمكانه حجزها قبل أن يطلبها طالب، فهو ـ منصور ـ صاحب أحقية فيها قبل غيره باعتبار الغرف في المبنى الرئيسي أفضل وأقرب للخدمات والأولية له.

قال:

لا أرغب في تغيير غرفتي، فهي مناسبة.. شكرا لكم.

قال صاحبه ـ معلقا بعد أن غادرت العاملة المكان لتخبر الاستقبال برغبة السيد منصور وأنّه متنازل عن الغرفة التي ستصبح شاغرة ـ تريدك أن تخرج من الجنة.. هم لا يعرفون: لو طلبوا في غرفتك ضعف أجرتها لوافقت بعد أن علم أن صاحبته الشقراء التي غادرت احتفضت بحجز غرفتها وستعود بعد يومين ـ أضاف قالت عائدة بعد يومين ـ على اليمين ما هي إلاّ هنا هذه الليلة.

صدق حدس صاحب منصور.. ست ساعات متواصلة، وباولا تقود السيارة بسرعة جنونية حتى أوصلت صاحبتها إلى مكانها، وعادت بمجرد أن نزلت صاحبتها وحقيبتها.. عادت في نفس الطريق وبسرعة أكبر.. ما هي إلاّ اثنتى عشرة ساعة وتكون باولا في الفندق، تبحث عن منصور في كل مكان حتى لمحته في ركن من الحديقة يجلس مع صاحبه، ارتمت عليه تقبله في وجهه وتحتضنه في شغف، وهي تصف له كيف

كانت تقود السيارة بجنون، وكيف عادت أسرع وهي لا تمنى النفس بشيء الاّ بلقائه، نست صاحبه ومن يجلس معه، التفتت فاعتذرت ورأت مع الرجل سيدة متوسطة العمر مقبولة الشكل كانت تبتسم وهي تسمع باولا تهذى فرحة بلقاء منصور بعد ساعات وقد كانت تقول له إنها ستغيب يومين.. حيتها واعتذرت مرة أخرى. قال صاحب منصور:

أنا عارفٌ بالمفطوم، لا يصبر على أمّه.. قالت بتغيب يومين!! مشت تغرد وجت تبكي من كل عين حفنة.. لا حبوك ارتاح.

ضحك منصور من تعليقات صاحبه باللهجة المحلية، وضل يحتضن باولا بنظراته، ويبدي لها فرحته وإعجابه بها، وكيف عادت بتلك السرعة.

نظر صاحبه يخاطب باولا إشارة ما رأيها في السنيورة الجالسة بجانبه، والتي يظهر لباولا كأنها تعرف الرجل من قبل، وكأنه هو يقول لها: أين هي من صاحبتك، التي كانت معي طيلة أسبوع.

فهمت ما ترمي إليه إشارته وسكتت كأنها تقول له: نعم صاحبتك أفضل من صاحبتي.. انشغلت بمنصور فأخذت تضع كفها فوق ظاهر يده تربت عليها في ود وشغف وعيناها تلتهمان وجهه وهيئته وكل شيء فيه، ثم جرّته إلى دخل الفندق وفي الردهة الواسعة وطلبت له ولها مشروبا منعشا قبل موعد العشاء.

بعد العشاء والسهرة في الفندق على أنغام الموسيقى والرقص قصدت وإياه الشقة حيث غرفتها تقابل غرفته بينهما الحمّام، هي غرفة

واحدة ضلت مشغولة طيلة عشرة أيام كاملة قضتها باولا مع منصور، وتنقضي الأيام مهما طالت: أيام الإجازات والسياحة في الاستجمام والترويح على النفس، وتطلب المشاغل أصحابها.. منصور له ارتباطات في بلاده، وباولا لها مراقبة أعمالها التجارية وأملاكها، لكنّها كانت غير آبهة بشيء، عدا منصور الذي ذاقت معه حلاوة الحب، وعاشت معه أيامًا في سعادة وفرح، لم تحس بها من قبل، كانت مفرمة به سادرة في هواها معه إلى أبعد الحدود، ونست كل ما يشغلها أو يشدّها إلى مدينتها على كل مستوى، لم تعد مشغولة بالتجارة وجمع المال بل حتى أمها التي تعدّت التسعين من عمرها، وحقها الاجتماعي عليها، هي لا تحتاجها في الخدمة، لأن لها خادمتها الخاصة أنما لها حقها الاجتماعي والعاطفي: حق الآباء على الأبناء، وهي الوارثة الوحيدة لها والغنّية بها لها ـ العجوز ـ نست أمها وتجارتها وما تملك، ولم يعد في حاضرها الآ منصور، لا تفارقه أبدا، وهو أيضا كان معها في منتهى الرقة والخلق المهذب، وأغدق عليها من الاحتضان والاهتمام والعاطفة النبيلة الشيء الكثير، فجرّ فيها عاطفة كانت مخبوءة وأحاطها بكل حنان وحب صادق، مما جعلها تهيم به غرامًا وتذرف الدمع وتمنحه ما تملك من عزيز، كانت تقول له: منحتك أغلى ما عندي ـ نفسي ـ وما أملك من مال أبذله رخيصا فداء لك فلا تتركني وترحل بعيدا، كانت تقول لماذا أنت بعيدًا يا حبيبي؟!.. تستعطفه بقلبها ودموعها وتوسلاتها.. لا تغادر ولا تذهب بعيدا. أنا ملك يديك وما أملك.

كان يستعين بصاحبه ـ محمد ـ على فهم ما كانت تقوله له من حديث طويل، مشتعل بمشاعر وجدانية مشبوبة، يستعصى عليه سبر أغوارها، لغة لكنه يحس بها وجدانا التي كانت تعبّر عن كل ذرّة في كيانها مشاعر وأحاسيس نحوه تنطق بالصدق والإخلاص: ذلك لأن لغته الإيطالية لم تكن تمكنّه من استيعاب جميع دلالات ومفاهيم ما كانت باولا تلقيه على مسامعه من عبارات المودة والمحبة والغرام، الذي يفوق كل وصف ـ كما شرح له صاحبه ـ كانت تتحدث بكل ذرة في كيانها من الداخل، وبالإشارة والحركات والاضطراب ـ الظاهرة على وجهها وفي عينيها، أصابتها قلقلة لا تثبت على وضع، وحتى شفتيها ترتعشان، وتصعد إلى وجنتيها الدماء ساخنة فتلونها بالأحمر، ويجف ريقها وهي تتحدث وتخنقها العبرات ويسيل الدمع بلا إرادة منها.

عشرة أيام مرت تحسبها باولا كأنها دقائق عشر، رشفت خلالها رحيق الحب الذي لم يمسّها من قبل، امتلأت به غراما إلى درجة الهيام، ضلّت عواطفها في محراب العشق، ورقصت مشاعرها فرحةً بسحره العذب الجميل، وكان منصور يبادلها الحب، ويحيطها بالمودة والعطف، كان يعشقها في اتزان الرجال، يكابر أحيانا في إظهار مشاعره وأحاسيسه المتأججة، وغرامه المشتعل لكنّها كانت تحسّ بما يكابده هو أيضا من جذوة الصبابة والعشق والغرام الكبير، وتحس به إحساسًا صادقا في يقين، ولأنه لا يصف هيامه بها حديثا لقصور اللغة عنده، إلاّ أن ما تطويه ملامحه وخلجات نفسه الظاهرة من الامتنان والسعادة، بتوحّده

مع باولا، وانصهاره فيها جسدا وروحا، رغبة وانسجامًا، كان ذلك هو الحديث، والتعبير عن المشاعر والعاطفة المكتومة التي يلوذ بها الرحال عادة: هو الحقيقة والصدق.

وجاء يوم الرحيل، أخبرها منصور أن غدا موعد سفره، سيتّجه نحو الجنوب إلى روما حيث يوجد المطار الذي سينطلق منه عائدا إلى بلاد.. لم يكن خبرا عاديًا تسمعه.. زلزل كيانها، شهقت دون إرادة، نزل دمعها ساخنة على خدها، اضطربت جوانحها، ارتعشت بها فيها، قالت:

ـ منصور ماذا تقول؟!! أنا لا أصدق.. منصور كيف تسافر. روعها الخبر أصبح كلامها شبه هذيان، تطلب المستحيل:

لا تسافر.. أنت روحي.. خذ روحي ولا تسافر.. لا أعيش بلاك.

أدرك منصور صعوبة الموقف عليها، وأن الخبر نزل عليها كالصاعقة، أنها الوله به، هي المتيّمة حد الثمالة والعاشقة أول مرة عشق الصبايا اليافعات، إنها تعيش التجربة الأولى مع العاطفة والحب.. هذا الذي أخبرها أنه مسافر غدا.. غدا يسافر منصور! ولمن يتركها؟؟ هي لا تقدر على فراقه لحظة واحدة، فكيف تطيق صبرا دونه؟؟ ولمدة لا تعلم كم تطول؟.. قالت مستحيل أن تسافر.. سأسافر معك.

ـ إلى أين؟ إلى بلادي؟! لا يمكن.. إستدرك هل عندك تأشيرة دخول إليها؟ وحتى لو كانت عندك تأشيرة دخول مستحيل.

ـ لماذا تقول مستحيل؟ ولماذا تأشيرة الدخول؟!

ـ هو الاتفاق بين الدول.

ـ أنا أسافر من إيطاليا إلى المانيا أو فرنسا وغيرها دون تأشيرة دخول.

ـ تلك دول أوربية بينها اتفاقات تلغي بعض الإجراءات منها تأشيرة الدخول..أنتم تنتقلون من بلد إلى آخر أوربي دون قيود ولا رقابة.. نظام متفق عليه بين الحكومات.

ـ منصور أنا مسافرة معك دون نقاش.. لن أتركك تسافر وحدك.. بل لا أقدر على الحياة بعدك يجب أن تفهم هذا.

ـ ولكن يا حبيبتي للظروف أحكامها، وللقوانين احكام.

قالت ـ وقد أضرمت النار كلمة حبيبتي التي تلفظ بها منصور يلتمس بها هدوءًا وتعقلاً منها، فزاد بها النار اشتعالا وأججها في قلبها. فحست باللوعة وألم الفراق قبل أن يقع..لا لن يحدث هذا، لن تسافر.. أنا لا تهمني الظروف ولا القوانين.. أنا معك أينما تكون.. هي حياتي بك وفي يدك.. منصور لا تتركني أرجوك، وأخذت تقبل يديه.. وهو يفردها على الطاولة.. وتبلّلها بالدموع.

قال: ستسافرين معي إلى روما.

ـ وبعدها لا تسافر إلى بلادك؟؟

ـ في كل ظرف حال.. سنرى بعد ذلك ما يكون المهم تسافرين معي إلى روما غدا صباحا.

فرحت كالطفلة أهدى إليها شيء عزيز، قبلت يديه ولمعت الفرحة

في عيونها، ورقص قلبها، وغمرت جوانحها بالسعادة والسرور.

قالت:

ـ غدا أسافر مع حبيبي في سيارتي الصغيرة، يا له من حدث سعيد.

ـ ولماذا لا نسافر بالقطار حتى لا تتعبك القيادة؟ لاحظي ان المسافة لا تقل عن مايتي كيلو متر.

ـ ما دمت مع حبيبي لا يتعبني شيء.. أنسيت أنني قدت السيارة عندما أوصلت رفيقتي إلى بلدتها، وعدت رأسا إليك، وقد استغرقت من الوقت اثنتي عشر ساعة متواصلة؟ ما دمت بجوارك لا أحس إلاّ بالسعادة والفرح.. لن أتعب أبدا، ولا أفكر في عنت ولا مشقة.. وجودك يا حبيبي راحتي وسروري وفرحتي الكبرى.. غدا معك إلى روما وسأذهب معك حيث شئت.. فقط لن تسافر، وإن فكّرت في السفر لن أكون إلا معك حيثما تكون أنا لن أفارق روحي.

كان منصور يفضّل أن تنتهي علاقته بها إلى ذلك الحد الذي وصلته في مدينة كنشانو، وحاول ما استطاع أن يخفّف عليها الصدمة حين يخبرها بسفره الذي لابد منه، فهو قد تجاوز الوقت المحدّد لتلك السفرة والتي لم تكن للسياحة فقط إنما كان يقضي بعض الأعمال الحرّة الخاصة به، لكن الأقدار شاءت أن يلتقي بتلك الفتاة، وكان في البداية الإعجاب بها وبجمالها ورصانتها وسمو خُلقها، هي من البداية كانت غير محصّنة من الوقوع في حبه فالرجل به جاذبية ذكورية ساحرة. هو يعرف ذلك فيه وطالما أوقعته وسامته وسحره الرجولي في علاقات عاطفية مع

نساء كثيرات، أبكار ومتزوجات، كان هو الطرف المرغوب، ولم يكن الراغب فيهن جميعًا، لكنّه تحت ظروف شتى كان يقع في حبائلهن، ويتخلص بصعوبة منهن، أحيانا تكلّفة المتاعب على أكثر من مستوى.

وسافرت باولا مع حبيبها منصور، وهي لا تفكر في فراقه أبدا، ولا تريد أن يأتي على خاطرها هذا الهاجس، كانت تحب أن تعيش كل لحظة وهي معه، غارقة في مشاعرها وأحاسيسها الجميلة، تعيش الفرحة والسعادة، وهو حاضر بجنبها يملأ عليها وجوده الدنيا، تزهو به، وتمنّى النفس بقضاء العمر كله معه، يضمّه سقف واحد، وآمالهما وأحلامهما مشتركة، ولا تبغي شيئا سوى ذلك.. كانت تلك هواجسها طول الطريق حين لا يتبادلان الحديث.

أمّا منصور فكان معها بوجدانه وحضوره الشخصي ومشاعره الطيبة نحوها، وأحيانا يأخذه الفكر فيقطعه بقوله في نفسه: اليوم أمر وغدا أمر، ولكل يوم شأن، لعلها تعود إلى رشدها، وتقنع نفسها بأن في الحياة معوقات وصعاب، منها المستحيل، ومن الممكن والذي لا يمكن من سيمات الحياة، وأن الحياة واقع نرضى بما فيه.

ليلة استثنائية قضتها معه في فندق المطار، كأن عقلها الباطن يقول: ربما هي الأخيرة على الأقل في المنظور القريب، اغترفت ما أثرت به عاطفتها جسدا وروحا، وتزودت بمزيد من العشق، والرجل كان يبادلها الشعور في صدق يعيش معها واجب اللحظة، وله عقل يعمل في اتجاه آخر بعد ذلك.

كان يبحث عن مخرج يقنعها به كي تنسى، أو في أقل تقدير تنزل عن رغبتها الملحة في السفر معه: لأنه مستحيل لأسباب بعضها عرفته، وبعضها لم يفصح عنه، وهو أنه لا يستطيع أن يعيش معها بالشكل الذي كانا عليه هما في ذلك الوقت: أزواجا وغير متزوجين.

قال:

- حبيبتي باولا: اصغي لي بعقل مجردًا عن العاطفة.. تعرفين أنني لكِ وأنت لي، وأنني أحبك.. لذلك عليك أن تتفهمّي موقفي بعقل واع، يقدّر الأمور ويستوعب الواقع، يختار الأحسن لي ولك.

- قل يا حبيبي.. أنا كلي سمع لك، وعلى رأيك فيما تريد. ولن أعصي لك أمرًا.

- أريدك ان تأجّلى سفرك معي هذه المرّة، لأننا لم نأخذ في حسباننا هذا الأمر، ولم نتدبّر ما يطلبه من إجراء، وأنا لي أعمالي وأنت لك أعمالك التي تتطلب وجود كل منا في مكانها، ثم هي أيام وانا راجع لك، ولك وحدك هذه المرّة، وسيكون لنا متسعًا من الوقت ندرس فيه حياتنا في المستقبل درسًا سليما ولا نتعجّل الأمور كما هي الآن.

أطرقت باولا قليلا ثم قالت:

- أنا لك لن أعصى لك أمرا.. وأنا على رأيك فيما تقول مرني بما تريد

- لا أمر عليك، أنت الحبيب الذي يأمر فيطاع.. حبيبتي عودي اليوم إلى بلادك، كما أنا عائد إلى بلادي، واللقاء قريب بيننا. هناك في

تلك الشقة التي شهدت لقاءنا الأول.

هجمت عليه وهو جالس قبالتها، فأمطرته قبلات حارّة وسيلا من الهذيان المحموم، حبا وعشقا كبيرًا كما كانت تقول: كبير كبير يا حبيبي أنت كبير وحبي لك لم تعرفه الدنيا من قبل.

خلّص منها نفسه برفق ومودة، وهو يحتضنها بنظرة حانية وابتسامة رضا، تغمرانها سحرا منه وإعجابا به، وتستوى جالسة يشعّ عليه جمالها وتطالعه فتنتها، فيرضى كل الرضاء، ويضلّ الاثنان ساكنين برهة بعدها يستأنف الحديث، حديث الأماني والآمال، حتى جاءت ساعة الرحيل فكان الوداع الحار منها الدموع، ومنه العزيمة والإصرار والوعد بالعودة إليها قريبا.

لم تغادر المكان إلاّ بعد ان علمت، أن الطائرة أقلعت بحبيبها بعيدا، كما كانت تردّد في حضرته: منصور لماذا أنت بعيدا بعيدا؟! فيجيبها: لكني قريب منك بالقلب أنا قريب قريب.

في غياب منصور مسافرا خارج البلاد، كانت فلانة تبحث عنه في جميع مضان وجوده، استقصت القاصي والداني، سألت عنه من يعرفه ومن لا يعرفه، استفسرت من الحجر والشجر، أين يوجد، ذهبت في كل اتجاه وإلى كل سوق ومقهى، ربما تلتقي به صدفة كما حدث في السابق.. جن جنونها وهي تبحث وتسأل دون طائل، لم تيأس ولم تركن إلى السكون، أو يهدأ لها بال قبل أن تراه، ولو كلّفها ما كلّفها ذلك من عنت ومشقة، هي المرأة لا تستسلم أبدا عندما تبدأ معركة التحدي مع

الرجل.. وكيف لها ذلك هي بالذات، فلانة التي كانت قاب قوسين أو أدنى من الضفر به ولو بطريق غير مشروع، في تلك المرة في بيت صاحبتها التي طرقت الباب، في لحظة فارقه حارقة لفرصة كادت أن تتحقق لو تأخرت صاحبتها قليلا.

ذات مرة كانت صاحبة فلانة، تلك المدرسة المطلقة ذات الفتنة، تسير في الشارع ذاهبة إلى غرض ما من أغراض الحياة، واذا بها تلمح منصور قاطعًا الطريق راجـلا.. أسرعت الخطى نحوه، أدركته.. استوقفته وهي تذكّره بنفسها وبصاحبتها.

قال:

ـ أهلا وسهلا تذكّرت.. أضاف ما حال صاحبتك؟

تجاهلت سؤاله، قالت:

ـ أين أنت يا رجل؟ لك وحشة.

ـ لا يوحشك غياب حبيب.. في الدنيا. وأين يكون الناس؟ في شغل شاغل دائما.

ـ أشغال الناس لا تنتهي، ينهون شغلا ويشرعون في آخر.

ـ والعمر يمر دون أن يشعروا بذلك.

ـ أخذتها من فمي كنت سأقولها.. وينسون أنفسهم.. يحرمونها من متع الحياة ومن ساعات الترويح عن النفس.

ـ صدقت.. والحياة قصيرة، ولا عمر إلاّ فان.

ـ والعاقل من اغتنم الفرص، وأخذ بأسباب الحياة ومن نعيمها.

ـ حقّا ما تقولين، وللإنسان غفلة.

ـ منظرنا وقوفا رجل وامرأة في الشارع، يرى الناس فيه بعض الريبة.

ـ وماذا نفعل؟ نفترق إذًا.

ـ ولماذا نفترق بعد لقاء؟ عقب فراق طويل؟

ـ أنا مشغول بعض الشيء.

ـ وأنا مشغولة أيضا، لكن الفرحة قد تأتي مرة واحدة.

ـ ماذا تقترحين؟ ـ كان الوسواس يقول له انظر إلى فتنتها ـ أنا عند رأيك إذا كان صائبًا.

قالت وهي تبتسم، وهل المرأة تشير بغير الرأي الصائب.

ـ الحكيمات من النساء يصبن الصواب.

ـ لا تخف.. الرجل دائما شجاعًا.

ـ الشجاعة في مواطن دون أخرى.

ـ أنا عهدي بك شجاعا وجريئًا.

ـ اللهم أجعلنا كما يضنون.

ـ ضني فيك حسن.

ـ أنا لم أتشرف بمعرفة اسمك.. عند لقائنا الأول مع صاحبتك وكان في الموقف بعض الارتباك.

- أعرف.. اسمي فتنة، تضحك وتقول: أنا اسمي زهرة واسم التربيج (الدلع): زهيرة.. وبعضهم يقولون عني فتنة.

- وأنت زهرة فعلا وزهيرة اسم فيه نغمة حلوة.. وفاتنة أيضا.

- وأنا ألم أكن حلوة؟ وفاتنة.

- أنت فتنة كما قلت، ويطلقونه عليك مجازا وحقيقة.

- حوارنا قد يطول، ألا نتحرك.

- إلى اين؟

- تقترح أو نقترح؟

- غالبا ما تكون المرأة موفقة في اقتراحاتها.

- نذهب إلى بيتي.. هو قريب من هنا.. نشرب قهوة.

- ألا تزورك صاحبتك فلانة؟؟

- في هذا الوقت لا.. أنا ضامنة ذلك.

- هي بالنسبة لي كالقدر، لا أعرف متى يفاجئني.

- على كل حال هي قللت من زيارتي في هذه الأيام، لكني أعرف أنها بحثت عنك - في غيبتك - طويلا وأعتقد أنها لا زالت جادة في البحث، هي المرأة، تعرف أنها لا تستسلم للفشل.

- وماذا بيني وبينها حتى تفشل أو لا تفشل؟!

- كان بينكما مشروعٌ.. ضننت ذلك حين وجدتكما معًا في بيتي.

- إن بعض الضن إثم.

ـ قول حق.. لكن بعض وليس كل.. وهل نضل وقوفا نتجادل؟!

ـ لنذهب إلى بيتك كما قلت.. تعالى هناك سيارتي.

ـ لا داعي للسيارة.. في مكانها بعيدًا أحسن.. بيتي قريب من هنا.

أخذا طريقهما نحو البيت، وهما في حديث ظاهر ومظهر لا يدعو إلى الريبة والشك لمن يراهما، فقد تصرفا كأنهما زوجان.

فتحت الباب وأفسحت الطريق ليدخل منصور قبلها ثم أغلقته وأقبلت عليه مرحبة: خطوة عزيزة، ومقدم سعد، ومطلب غال.

ـ هذا من كرمك وحسن استقبالك وحفاوتك وشكرا على ما أنا فيه من حفوة عندك.

ـ وأي حفوة؟ أنت منى القلب، ونزهة العين وسرّة الفؤاد.

ـ يظهر لي أن لي مكانة عندك؟؟

ـ وأي مكانة يا رجل! ألم أقل لك أنك منى القلب؟!

ـ وهذا شعوري نحوك منذ ريتك تلك المرّة.

ـ حين كانت معك صاحبتي في بيتي.. أردفت قبل أن يتم المشروع.

ـ عن أي مشروع تتحدثين ـ في خبث ـ نحن كنا في انتظارك.

ـ وجيئت في الوقت المناسب.

ـ في هذه قولان.

ـ أعرف ذلك.

ـ عفوا.. سأعد لك القهوة.

ـ وهل أنا في حاجة إلى القهوة؟! أنا في حاجة إليك.

ـ لا تتعجّل.. بالنار الهادية يكون الطعام أحسن. ودخلت تعد القهوة في المطبخ في مواجهة الصالون، كان ينظر اليها بنهم، ويقول في سرّه: إنها فتنة، صحيح ما يقولون عنها. وقت يسير ولم تنضج القهوة بعد، ويسمع طرق على الباب، في عجلة واستغراب من سيكون الطارق يا ترى قالت زهرة في نفسها وأسرعت تفتح الباب، وقد نست أن منصور يجلس في الصالون..

فتحت الباب بلا احتراس، ذهلت حين وجدت نفسها وجها لوجه مع صاحبتها فلانة، سلّمت عليها في ارتباك وقلبها كاد ينخلع من بين ضلوعها، حين تذكرت أن الجالس في الصالون هو منصور الذي تبحث عنه صاحبتها في كل مكان، ضالتها المفقودة على بعد خطوات منها.. يا له من موقف.

قالت وهي تحاول أن تخفي ارتباكها، وخيانتها لصاحبتها المتعمدة والتي كادت أن تقع، لولا دخولها في اللحظة الفارقة كما حدث ذات مرة سابقة معها هي ـ فلانة ـ وكأنها ردّة فعل جاءت مصادفة.

قادتها إلى الداخل.. إلى الصالون وهي تقول لها بصوت مسموع، تصوري من الجالس هنا؟ منصور جاء يسأل عنك. صدّقت فلانة وكذّبت، صدّقت حين رأت منصور يجلس في صدر الصالون، وكذّبت: ما قالته صاحبتها.. أنه جاء يسأل عنها، وأن الأمر خلاف ما تبطن صاحبتها المرتبكة المتبدّلة سحنتها.. نهض هو يستقبلها بابتسامة

واسعة منافقة، وقد وجد المبرّر لوجوده، الذي صرحت به زهرة تغطى على نفسها وعليه، قال: ينافقها، ويلعن وقتًا جاءت فيه:

ـ أخبرني صاحب القهوة التي وجدتني فيها ذات مرة أنك سألت عني أكثر من مرة، وأنا آسف لذلك: يعني المعنيين: الاعتذار والإلحاح، اعتذار عن عدم وجوده بالنسبة لها وأسف للإلحاح الذي يضائقه منها.

قالت: أين كنت؟ هي عادتك الهروب.

ـ كنت مسافرا.. ألم يخبرك صاحب القهوة؟

ـ هل أنا أرخص نفسي لصاحب القهوة لأسال عنك إن كنت مسافرا أو مقيما.. أنا مجرد سؤال سألته عنك إذا ما كنت قد جئت مرة أخرى، وقد أفهمته أنك قريب لي، أيها القريب الهارب كانت صاحبتها، صاحبة البيت التي كانت ترتب لمشروع خيانة لصاحبتها على اعتبار أنها تعلم بعلاقة فلانة بصاحبهما الذي أصبح مشتركا يتجاذبانه بينهما، كانت قد استردت أنفاسها واستعدت لمزيد من الكذب قالت:

ـ منصور جاء يسأل عنك بلهفة كأنه سمع عنك مكروها، فلما طمأنته عنك أراد أن يخرج لكنّى حلفت عليه أن يشرب قهوتي، وها هي القهوة على النار لم تستوي بعد، فرصة تشربانها معًا.

صاحبتها ـ فلانة ـ غير غافلة عن مكرها ونصب حبائلها للرجال من خلان وأزواج صاحباتها، فهي ماكرة خائنة فتّانة وفتنة، فهنَّ ـ صاحباتها ـ يسمونها الفتانة ـ خطافة الرجال، والرجال يسمونها الفتنة التي تصرع عزائم الرجال.

قال:

وكنت سأبحث عنك مهما كلّفني الأمر، وصاحبتك زهرة تعلم بهذا بدأوا يشتركون جميعا في الكذب حتى منصور، وإن كان كذبه لتبرير المواقف وللهروب منها بأية وسيلة، هو لا يحب امرأة تلاحق بإلحاح، أحضرت زهرة القهوة، بعدها نهض منصور يستأذن في الخروج.

قال يوجه خطابه لهما مبطنًا بشيء من الإسقاط:

ـ الحمد لله التي أنت بخير يا فلانة وصاحبتك زهرة المضيافة نلتقي مرة أخرى.

مرّة أخرى مع من؟.. في خطابه لفلانة ، عطف زهرة عليها.. ماذا يقصد لتفسر كل منهما كلامه كيف تشاء.

قالت فلانة:

ـ أنا خارجة معك، أنت تعلم أني جئت إلى هنا بسيارة أجرة.

ـ خذني معك إلى المحطة من فضلك.

أي محطة يا ماهرة؟ قالتها زهرة في نفسها.. أنا أعرف أنك تلاحقيه في كل مكان، ومنصور لا يرغب فيك، إنه يريدني أنا.. قالها بعظمة لسانه قبل أن ترمي علينا مصيبتك: قال: لا أريد القهوة أنا أريدك أنت أضافت في سرها: لكنك جئت كالقدر، دون سابق إنذار وأفسدت كل شيء، ولن تضفرى به أبدا.. وأنت غبيّة.. الرجل لا يحب من تلاحقه.. الرجل يرغب في المتمنّعة الراغبة، وجمالك لا يساوي شيئا أمام الفتنة.

أخذ منصور يستعد للخروج، وفلانة تتهيأ لمرافقته وزهرة تقرأ في وجه كل من منصور وفلانة ماذا يبيت كل منهما.. فلانة تأمل أن تنفرد بمنصور وتحقق رغبتها المكبوتة منذ شهور، ومنصور يبغي الإفلات منها مهما حاولت إغراءه، أكد لها ذلك ـ لزهرة ـ بإشارة اخفاها عن فلانة.

خرج منصور وتبعته المرأة، مصرّة على ملاحقته في إلحاح سافر أمام صاحبتها، التي غمزت بعينها منصور تسخر منها، جلست في السيارة بجانبه بخفة، تقطع عليه أن يطلب منها الجلوس في المقعد الخلفي كما فعل معها في المرّة الأولى..

قالت:

ـ واحدة بواحدة ها أنا جلست حيث أريد.

ـ نفذت رغبة.

ـ وما زالت رغبات.

ـ لعل الفرص غير مواتية.

ـ صحيح قولك كأن يوحى إليك، اليوم فعلا غير مواتية.

ـ بدأت تلغزين الكلام.

ـ سأشرح لك ما انغلق عليك.

ـ أحيانا لا داعي لأن تشرحي كل شيء.

ـ فهمت ما أقصد؟؟ أنا أعرف فطنتك.

ـ أرجو أني فهمت..وأن تفهمني أنت.. بقصد ألاّ تلح في مطاردتي..

ـ هما يومان أو ثلاثة فقط.. ثلاثة مؤكدا ويزول العذر.

ـ عن أي عذر تتحدثين؟

ـ لا تتغابى! أعرف.. أنك تعرف، لكنك توارب.

ـ ربما ضنك صائب.

ـ أنتم الرجال معفيون من بعض أعذار النساء.

ـ أحيانا لنا أعذار أخرى قاهرة.

ـ بدأت تلمّح للهروب.. أنت خوّاف.

ـ اللي خاف سلم.. المهم أين تريدين النزول؟

ـ في المحطة كما قلت لك.

ـ أنا سأمر قريبا من بيتك. لماذا المحطة وتكلفي نفسك أجرة التاكسي

ـ لا تقرب الحمى

ـ ومما تخافين؟ ألست منفصلة؟

ـ ما زال يلاحقني بالمراقبة هو شخصيّا، وله عيون يبثها حولى.

ـ ما زال راغبًا فيك.

ـ إلاّ انت.

ـ من أدراك؟

ـ القرائن، والأعذار الواهية، والهروب في كل مرّة.

ـ لن أهرب مرّة أخرى ما دمت تسمين أعذاري هروبا..

ـ عندما يزول عذرك.

ـ بعد ثلاثة أيام.. من الخميس إلى الخميس ثمانية أيام ونحن اليوم في يوم الثلاثاء.. يوم الجمعة لا عذر لي.. أين نلتقي يوم الجمعة.

ـ والناس يصلون؟؟!

ـ لكم دينكم ولي ديني.

ـ نحن مسلمون.

ـ ومن المسلمين بعض العصاة.

ـ من المعاصي ما هي كبيرة.

ـ وتنسى ربًا غفورا.

ـ ونعمة بالله: الغفور الرحيم، أنت يا امرأة مصرّة على ما حرّم الله.

ـ قل لي متى نلتقي يوم الجمعة بالله عليك؟؟

ـ إذا لم يكن عندي عذر

ـ يا رجل.. لماذا هذا العذاب.. أفي عرفك رجل يتلذذ بعذاب امرأة؟!

ـ يا فلانة.. لماذا تصرين أنت على المعصية، ومعي أنا بالذات؟؟

ـ لأنك ساحر.. سحرتني ودمرتني.. وأنت الآن تحاول التخلص.. لا تحاول.

ـ أنا لا أعرف السحر.

ـ السحر فيك.. وأنت لا تعلمه.. العلم به ليس في عقلك..

ـ هو في ذاتك.. كفاك جد الا.. متى نلتقي.

ـ ما دمت مصرّة على الساعة العاشرة صباحا.

ـ أين؟

ـ في المكان الذي ستنزلين فيه الآن.

ـ سر بنا في الشارع الثاني على اليمين هناك محل تزيين ستجدني في انتظارك.

ـ نزلت حيث أشارت، أمام محل لتزيين النساء، في شارع جانبي، يقابله محل للبقالة قليل الحركة.

سار هو في طريقه، وعقله بدأ يعمل كيف يتخلص منها.. إنه لا يحب هذا النوع من النساء.. وهي جميلة وشابة، لكن عرضها لنفسها بهذه الإصرار والإلحاح، قلّل رغبته فيها، وأصبحت في نظره مجرد امرأة عابثة رخيصة، قد تصنف في فئة الجانحات، والرجل دايما يحب العاقلة الرزينة، التي يتوق إليها ويلاحقها، يطاردها، يرغبها ويشتهيها، وهي تمنع أو تتمنع، أو حتى التي تلقي وإياه في منتصف الطريق.. الرجل يحب أن يكون هو الراغب، ولا بأس إن كان مرغوبا بتعقّل وعفّة وكرامه من طرف المرأة.

لأسباب كهذه زهد منصور في صاحبته فلانة فهي كما يقولون: تبيع نفسها رخيصة، بمعنى: تسقط نفسها ولا تحفظ كرامتها بملاحقتها منصور في اصرار سافر، ودونما تحفّظ وهي على هذا الحال لا يشفع لها

جمالها ولا فتنتها ولا أي من مقومات الحسن فيها، ولو كانت رصينة عاقلة متّزنة، لفازت بما ترغب، محفوظة الكرامة موفورة الاحترام، وكان منصور هو الذي يطاردها ويلاحقها في كل مكان ويعرض عليها الغالي والرخيص.. يتودّد إليها ويشتري قربها ويتلهف على رؤيتها ويضرب لها المواعيد ولا يخلفها أبدا.

جاء في الموعد.. أراد أن ينهي مشغلة تؤرقه طيلة ثلاثة أيام، جاء مكرها ملتزما بموعده الذي ضربه لها أمام محل المزين، وجدها تترقب بلهفة، خرجت تتلفّع بعباءة سوداء وتضع برقعا لأول مرة في حياتها، وتحشر بين صدرها وذراعها اليمنى مجموعة من كتب مدرسية، قال:

ـ ما هذا هل دخلت المدرسة الثانوية من جديد؟؟

ـ اسكت.. هذا من لوازم التمويه، سر مع الشارع الأول يسارا.

ـ سألتك عن البرقع والعباءة والكتب.. لم تجيبي صراحة.

ـ المكان الذي نقصده يعرفني أهله.. عمارة قريبة من هنا والحي آهل بالسكان.. والأطفال لا يكتمون السر.. فهمت الآن.

ـ وما ألجأنا إلى هذا نعرّض أنفسنا للقيل والقال ـ كان يود أن يقول ولماذا ندخل دوائر الخطر بأرجلنا.. هو شبقك الزايد وطيشك ـ أنا عندي مكان آمن.

ـ ليس اليوم.. اليوم رتبّت أمري.. وفي مرات قادمة لك الخيار.

ـ قال: في نفسه ومازلت تطمعي في مرات أخرى.. أنا معك على

كل حال اليوم كما تشاءين، ومرات أخرى يكون لها ترتيب آخر.

نزلا من السيارة قرب العمارة التي تسكن إحدى شقتقها صديقة لفلانة، ودخلا من الباب الكبير، والعمارات في مدينتهم ليس لها بوابون يتعرفون على الغرباء ويحرصون ويعملون مخبرين لدى جهات خاصة كما في أغلب المدن في الدول الأخرى.

قالت له:

ـ نحن الآن زوج وزوجة في زيارة خالتي زهو، اطمئن على كل شيء ومن كل شيء حتى السيارة سيحرصها ولدها الصغير من عبث الأطفال، أحضرت له معي (باكو شكلاتة).

ـ وهي ماذا حضرت لها؟ هو يعرف هذا الصنف من المضيفات كم هن طمّاعات.. هنّ كوسيط العقارات يستلم أتعابه من الطرفين.

ـ هي صاحبتي الروح بالروح، وأنا لا أبخل عليها في كل مرّة بهدية وبعض المال.. هي مسكينة أرملة ليس لها من يعولها.

ـ أحسنت حيث تحسنين لها في كل مرّة، وفي كل مرة هذه التي فلت بها لسانها ورددها هو عن عمد، أحدثت عنده ردّة فعل نفسية سيئة للغاية.. هي إذًا تردّدت على هذه المرأة (زهو) مرات سابقات، ومن يدري كم عددها، وفلانة هذه رغم ما تظهره من عشق ورغبة فيه ـ منصور ـ هي قطعا من الجانحات السرّيات.. هي تتاجر بالشرف، وتضرب بالقيم عرض الحائط، وحتى إنها لم تطلب منه في هذه المرّة

هدية أو مالا، وربما لا تطلبها في المستقبل، لتثبت له أنها ولهة مغرمة، وليس طامعة مستغلة، فهي والحال هذه في نظره من سقط المتاع، ولا يشرّفه أن تكون ممن يعرف أو يتعامل معه، ولتكن هذه المرّة أي الدخول معها في بيت (زهو) زيارة كما قالت، ولن يفعل شيئا. سيستعين بعقله للتخلص من الموقف في الوقت المناسب، بل ربما يحدث أمر لم يكن محسوبا يخلصه ممّا هو فيه.

رحبت بهما زهو أيّما ترحيب، استدعت ما في ذاكرتها من عبارات الحفاوة والتكريم المبالغ فيه، والذي تفوح منه رائحة الطمع والحصول على الجائزة ذات القيمة وغالبا ما تكون نقداً وذلك هو دأب أمثال خالتي زهو كما تناديها فلانة.

استقبلتهما بوجه مستبشر بالخير من جيوبهما وليس بوجودهما، فهما عبء عليها حتى يرحلان لأنها شعرت في الأيام الأخيرة بأحد مخبري الآداب يحوم حول العمارة، وكما أخبرها أحد زبائنها الزائرين مع نساء كزيارته - منصور - مع فلانة.. وأنها أي زهو في خيفة وتوجس حتى تنتهي الزيارة التي تأمل أن لا تطول وتنتهي على خير.

قادت فلانة منصور إلى غرفة جانبية بها مجلس (قعدة عربية) وسرير وبعض الوسائد وأغراض أخرى منها سفرة بها كأسان وقنينة ماء، وهناك زهريّة تعلوها ورود اصطناعته من البلاستيك بجانبها على طاولة صغيرة وعاء مملوء بماء المزهر ترش به زهو عادة زوّارها حين يخرجون من عندها، وعلى الحائط المقابل للسرير يوجد منظر (تابلوه)

فيه رسم لمجموعة من صبايا شبه عاريات، إحداهما تعزف على آلة العود، واثنتان ترقصان، وسيده تتكئ على وسائد وثيرة يظهر كأنها أميرة من عصر الرشيد.

هذا كل ما في الغرفة، التي يدخل اليها رجل وامرأة بحجة أنهما زوج وزوجة، كما تقول زهو لابنها الذي تجاوز سن الإدراك، حتى إنه ذات مرة لاحظ أن أحد الأزواج كان يصحب امرأة غير التي جاء بها في زيارة مرة سابقة فقال لأمه:

عمي فلان الذي أحضر لي في المرّة السابقة لعبته، هو اليوم مع زوجة أخرى، أين زوجته الأولى؟؟

قالت له أمه:

هذه زوجته الثانية.. ألا تعرف أن الرجل المسلم محلّل له في أربع زوجات؟

وأنا عندما أكبر سأتزوج خمسة.

اكبر أولا وستتزوج ما تشاء.

طلبت زهو من ابنها أن يذهب ليحرس سيّارة عمه منصور الذي أحضرت له فلانة علبة شكلاته: وعمّه منصور سيمنحه بدوره بعض المال.

ذهب الطفل ورابط بجوار السيارة يهش عنها الأطفال في عمره واكبر منه، حتى جاء ولد شرير من العمارة المجاورة فاتكئ على مقدمة السيارة، منعه ابن زهو متحرّش به قائلا: هذه سيارة عمي لا تقربها وإلاّ

أناديه يضربك قال الولد الشرير:

منو عمك يا ابن... ولطمه على وجهه لطمة شديدة انبعث الدم على أثرها من أنفه، وأخذه فطرحه أرضا وأخذ يركله برجليه حتى أغمي على الولد.. فزع الأولاد أصحاب ولد زهو وصعدوا إلى شقتها يضربون الباب بعنف، كانت قد أعدّت القهوة للضيوف وتنحت عنهما في جانب من الشقة، وقبل أن يحدث ما يجب أن يحدث هجم الأولاد يضربون الباب، فزعت زهو وتبعتها فلانة تستطلعان الأمر، وإذا بالأطفال يخبرون المرأة زهو: أن ابنها قتله الولد الشرير، لطمت خدّها ونزلت تتبعها فلانة التي ضلّت واقفه في باب العمارة، الولد كان مغمى عليه وأمه تولول وتطلب من فلانة أن يأتي منصور ليسرع به إلى المستشفى، وكان الأمر كذلك.

خرج منصور منزعجاً يستوضح الأمر فوجد فلانة في باب العمارة أخبرته الخبر، وطلبت منه أن يسارع بالولد وأمّه إلى المستشفى من أجل إسعافه ورافقتهم بالطبع.

كانت لمة من الناس، تحلّقت حول الولد تسرّبت من الشارع ومن العمارة، والعمارات المجاورة، على أثر ضجة الأولاد وولولة الأم المفجوعة، بحكم الفضول واستطلاع الأمر، ومن الناس من يعرف زهو وسيرتها المشبوهة وخاصة الساكنين معها في العمارة.

خطف منصور الولد، وأمه وفلانة المجهولة وانطلق مسرعاً نحو أقرب مركز للإسعاف. وضل الناس المتجمعون في هرج ولغط،

وتأويلات، وهمس لا يخلو من وسوسة ونميمة سرت بين الكثيرين منهم، أغلبها انصبت حول صاحب السيارة والمرأة المجهولة وعلاقتها بالحاجة زهو، كما يطلقون عليها من قبل ألقاب الأضداد.

كان الولد أصابته خطيرة الأمر الذي جعل الطبيب المسعف يأمر بتحويله إلى المستشفى الرئيسي حيث يوجد قسماً للعظام، فالولد كسر له ضلعان وبه رضوض في كامل جسده، وإصابة بليغة في أنفه واسقطت له ثنيتاه.

يا له من أمر جلل بالنسبة للحاجة زهو، فالولد وحيدها وهو ر جل البيت كما كانت تقول.

أمر الطبيب المختص بحفظ الولد لمدة لا تقل عن ثلاثة أسابيع، فالكسر في الأضلاع يحتاج إلى السكينة دون أربطة ولا تجبيس، وأمر بأن ترافقه أمه فهي أحرص من طاقم التمريض على منعه من الحركة ورعايته.

طلبت زهو من فلانة أن تعود إلى الشقة، فتغلقها وتسلم المفتاح إلى جارتها وتخبرها الخبر، أجابتها: حاضر.. لا تشغلي بالك.. لا بأس على الوليد.

وسوس لها الشيطان في التو لتحقق رغبتها كما تشاء، البيت مفتاحه في يدها وصاحبته في غيبة طويلة.. لكنها مضطرّة أن تسلم المفتاح إلى الجارة كما طلبت منها !!.. لا بأس، ليكن وقتًا قصيراً قبل ان تسلم المفتاح.. المهم أن تُحلّ العقدة التي تلاحقها.

عاد منصور وفلانة لتسليم المفتاح كما طلبت منها الحاجة.. تحت العمارة وقف منصور وطلب منها أن تنزل لتنفيذ وصية المرأة؛ وهو ينتظرها حتى تأتي.

قالت:

انزل أنت.. ونظرت إليه نظرة ذات معنى.

أفي هذا الظرف .! كيف أنت يا امرأة؟ ألا تحسّين بمصيبة صاحبتك؟

صعدت العمارة وأغلقت الشقة، واحتفظت بالمفتاح في حقيبتها متعمدة، جاءت وهي تخاف أن يسألها عن أمر المفتاح. قالت في نفسها لو سألها ستضطرّ للكذب، جلست بجانبه غير راضية على فوات الفرصة.

قال: هل أودعت المفتاح عند جارة الحاجة كما طلبت منك؟

مؤكد.. أردفت: مالك أصبحت تشك فيّ ومكرهاً تجاملني.. أنا غير مربوطة في رجلك.

كل منا غير مربوط بالآخر.

كأنك تريد أن تنهي العلاقة؟ يا بعدك.. أنت لن تفارقني إلا بعد أن...

هذا ليس وقتا للكلام في هذا الموضوع.. أنا شخصياً يا فلانة متوتّرا ومنزعج مما حدث للولد بسببنا.

لماذا بسببنا؟.. مكتوب له.

لا تكابري وتنكري الحق.. لولانا لما حدث له ما حدث.

أنت الكلام معك لا طائل منه.. أنا افكر في شيء وأنت في شيء آخر.

لو كنت منصفة «لفكرت في أمر الولد المسكين وأمّه المنزعجة عليه وهو راقد في المستشفى يعاني الآلام.

ومالي أنا؟ هل أنا التي ضربته! هو ولد حرام ومشاكس.

لا تتكلمي عن الحرام !! ولا تنكري.

دعنا من هذه السيرة.. تكلم في شأن آخر.

لم يعد لي من كلام في أي شأن.. من فضلك أين تريدين النزول؟

الآن هنا في هذا المكان.. قف عن اليمين.

أوقف منصور السيارة عن يمينه حيث أشارت وأشاح عنها بوجهه ينتظر أن تنزل.

نزلت وصفقت باب السيارة بقوة وشيعته بنظرة فيها احتقار ووعيد.

واصل هو سيره بهدوء ولم يلتفت إليها وهي تعبر الشارع أمامه عمداً ثم رمته بنظرة أخرى فيها معنى: لن تفلت مني، وإن طال هروبك واعذارك الواهية.. أنا وراءك، في سرها (صار يعجبك في الدهر غير طوله).

أصبح منصور يفكر في الهروب مرة أخرى خارج البلاد، تخلّصاً منها، لعلها تهدأ وتثوب إلى رشدها فتكفّ عن ملاحقته، فقرر السفر بعد أيام إلى إيطاليا، حيث صاحبته الشابة التي تواعد وإياها على زيارتها في مدينتها عندما تسنح له أول فرصة، وها هي الفرصة واتته، من جهة ليبتعد عن فلانة، التي أصبح يسمِّيها: (النحس) ومن جهة أخرى هو له ارتباط مع شركة للمعدات الحديدية يتعامل معها في التسويق في إيطاليا وله أعمال أخرى في مجال آخر.

أخذ يعد للسفر إجراءاته اللازمة، منها إجراء استثنائي: طلب الحصول على تأشيرة دخول إلى سويسرا، فقد اتفق هو والإيطالية الشابة

على زيارة سويسرا عندما يأتي، فهو مطلوب منه الحصول على التأشيرة للدخول إلى الأراضي السويسرية مسبقًا، وليس كما في إيطاليا: الحصول على تأشيرات الدخول تمنح في المطار لرعايا بعض الدول، منها بلده.

أتم كل إجراء يلزمه في سفرته هذه، ولم يعد أمامه إلاّ يومين ويستقل الطائرة إلى روما ومنها بالقطار السريع إلى صاحبته في مدينتها الواقعة في الشمال.

جن جنون فلانة تلك التي تلاحقه في كل مكان.. إذ لم تعثر عليه أينما ذهبت، ولم تسمع بخبر من أحد كلّما سألت عنه في أي مكان. هي لم تيأس منه.. ترفض الفشل رفضاً باتّاً للحصول على حاجتها منه، تتحدى كل الصعاب، وتجتاز المعوقات، وتذلّل ما يعترض طريقها في الوصول إليه بأي ثمن، لا تقبل أن ترفع راية الاستسلام تريد أن تنتصر ولا ينتصر عليها.. كيف يفلت هذا السافل المغرور كما أصبحت تنعته.. يعبث بعواطفها، ولا يأبه لمشاعرها وأحاسيسها.. يهينها حسب اعتقادها ويزهد فيها، وهي من يغازلها الشباب، ويتمناها كل عاقل رزين.. هي الشابة الجميلة المشتهاة من الجميع، وبأمر من أصبعها يركع عند قدميها الجميع.. كيف لهذا الحقير: عاشق روحه كما تصفه أحيانا، أن يتركها ذلك اليوم مهانة دون أن يعتذر حين طلب منها: أين تريد النزول، ولم يلتف حتى لتحيتها وهي تغادره، كأنه لم يعرفها ويجلس معها مرتين في بيت زهرة وفي شقة الحاجة، وكانت له بها رغبة، ماذا دهاه؟ هذا الرجل عاشق روحه؟ لعل زهرة الفتانة اتصلت به واستحوذت عليه بطرقها

الخاصة، تلك اللعوب الخائنة التي تخطف الرجال من صاحباتها.. إنه سافل مثلها إن عاد إليها.. هو يعرف بيتها، وقد فاجأتهما من قبل معاً، وتعلّل هو أنه جاء يبحث عنها وأمنت هي عليه، كم كنت ساعتها مغفّلة فصدقتهما يا للرجال من كيد النساء ويا للنساء من ظلم الرجال.. لن أتركه، حتما لن يفلت مني.

في مكان لم يخطر على بالها وجدته.. كان خارجاً من مأتم.. كان يعزي في أحد أصدقائه في شارع يقع فيه بيتها، وكانت خارجة تحضر بعض لوازم البيت المعيشية من بقالة في نفس الشارع، رأته يقصد سيارته قريبا منها.. ولم يتبيّنها قبل أن يصل إلى السيارة، أخفت نفسها حتى فتح باب السيارة وجلس وراء المقود، فتحت السيارة وهو يدير المحرك وجلست بجانبه.. قالت: أنا وراءك وراك.. أنا قدرك.

- أسم الله العظيم... من أين جئت يا امرأة ؟!

- أنت الذي جئت إلى عقر داري.

- دارك !.. أين دارك؟.. لو كنت أعرف أن دارك هنا لذهبت إلى مكان آخر.. استدرك أنه لا يجب إظهار بغضه لها، ومن الأسلم أن يسالمها.. أنت نفسك قلت ذات مرة لا تقرب الحمى.. آسف إني لم أقصد إحراجك أمام الجيران، أو ربما يرانا زوجك السابق..

- هو ما زال زوجي نحن منفصلان فقط، وعلام الأسف؟ أنت فعلت خيراً، ألا تعلم أنني أبحث عنك في كل مكان.

- ضننت أنك هجرتني بعدما نزلت من السيارة غاضبة دون حتى

تحية وداع، ونظرت لي نظرة كره واحتقار.

ـ كنت ساعتها فعلا غاضبة منك، لأنك لم تطاوعني، وكان مفتاح البيت: بيت زهو، في حقيبة يدي، لم يفارقك الخوف دائما.

ـ كان الوقت غير مناسب، ومن المروءة أن نفعل ما كنت تدعوني إليه في بيت أهله خارجه وقد حلت بهم مصيبة.

ـ ألم يكن هروباً مني؟

ـ لا يا فلانة.. فقط أنا أقدر الظروف، وقد كنت في حالة نفسية غير مرضية بسبب ما حدث للولد وأمه المسكينة ونحن لم نشرب قهوتها بعد.

ـ وما عذرك الآن؟ أنت الآن دخلت الحمى.. جئت برجلك.. وتعرف أنك ضالتي التي أبحث عنها في كل مكان وما حييت إن لم أقضى وطرا.. أنت الآن في قبضتي.. أسيري.. والمفتاح ما زال في يدي، إن شئت ذهبنا إلى شقة زهو، أو نذهب حيث تشاء أنت.. لكنك لن تفلت هذه المرّة.. دبّر أمرك، أما أنا فلا أبرح السيارة حتى لو ذهبت إلى بيتك.

ـ بيتي؟! أنت مجنونة يا فلانة.. دعيني أعمل عقلي.. أما أنت والحالة هذه لم يعد لك عقل.

ـ دبّر، وفكّر، وأعمل عقلك، وعلى مهلك.. أما أنا فإني مصممة على ما أخبرتك به.. قل ساقطة.. قل رخيصة.. قل غيرها، أنا أعرف نفسي.. أنا عاشقة وأنت لا تدري، أو تدري وتمارس عليّ ساديتك.

ـ يا فلانة.. كم من محاولة حاولناها هنا وفشلت لأسباب متعدّدة.

حتى أني أصبحت أشك في أن عمل من السحر كان يفرقنا، والآن أنا عندي اقتراح أن قبلت به.

ـ قله.. أنا قابلة به مهما يكن.. فقط لا أنزل من هذه السيارة.

ـ الوقت ما زال فيه متسع.. نحن الآن في الصباح.. العاشرة تقريبا.. هل معك جواز سفرك؟

ـ على بعد خطوات.. في بيتي، سأحضره على ألاّ تهرب.

ـ ليس من شيمتي الهروب.. والله لن أهرب وسأضل في مكاني حتى تأتي.

ـ دقيقة واحدة.

ـ جاءت ومعها جواز السفر ولا شيء غيره من لوازم السفر.. انطلقت بهما السيارة لم تسأله إلى أين، قال لها:

ـ نحن الآن في العاشرة صباحا قبل الواحدة نكون خارج الحدود وفي أول فندق في أول مدينة نرتاح ونشرب القهوة ونعود، قبل المغرب، يكون كل منا في بيته، ما رأيك في هذه الفكرة؟

ـ أنتم الرجال تعملون عقولكم.. ونحن النساء نعمل عواطفنا.

ـ وللرجال عاطفة أيضا، إنما العقل يعمل ليجنب العاطفة من الانزلاق.

ـ دعني من دروسك، وزد في السرعة كسبا للوقت.

ـ لنا متسع من الوقت، هي: ثلاث ساعات ذهاباً وساعة للراحة وثلاثة أخرى في العودة سالمين إن شاء الله.

ـ ولماذا تبخل بساعة أخرى أو ساعتين ما دام لنا الوقت؟

ـ سنرى وربما مدّدنا إقامتنا لأكثر من يوم.

ـ يكون أحسن وأروع وأطيب مقاما.

ـ مجنونة والله.. أنسيت أنك ربة بيت ولك أطفال سيعودون من المدرسة ويفتقدونك؟ ، وأذا جاء الليل ولم تعودي، أليس ذاك مدعاة للريبة؟! ساعتها يتنادى الجيران للبحث عنك ويكون الحال غير محمود.

ـ أنت أنسيتني كل شيء.. سلبت عقلي، وأعميت بصيرتي، أنت السبب في كل ما يطرأ.. نسأل الله الستر.

ـ الستر مطلوب على كل حال.. لكن لو فكرنا لما أقدمنا على هذا العمل.

ـ أنت الذي اقترحت هذا.

ـ تحت إلحاحك وإصرارك.. أنسيت أنك قررتي ألاّ تنزلي من السيارة على كل حال لا تلاوم الآن..سنحاول أن نعود قبل المغرب، وربما سافرنا مرة أخرى بعد الترتيب والاستعداد، والذرائع كثيرة منها العلاج.

ـ وعد منك سنسافر قريبا؟!

ـ حين تتهيأ الظروف، وندرس الأمر بعناية.

أجتازا الحدود، وفي أقرب مدينة قصدا فندقا صادفهما في الطريق. دخل هو أولا وتبعته هي.. مد بجوازي السفر إلى موظف الاستقبال.

ـ قال موظف الاستقبال: السيدة زوجتك ؟؟

ـ نعم هي زوجتي.

ـ مطلوب عقد الزواج من فضلك.

ـ نحن لا نصحب معنا عقد الزواج عادة في السفر.

تعليمات الإدارة عندنا لابد من استظهار عقد الزواج سواء للأجانب أو حتى المواطنين المحليين.

ـ اليس هناك من حل آخر؟ وتململ يحاول أن يرشي الموظف ببعض الدينارات.

قال الموظف وقد فطن إلى نواياه – لا يا أخي التعليمات مشدّدة ولابد من تطبيقها.

كانت هي قريبة منه تسمع حوارهما، امتقع لونها، وشعرت بإحباط شديد فحاولت أن تتدخل لتؤكد للموظف أنها زوجة. وليس ممّن يضن. قالت:

ـ هذا زوجي، ونحن لن نبقى عندكم إلاّ ساعات بعدها عائدين إلى بلادنا، نريد أن نرتاح من السفر، هنا تأكد الموظف أنها ليست زوجة الرجل من فلتة لسانها: نرتاح ساعات ثم عائدين إلى بلادنا، كما في المثل "بيطببها عماها».

قال الموظف ساخراً:

ـ صادقة.. لا نشك في كلامك، لكنها التعليمات، تعالى وزوجك في أي وقت.. في الليل في النهار، على أن يكون معكما عقداً للزواج.

عادا على التو مع نفس الطريق وفي نفس اليوم، وكل منهما يلعن

الحظ.. كانت هي في أشد حالات التذمر والغضب، كانت تلعن موظف الاستقبال في اشمئزاز وتنعته بأقبح النعوت وتسبّه ، ويعلم الله كم شهر هو بها بين زملائه وبأية نعوت نعتها موظف الاستقبال، وهو على حق وهي على باطل، وكان منصور يهدّي من روعها، ويفكر في كيف يدبر أمره معها، هو يعرف أنها لن تضيّع فرصتها هذه المرة.

قال: هذا الفشل الرابع.

الخامس لن يفشل، واليوم بالذات، وكانت استشارت وسواسها فقال لها هذا الفضاء الواسع قليل الحركة والناس، ولطالما تستّر به صاحبات لها، أخبروها بجوه الساحر، والسكينة التي تخيم عليه تغطّيهم السماء، ويفترشون الأرض، أنها تجربة مثيرة وممتعة وآمنة.

قالت:

ـ انا عندي رأي إن طاوعتني فيه، ويجب أن تطيعني، هي فرصتنا في هذا اليوم، الذي كنا نأمل فيه سعادة، طالما حلمنا بها وعاكستنا الظروف.

ـ نسمع رأيك، وأن كان لي تحفظ على رأي النساء دائما، لكن ربما بعضهن يصبن.. هات رأيك.

على ألاّ تعاندني.. أو تخاف.

عهدا عليّ: لن أعاندك.. ولن أخاف، وأنت تعيرينني دائما بالخوف.

هذا الفضاء الواسع، الذي ليس فيه من أحد، وهذا الجو الرائق،

والهدوء والسكينة، ألا يغريك بشيء، فيه الأمن والطمأنينة، فيه الخلا الذي يستر عن كل عين، ما رأيك فيه.

هو كما قلت هادئ وساكن، وآمن ومطمئن. خلاء، غير أن في الخلاء أحيانا أغوال وأهوال، لا تدري من أين يخرجون.

عدت تتبّط الهمم.. أنا أعرف أنك غير مقدام، يا رجل مرّة واحدة في عمرك، لا تضع العراقيل والتوجسات، ودعنا ننعم بساعة تمنيناها في العمر.

لن أتكلم مرة أخرى.. أمرك أين أذهب؟؟

أول مسلك يصادفك في الطريق على اليمين أو على الشمال سر فيه ولا تناقش.

على بعد خطوات وجد مسربا يتوغل في أرض فضاء خاصة بها بعض شجيرات الزيتون مزروعة حديثا، سرب غير سالك إلى أرض غيرها، سار فيه مئات الأمتار، توقف حين لم ير أحداً.

قالت: هنا مكاننا وشرعت تنزع بعض ملابسها، استدارت إليه وقربت وجهه وهو ما زال وراء مقود السيارة قال:

هل هذا الظرف المكاني وحتى الزماني، والشمس ما زالت قبل العصر، آمن ومريح ولا خوف من خائل يخال في غفلة منا؟ ثم وضعنا هذا في حيز ضيق، هو أيضاً ملائم؟؟

لا تعقّد الأمور.. سننتقل إلى الكرسي الخلفي.. هيلا لا تنظر إلي هكذا.

لا انتقلت ولا انتقل من مكانها ومقود السيارة بينهما، وإذا هما

بلطغ يقترب، ثلاثة شبان في سرعة نحوهما يتبعهما شيخ: أبوهما.

قال الأول: حصلتوا يا كلاب.. اليوم نهاركم.

الثاني: تحسابو لبلاد خالية من أهلها، جاءكم ما كان غايب.

الثالث: وانت يا... والله اليوم تشبحو اللّي أنديرو هو لك أنت وها البذلة.

الشائب: أبوهما: شنو اللّي بدّير هولها.. كلبة أتبع في كلب، عليّ اليمين ما دام أنا موجود ما هو ما سهم واحد.. يخاطب منصور وهو في حال لا يحسد عليه خوفًا من الفضيحة - دوّر كرهيتك ودرّق وجهك أنت وهاكلبة، انتلف من قدام وجهي. ثم التفت إلى أولاده وقال: عظّمت الله ما هو قاعد واحد فيكم بحذاي.

انحسر الأولاد عن أبيهم، وأخذ منصور يحاول أن يغيّر اتجاه السيارة ليعود إلى الطريق الرئيس، لكنه من شدّة الارتباك والفضيحة والخوف خرجت منه السيارة عن المسار فغاصت وعجلاتها، في الرمال، ضل يحاول إخراجها فلم يفلح.. نادى الشيخ أولاده وأمرهم أن يدفعوا به السيارة لتستقيم في المسار الصحيح، جاءوا طاعة لأبيهم، أخرجوا السيارة من الرمال، انطلق منصور بسرعة مبتعدا عنهم وعلى وجهه الخزي والعار.

شيعه الشائب بقول مأثور: مشية حصان لغزان.

حين وصل منصور إلى الطريق المعبد الرئيس الموصل إلى المدينة

الكبيرة مدينته ومدينة فلانة، تنفّس الصعداء، وأخذ يجادل فلانة في أمرهما منذ أن عرفته وطاردته إلى الساعة التي هما فيها فكان الحوار التالي.

ـ شفتي رأيك وين وصّلنا: أنت: كلبة وأنا كلب.

ـ هم اللّي كلاب جونا يجرو وينبحو.

ـ أرضهم.. ترابهم.. حماهم زي ما أتقولي، هم الحق معاهم.

ـ شني أرضهم فكيناهم منهم – قاعدتلهم يندفنو فيها إن شاء الله.

ـ يقول الناس: العافن اخاصم والحق عليه.

ـ عافن الرجال أخاصم والحق عليه.. ليش أتغيّر في الكلام.

ـ ومنو اللّ أخاصم توّ: أنا والاّ انت؟!

سكتت.

ـ هم مزرعتهم أحرار فيها واحنا تعدّينا عليهم، ولو كان ما جاب ربي الشيباني، راهم داروا فينا اللّي ما يندار.. راهم أشمتو فينا أنا ما عندهم ما أديرو لي يمكن انحصل خبطات نحملهم.. لكن أنت والله ما هم طالقينك، إلاّ بعد ما يفعلو فيك، لين أطيب خاطرهم، وهم ثلاثة الواحد يموت الجمل في كمشته أخلوك أبطانة.

يا ريتهم داروها، مشي كيفك اليوم خمس شهور وأنت تزازي بيه وماكش عارف إدّير حاجة.. الراجل زي الصقر يخبط من لول.

ـ ولّي عزّار.. نستاهل.. عندك حق، أنا مانيش صقر.

ـ قالت القوّالة: ما فيش صيدتك ولأنك طيري..

ـ اداعيك مكتوبك وتلقى غير..

ـ يا ريت تنفض السيره من اليوم.

ـ عندك شك؟ وصلني ويسمعنا على بعضنا الخبر.

ـ توصلي بالسلامه معزّزة مكرّمة.. وان شاء الله ما عاد تشبحي وجهي.

ـ منك مش منّي يا جامع.

ـ إن شاء الله أصير هالرأي، وكل حد يأخذ طريق.

ـ طريقنا ما عادشي وحده.. التريس اللّي يقلعو في الشوك معروفين.

ـ شن معناها؟

ـ كاعة ايقولو فيها الناس.

ـ بالك الشوق.. مش الشوك.

ـ فسّر كيف ما تبغي.

ـ أوصلها إلى قرب بيتها، وسار في طريقه إلى بيته في حي يقع على طرف المدينة الآخر.. هناك تحرر من حمل كان ثقيلا ومرهقا إلى حد كبير. كان قبل يوم سفره السريع إلى بلد مجاور خارج الحدود، تلك المغامرة الغير مدروسة والتي تعرض فيها إلى مهانات وشكوك فيه، وفشل في ما كان ينويه إلى جانب ما لحقه من أذى لفظي لشخصه ورفيقته الرعناء، وهو في موقف لا يقدر على رد الإهانة ودفع الأذى عنه وعنها، بسبب تعدّيهما على حمى الناس.. ذلك الموقف الذي عاشه حين هاجمه ثلاثة من

الشبان وكانوا في حالة هيجان وغضب، جراء دخول أرضهم وشكوكهم في أنه كان يفعل الفاحشة ولولا والدهم الشيخ لما سلم من أذاهم.

كان يعدّ من قبل إلى رحلة يلتحق فيها بصاحبته الإيطالية الجميلة، أو لنقل حبيبته، فهو قد أحبها فعلاً، إلا أن ظروف المكان والمشاغل الحياتية حالت بينهما، فلم ينضج هذا الحب ويثمر، فالمحبوبة كانت مندفعة وغير متحفظة، ومستسلمة ومسلّمة مع عاشقه ولهى ليس لها خط رجعة ولا شرط، إلاّ أن منصور حسب كل حساب وعمل عقله، تروى فدرس الأمر على جميع الوجوه ولم يقطع برأي، ولم يعدها بشيء إلاّ زيارتها في بلدها حيث تسكن، أما الاقتران بها من عدمه فأرجأه إلى وقت يتبين فيه أمره وأمرها بجليّة ووضوح.

عاد يتم بقية إجراءات سفره إلى إيطاليا: تأشيرات الدخول اللازمة إلى سويسرا وغيرها من البلاد الأوربية إن عنَّ له ذلك، تذاكر السفر، تبديل العملة، واحتياجات أخرى تلزم المسافر، وفي أثناء فترة الاستعداد هذه، سمع أن ابن عم له شرع في تزويج ابنه البكر، لزاما عليه أدبيًّا واجتماعيا أن يحضر هذا الفرح الذي يعتبر من أفراح العائلة الكبيرة،

لم تكن بين أفراد العائلة الكبيرة وفروعها استدعاءات مكتوبة، إنما تنبيهات شفاهية هي دعوة للحضور وتحديد أيام الفرح على مدى ثلاثة أو أربعة أيام مثلا: يوم الفضائية، ويوم عقد القران، ويوم الكسوة أو العزومة: الوليمة، والدخلة وما إلى ذلك، أيام كلها ملزم منصور بحضورها لأنه من المقربين لأب العريس وقريب بالدم ووجه في الأسرة.

بدأت مراسم الفرح تباعا فكان أول يوم (الفضائية): اليوم الذي يحضر فيه أب العريس وأقرباؤه والوجهاء من الأسرة إلى بيت العروس للاتفاق على شروط وخطوات معينة، تتبع كعادة أهل الحي أو المجتمع الأوسع في المدينة (السبر): العرف المتعارف عليه.

كان من ضمن أهل العريس الحضور منصور، وكان أهل العروس من حي آخر ومن أسرة بعيدة بالدم عن أسرة العريس، كانت أسرة العروس: (الزوجة) - هناك شعوب تسمى الزوج: العروس (تونس مثلا)، كانت تلك الأسرة من حي فيه نوع من الأرستقراطية، أو لنقل نوع من التحرر والعصرنة أكثر، فهو حي جذوره ضاربة في الحضارة والمدنية: هو حي المدينة الأصل (أهل البلاد) وليس من الأحياء الرديفة الطارئة على المدينة التي جاء سكانها من القرى والأرياف وحتى البوادي الخارجة عن نطاق المدينة الكبيرة الحاضرة وأسرة الزوجة أكثر ثراء وتحرّراً وانفتاحاً من أسرة الزوج، هو المكتوب جمع بين رأسين في الحلال، طالب وطالبة في الجامعة وفي كلية واحدة: قسم الاقتصاد والتجارة تخرجا حديثا واتفقا على الزواج، وما على الأهل إلاّ المباركة - الطالب تخرج بتفوق فعين معيدا في نفس الكلية ومرشحا للدراسات العليا في الخارج.. يوم الفضائية حضر منصور مع جمع من أهل العريس إلى بيت العروس.. فيلا واسعة ذات حديقة وسور محيط، تشعّ أنوارها من جوانبها ومن الداخل، أثاثها فخم ومظاهر العز فيها ظاهرة، أعدت للحضور وليمة باذخة وقدمت لهم الشرابات، تحدّث الرجال مع

الرجال وتم الاتفاق بيسر وسهولة وكانت المباركة من الطرفين، وحدّد وفي نفس الاجتماع بين الرجال من الأسرتين أيام الفرح، وأولها يوم الكسوة، حين يأتي أهل العريس بلوازم العروس الخفيفة، مثل أردية الحرير التقليدية: البدلة الكبيرة والصغيرة، العطور ومواد الزينة، أساور الذهب وملحقاتها وأشياء أخرى.. هذه الكسوة تأتي معها النساء من أهل العريس يصحبهم الرجال، وكان منصور من هؤلاء الرجال بصفته القريب الوجيه.

تم الاتفاق والشروط بالنسبة للفضائية دون نقاش ولا اعتراضات على أمر من الأمور، كان كل شيء سهلا ميسورا، وكان الترحيب المتبادل والمودة وانتظار التقارب القريب بين الأسرتين، حدّدوا حتى أيام الفرح مطلع الشهر، وكل التراتيب اللازمة ومسألة سفر العروسين في رحلة خارج الوطن لقضاء شهر العسل، هدية تبرّع بها والد العروس بمناسبة نجاحها في الجامعة وزواجها الميمون.

من عادة بعض النساء الفضول، والتصنت، وحتى التلصص على المجهول وخاصة على الرجال ليعلمن كل شيء أو بعض الشيء أثناء خروج جماعة الفضائية من مكان الجلوس، وفي فناء الفيلا الواسعة وقف منصور مع أخ العروس هنيهة على جانب من الممر المرصوف الموصل إلى خارج السور، في حديث لا علاقة له بموضوع الفضائية ولا الفرح، ربما عن السفر والرحلة بمناسبة سفر أخته وعريسها في شهر عسل، وكان منصور يواجه أخ العروس ووجهه في اتجاه مبنى

الفيلا. كانت نجاة أحد المتلصصات تنظر من خلال فرجة صغيرة في النافذة وكانت الأنوار ساطعة في الحديقة على طول الممّر تملأ عينها من وجه منصوروسيهاته الساحرة وابتسامته العريضة التي تلتها ضحكة قصيرة لمعت فيها أسنانه كبرق خاطف، وكانت ملامحه كلّها بما فيها قامته المديدة وهندامه الانيق آسرة مؤثرة حد الإعجاب.

شهقت نجاة وغمزت بجانبها أخت العروس المتزوجة تنبهها إلى الرجل الساحر كما سمته في اللحظة وسمّاه غيرها من قبل، قالت يا إلهي.. يا له من رجل يدمّر، أمّنت الأخرى على قولها، وتراجعت الاثنتان عن النافذة حين عاد أخ العروس وانصرف منصور لاحقا بجماعته.

مس نجاة ماس داخلي، ضل في الفؤاد تحركه العاطفة وتداعبه الأحاسيس، يسري فعله في الوجدان، فتضطرب صاحبته أيما اضطراب.

بحثت عن صاحبتها أخت العروس، وجدتها تتفقد مجلس الجمع الذي كان في الصالون الكبير، ساعدتها فيما تفعل، وهي تنتظر الفراغ ممّا هما فيه لتبوح لها بسرّها الذي بدأ يؤخز وجدانها ويقلقلها إلى حد كبير فالمرأة تضيق بالسر ولا تصبر على كتمانه خاصة إذا تعلق الأمر بالعاطفة والميل إلى الآخر، والإعجاب الشديد الذي هو طريق المحبة والعشق.

قالت نجاة لصديقتها أخت العروس:

يا مريومه حبيبتي - مريومة أمم التربيح لمريم - لقد مسني شيء عشقت الرجل.

ـ أي رجل؟ هذا الذي عشقته في لحظة وأنا كنت معك شاهدة.

- ذلك الطويل المهندم الضحوك الآسر الذي كان يحدّث أخاك.

- ومن هو؟ أتعريفنه من قبل، وعشقته كما تعني الكلمة؟ العشق يا نجاة ليس أول درجات الهوى. العشق يأتي في المرحلة الثالثة أو الرابعة.. قولي أعجبت به، ارتاحت نفسي إليه.. شعرت نحوه بميل.. حرّك في شيئًا ما. كل هذا جائز أما أن تعشقيه من نظرة خاطفة ولمدة لحظات أو حتى دقائق، فهذا أمر فيه نظر، إن لم أقل تسرّع وخفة، ولا أقول طيشا.

- قلت لك عشقته فعلا.. ملك على مشاعري وحاصرني التفكير فيه وحده، هو سر بحت به لك فلا تذيعيه.. قلبي يقول لي هو فقط.

- اسم الله العظيم.. هل مسك مس "كما يقولون؟!

- مسني الحب.. آسرني الرجل برجولته وسحره، هناك شيء لا أتبيّن كنهه يدغدغ مشاعري وأحاسيسي، يجعل تفكيري في الرجل لا يفارقني لحظة.

- تعقلي يا نجاة، ولا تطلقي العنان لرغبتك وهواك الذي ربما لا يكون في محلّه.

- ومن أين يأتيني العقل؟ والرجل سلبني كل شيء: العقل والروية والرزانة والثبات.. أخذ قلبي واستولى عليّ جملة في لحظة خاطفة.

- أنا كنت معك، الرجل فعلا يخطف النظر، ويحظي بالإعجاب، هو شخص ملفت، أخاذ لا مراء في ذلك، لكن ليس هذا هو كل شيء، هناك الجهل بحيثيته، من هو؟ وضعه الاجتماعي، متزوج أم أعزب على

سبيل المثال، هل هو من عائلة أنسابنا أو من الأصدقاء المرافقين، حاله العام، وضعه المادي، ثقافته عمله الوظيفي أو حرفته إن كانت له حرفة، أخلاقه، هذه كلها أشياء مهمة يجب أن تعرف عن الرجل، ثم لا تنسي أنك مخطوبة يا نجاة، وهذا عائق كبير أمام قلبك وهواك.

لا تهمني أغلب هذه الأشياء التي ذكرتها، فقلبي ناداه هذا الرجل فتبعه، وعقلي سلبه مني في طرفة عين.. هناك شيء واحد ربما يشكل عائقا كما قلت، هو خطبتي لفوزي، وقد تمت وشهد الناس عليها، لكن من أدراك أن فوزي هو الذي ربما يفسخ الخطبة؟! ربما تسلب عقله أخرى ويتبعها قلبه كما حدث لي، وهنا أكون في حل منه، وأحقق ما أتمناه.. ويكون هذا الرجل الفريد الساحر من نصيبي ويهنأ به القلب وتهدأ النفس.. إن هواي لهذا الشاب الوسيم الذي تملأته عيني للحظات يشدني إليه بقوة خارقة لم أعهدها من قبل في سواه من الشباب.

ـ غريب أن يتمكّن الهوى منك في طرف عين، مراى عن بعد ولم تسمعي منه كلمة غزل ولا إشارة غرام، ثم هو يحتويك ويأسرك في لمح البصر.

ـ ألا تسمعي بالحب من أول نظرة؟؟ ها هو أصابنا بها ورحل.

ـ ولا ندري من هو على وجه التحديد، وكل المطلوب فيه كرجل يليق بك ويستاهل حبك.

لعلنا نعرف عنه شيئا من أخيك.. كان يتحدّث وإياه وتبسّط معه كأنهما معرفة قديمة.. سوف لن نعدم عنه المعلومات.

ـ اتركي هذا الأمر لي، فأنا التي ستتولاه، وليس بيني وأخي حرج

في مثل هذه المواضيع، ومن جهة أخرى أنا المتزوجة التي لا يشك في الأمر يعنيها.. لكنّه حتما سيعرف أنه يعنيك، لأنه عندما دخل الصالة الكبيرة وجدنا مع بعض، وربما حتى لمحنا حين كنّا نتلصص النظر، حين فارق الرجل وأقبل نحونا.. لابد أنه رآنا ونحن نغلق النافذة، أنا أعرف أخي لا تفوته هذه الأشياء فهو فطن وخبير بألاعيب النساء.

ـ أنت وشأنك معه.. إن كنت صديقتك كما تقولين اسعي فيما يريح قلبي.. ويطمئن نفسي، لقد خطفني الرجل دفعة واحدة.

ـ نحن النساء، يصرعنا الهوى أحيانا، بين التفاتة العين وانتباهتها، وهذا ما حدث لك، وانا الشاهد الوحيد على مصرعك.

ـ مريومه حبيبتي، عجّلي فبشريني، بما آمل، لعلّ الرجل من نصيبي، ولعلّه من عائلة نسائبكم، وما نأمل من خير يكون خيرا.

ـ ولعلك أيضا نسيت أنك مخطوبة.

ـ لا تذكريني بالله عليك.. سبق أن قلت لك، لعلّ فوزي، يفسخ الخطبة.

ـ إذًا الأمور كلّها أماني.

ـ الأماني تتحقق.

ـ أحيانا.

ـ دعينا نتفاءل خيرا.

ـ تفاءلوا بالخير تجدوه أنا أودّ لك كل خير، وفي خدمتك.

ـ أنت حبيبتي وصديقتي الوفية، وأعرف أنك لا تقصري في خدمتي.

ـ هي خدمة أستحق عليها جائزة ثمينة.

ـ جائزتك إخلاصي لك، ومروءة تسدينها لي اعترف بها مدى الحياة.

ـ الآن آتيك بالخبر اليقين.. ادخلي المطبخ حضري لي قهوة.

ـ بالخبر اليقين يا هدهد سليمان.

ـ وأنت يا بلقيس العاشقة.

ـ هي ملكة تزوجها سليمان.

ـ أنت وإياها في العشق سوا.. ربما تتزوجين هذا الشاب، ومن قال لك أن بلقيس لم تعشق سليمان، المرأة غالبا لا تتزوج إلا من تعشقه.

دخلت نجاة المطبخ تعد القهوة، وذهبت مريومه تبحث عن أخيها شكري. كان شكري قد دخل إلى غرفته يصلي العشاء، إذ فاتته صلاة العشاء جماعة مع الجمع، الذي كان مع والده بعد الانتهاء من طعام العشاء والفضائية، صلى الرجل والد العروس - بالجماعة صلاة العشاء جماعة، فهو من ناحية: رب البيت التي تقام فيه الصلاة، ومن أخرى هو إمام الخمسة في مسجد الحي . وجدت مريومة أخاها يؤدي صلاة العشاء في غرفته، انتظرت حتى فرغ من الصلاة وسلّم، التفت فوجدها واقفة على رأسه قال:

ـ لابد أمر هام هذا الذي جعلك تقفين بجانبي وأنا أصلي.. ما حاجتك؟!

ـ مبروك على أختك قبل كل شيء.

ـ علينا جميعا.. تم كل شيء على خير.. الناس طيبون والحمد لله.

ـ سمعنا عنهم كل خير.. ربي أتمم بخير.

ـ إن شاء الله قالها والتفت اليها وجدها واقفة وعلى لسانها سؤال.

آه.. ماذا عندك؟ ألمح في وجهك استفسارات كثيرة خير إن شاء الله.

ـ صدقت.. شكري خوي حبيبي يقرأ في الوجه ما في القلب.

ـ ماذا في قلبك؟ قولي فرّغي ما أتخلى شيء أنت بالذات لا يخفى عليك أخوك شيئا.

الرجل الذي وقفت أنت وإيّاه بعد خروج الجماعة وكنتما تتحدّثان في ود ظاهر وأريحية وتبسط، سمعنا طرفا من كلامكما هل تعرفه جيدا صديقك مثلا أو لك به معرفة سابقة وافية؟

ـ آه منصور.. عجبك؟ لماذا السؤال عنه، أتريدين الزواج منه؟ تبسم وقال سأخبر زوجك الحاج رجب، أو عندك من يريده؟؟

ـ تمزح يا شكري خوي؟.. أنا أريده !! أين عقلك ، رجب عندي لا تساويه الرجال.

ـ عندك من يريده إذا . لعلها نجاة؟ ريتكما تتهامسان في النافذة.

ـ هي بالتأكيد.. عينها واسعة.. نست أنها مخطوبة لفوزي من شارعنا.

ـ مكتوب من يدري.. البنت يخطبوها مائة وتتزوج واحدا.

ـ تكلمي من جدك؟! هل أنت مرسول منها؟

ـ نعم أرسلتني.. تطلب منك أن تخبرها عنه.. خطف عقلها.

ـ ولنفرض أنه أعجبها.. ما العمل وهي مخطوبة، وخطبة الرجل على الرجل لا تصح في الإسلام.

ـ نصيب.. لا تدري كيف تنتهي الأمور، ربما له نصيب في أخرى ولا نصيب.

ـ لعلّ يحدث هذا.. أنا عندي بعض المعلومات عن منصور ليس بالقدر الكافي لكنها قد تفيد.. إنما لا أدخل في هذا الموضوع تجنبا للحرج من قبل فوزي فهو ولد الشارع وبيني وبينه معرفة واحترام.

ـ لا ليس مطلوب منك ما هو أكثر من المعلومات. هل منصور هذا متزوج أو أعزب هذا قبل كل شيء. فماذا عرفنا أنه أعزب ربما عرفنا عنه بعض المعلومات الأخرى، وإذا هو متزوج فالأمور محسومة.

ـ هو أعزب. أنا أعرف هذا، ولكن إن كان خاطبا أو لا فلا أعرف.

ـ يكفي الآن هذه المعلومة، وبعدها لكل حادث حديث.

ـ أنا أعرف، نجاة عينها واسعة، لكن منصور عينه أوسع، وعلى كل الأحوال، هي مخطوبة، وهو علينا أن نعرف منه إذا كان خاطبا أو لا ثم بعد ذلك ربما تجد أمور لا نعلمها، هذا ما يجب أن تقوليه لصاحبتك.

جاءت مريومة تضحك وكانت صاحبتها تنتظرها في المطبخ بعيدا عن بقية من نساء جئن يحضرن الفضائية من الجيران والأقارب كن يجلسن في (مربوعة) النساء.

قالت: نجاة.

ـ سبع والا ضبع؟

ـ ماذا تقولين ألا تقرئين في وجهي شيء ما.

ـ فيه الخير إن شاء الله.. وجهك نصف نصف.. فيه بشرى غير كاملة.

ـ ليس غريب منك.. أستاذة علم نفس في المعهد العالي.

ـ قولي ماذا وراءك بالله عليك.

ـ كما قلت في وجهي بشرى غير مكتملة.

ـ هو ليس متزوج وغير معروف خاطب أو لا.. هكذا الأمر؟

ـ والله كما قلت، ألم أقل لك إنك أستاذة في علم النفس فعلاً؟

ـ حصلنا على نصف المؤمل، والنصف الآخر في الجيب بحول الله.

ـ لا تدري ربما، قلت لك أن الأمر مكتوب، والعلم عند الله، لعل لك فيه نصيب، ولفوزي خطيبك نصيب في أخرى.

ـ وهذا المؤمل: النصف الناقص يكتمل، ويحل السعد والفرح على أختك نجاة، ساعتها تدين لك بالمروءة والمعروف مدى العمر يا أحسن صديقة وفية مخلصة.

ـ عيناك فرحتها لا تسعها الدنيا، وما حال الفؤاد والقلب؟!

ـ أختك يا مريومة الغالية عندها إحساس صادق أن الأمر سيتم على خير وأكمل وجه، وساعتها نكون في أكمل السعادة والسرور، ما

أحلى العشق يا مريومة، وما أحلى وصال المحبوب، أنه البلسم الشافي لأوجاع الهوى.

ـ هذا كله ولم تمر ساعة على نظرة منك إلى الرجل وعن بعد؟! فكيف حالك إذا وقفت معه وجها لوجه وحدّثك وحدثتيه، وصبّ في أذنك غزلا رقيقا؟ وتبسّم لك وربما مسّتك يده مسّة فيها حنان؟

ـ لا تزيدي يا مريومة كل ما تقولينه يخطر في بالي فيهزّ كياني ويزلزلني أيما زلزال، ويجعلني أتحرق توقًا إليه وشوقا، وعشقا لم أعرفه من قبل ولن تعرفه النساء بعدي ولا قبلي.

على مدى ثلاثة أيام كان منصور من الرجال الذين يرافقون النساء والأطفال في السيارات لحضور مراسم الكسوة والحنّة والدخلة، وقبلها يوم رابع هو يوم الفضائية، وفي جميع هذه الأيام كانت نجاة حاضرة في بيت العروس، فهي صديقة لأختها وزميلتها أيام الدراسة وفي التدريس في المعهد العالي لتخريج المعلمات.

كانت نجاة قد رأت منصور في اليوم الأول، حين وقف عن قرب منها يحادث شكري أخو العروس، تراه ولا يراها، كانت النظرة التي شدتها إليه، نظرة تركت أثرا في نفسها، هزتها في البداية هزة خفيفة، مست شغاف القلب مباشرة، حرّكت العاطفة، وداعبت الفؤاد ومنها بدأ خيط سري يجذبها نحو الرجل كل يوم، وتوالت النظرات المختلفة الفاحصة بعد ذلك في أيام الفرح الثلاثة، كان منصور غافلا لا يدري عن حال نجاة شيئا، الاّ أنه كان محط نظرها في كل مرة، ويهزها في كل

مرة، يترك فيها أثرا ويمضي. حتى كان يوم ودار حديث بينه وبين شكري أخو العروس، وقد توطدت العلاقة بينهما أكثر.

استدرج شكري منصوراً إلى جانب في حديقة المنزل مبتعدين عن الحضور من الرجال الذين جاءوا مع النساء والأطفال يوم الكسوة.

جلسا على كرسيين متقابلين، بادر شكري بالكلام، قال:

ـ منصور كنت أريد أن أسألك ولو أنه سؤال فيه نوع من الفضول.

ـ لا عليك.. لكل سؤال جواب، ولو لم يكن يهمك ما سألتني.

ـ لا، هو فقط ربما فيه نوع من الخصوصية إلى حد ما.

ـ عماذا تريد أن تسأل يا خوي شكري، لا خصوصية بيننا أعتقد.

ـ فقط أريد أن أسأل عن أمر شخصي، وأعتقد لا حرج فيه.

ـ لا حرج عليك يا أخي، قل لي ما في خاطرك.

ـ هل أنت متزوج، أو خاطب؟

ـ لا خاطب ولا متزوج، هل عندك لي عروسة؟ على ما أعرف أن عروستنا هذه التي سنأخذها منكم بعد غد هي صغرى البنات.

ـ هذا صحيح.. أخواتي كلّهن متزوجات آخرهن صاحبة العرس اليوم.

ـ ربما عندك لي عروسة من حيكم أو معارفكم؟

ـ من حينا لا.. من معارفنا صحيح.. ما دمت لا متزوج ولا خاطب، أتمناها لك، فتاة جميلة - عاقلة وعلى خلق حسن، هي من صاحبات أختي مريومة وزميلتها في المعهد.

ـ ومن قال أنني أعجبها أو أليق بها؟

ـ هي معجبة بك.

ـ كيف حدث هذا وأنا لم ألتق بها؟

ـ هي التي التقت بك.

ـ أين، أنا لا أذكر . هل التقت بي هنا أو في مكان آخر؟

ـ هي رأتك، ليس عن قرب، وأعجبت بك.

ـ عن بعد؟ ولم أكلمها ولم أرها، كيف يكون هذا الإعجاب!

ـ في كل الأحوال، هي رأتك وأعجبت بك، وتتمناك، لكنها مخطوبة.

ـ كيف يكون هذا يا أخي شكري؟ معجبة وتتمناني زوجا بالطبع، ومخطوبة!

ـ أقول لك الحقيقة.. هذا ما حدث من جانبها، عرفت هذا من أختي.

ـ وهل تصلح خطبة الرجل على خطبة الرجل المسلم؟!

ـ طبعا لا تصح، إلاّ إذا حدث أمر آخر.

ـ مثل ماذا؟

ـ أن يفسخ الخطيب الخطبة أو هي.

ـ هل هناك أسباب تدعو لذلك؟

ـ الآن ليس هناك أسباب ظاهرة – لكن ربما تجدُّ الأسباب.

ـ واش لازهن عالضيق وهن أمواتيهن وسع: أغنية علم من محفوظ

منصور.. قالها وقد طابقت الحال.

- قول في الصميم.. لكن في قول آخر مختصر يعبّر عن معنى كبير جرّبه الأولون: فقد قالوا "العشم وخّاذ" بمعنى: من يتعشم فيك حاجة لا تردّه وخاصة عشم المرأة.

- لكن في هذا ضرر للآخرين، ويه المخطوبة كما تقول.

- وأنا قلت لك المستقبل قد تحدث فيه أشياء.

- ولماذا نسبق الأحداث؟ ونبني على المستقبل آمالا قد لا تتحقق. وعلى كل حال.. هل لي أن أرى هذه المعجبة.

- ربما تراها، هذا أمر بينك وبينها، ربما بعد أيام أو شهور لكنك ستحس بها حتمًا خلال أيام الفرح، اليوم أو غدا، أو بعد الغد.

- حيرتني وشوقتني يا أخي شكري.

- ليس هناك ما يدعو للحيرة، أما التشويق ربّما، فعلا هو أمر مشوّق، امرأة لا تعرفها ولم ترها وتسمع أنها معجبة بك وتتمناك، وهي مخطوبة.

كما يقال في الشعر: دع الأيام تفعل ما تشاء...

- هي ستراك بعد قليل على ما أعتقد.. حين تدخلون (سبات) الكسوة، وتنبعث الزغاريد من نساء متجمّعات يستقبلن النساء المرافقات للكسوة.. ستكون بين النساء المستقبلات وسأكون وإيّاك من الذين يدخلون سباتات الكسوة، فإن كنت لبيبا فطنا، فستراها وتقرأها في وجهها، وأنا لا أرشدك إلى وصف من أوصافها أعتمد على نباهتك وحسن فراستك.

ـ لقد وضعتني في امتحان صعب يا أخي شكري، ولعلك طالب مني الجواب بعد ذلك، أرجو أن أنال النجاح على الأقل بدرجة مقبول.

ـ أعرف أنك ستحصل على درجة الامتياز مع مرتبة الشرف.

ودخل النساء من أهل العريس يرافقهم الأطفال والرجال يحملون الكسوة موزعة على مجموعة من الساباتات والأوعية الأخرى والقفاف، وانبعثت الزغاريد من المستقبلات من أهل العروس وحدثت ضجة الترحيب والسلام المتبادل بين الوافدات والمستقبلات مع زياط الأطفال ولغط الرجال، ولا أحد يثبّت نظره على أحد أو يعيره اهتماما خاصّا، إلاّ هي: نجاة، كان همّها أن تملأ عيونها من منصور وتطبع صورته في ذهنها، وتحاول أن تلفت نظره بإشارة منها تخفيها عما حولها إلاّ مريومة صاحبتها التي تعرف كل شيء وهي المستشارة الأولى وعرابة قضيتها من بدايتها. أما منصور فكان يجتهد أن يهتدي إلى صاحبته بكل ما أوتي من نباهة وذكاء.. كان يمسح وجوه النساء المستقبلات جميعا بنظرةعامة، فيسقط العجائز وكبيرات السن منهن ويثني بإسقاط المتزوجات، فهن معروفات بلباسهن وزينتهن. ويركّز نظره فقط على الفتيات الغير متزوجات، وبينهن ضالته، كان قد حرّر يديه من سبات كان يحمله بأن دفعه إلى شكري، وركّز انتباهه ونظره كلّه يبحث عنها، كانت هي تنظر إليه مبهورة مأخوذة بوسامته وهندامه، وسحره الساحر الخفي الذي شدّها إليه منذ أن رأته في المرّة الأولى.

التقت العيون، وخفقت القلوب.. تخاطبت المشاعر وتبادلت

رسالة الهوى في صمت.. عرف صاحبته وامتلأت هي به شوقا حتى فاض، تبسّمت عن بعد، وأومأت بيد خائفة حذرة، بادلها الفعل، عرف صاحبته وخرج.

كانت جميلة حقا، ممتلئة في طول معتدل، وفي عمر قدّره لا يتجاوز الثلاثين، بيضاء ذات بهاء وحضور مليحة القسمات، خال وجهها من مساحيق ثقيلة كالتي تستعمله المتزوجات، ترتدي لباسا عصريّا محتشماً ذات مظهر متعقّل يجذب الانتباه بعيداً عن الإثارة والتبرّج، كل ما فيها كان رائعاً ومغريًا ومرغوبا، يسرّ النظر، ويفرح القلب ويبعث على السعادة والسرور.

امتلأ منصور فرحا وسعادة، عندما تقابلت العيون، وتبادلت المشاعر الرسائل، حسّ بميل شديد إليها، تذكّر أنها مخطوبة كما أفاد صاحبه.. قال في نفسه.. لعّل الظروف تجدُّ بالأسباب، وربما نصيبه هو فيها دون غيرها، ونصيب خطيبها في أخرى، لتجري الأيام بما تشاء، خرج يبحث عن شكري، وجده في صدر الدار يمنع الأطفال عن عبثهم، ناداه، أخذه على جانب من الفضاء قال:

هي نجاة، وصفتها كذا.. رمتني بسهم اللحظ.. أصابتني في سويداء القلب.. تكلّمت العيون، كنا، أنا وهي: سكوتا والهوى يتكلّم.. ما العمل يا صاحبي؟! أخوك منصور أصابته العيون النجل، ستكون أنت العَرَّاب.. أنا لن أزيد وأنت ماذا تقول؟!

ـ أنا صاحبك ولن آلو جهداً في خدمتك وتمهيد الطريق إليها، وستساعدني مريومة أختي.. فقط علينا التريث والصبر الجميل، وانتظار

الفرصة حين تجدُّ أسباب كما قلت لك، سنتدخل في الوقت المناسب إذا زالت المعوقات، وأهمها خطبتها القائمة على واحد من الشارع كما سبق أن ذكرت.. غير أني أرى بوادر انفراج في هذا الموضوع.

ـ مثل ماذا؟

سمعت أخباراً غير مؤكدة أن الخطيب مرشح للدراسة في الخارج ولمدة سنتين، ونجاة مخطوبة منذ أربع سنوات، وهو لن يكون له الوقت ولا الإمكانيات ليتزوج قبل موعد البعثة، الأمر الذي يجعلها تفسخ الخطبة، أو هو يطلب ذلك.

ـ فعلا هذه بوادر انفراج، بل قل شبه مؤكد أن تفسخ الخطبة. ساعتها أخوك منصور يكون قد فاز فوزا عظيماً.

عجبت لأمركما.. أنت ونجاة، هي سقطت من أول نظرة إليك وأسقطتك بدورها من أول نظرة إليها.

هي الأقدار أيضا تلعب دورها في مثل هذه الأمور.

سبحان الله.. من قال يا منصور وأنت الذي لم نتعرف عليه إلا من مدة قصيرة، وعمرك ما دخلت حينا من قبل، وهي أيضاً لا تزور إلاّ أختي في بيتها القريب من محل سكناها، ولم تدخل حينا أيضاً إلا في هذه المناسبة.. زواج أختي الصغرى.

ـ لعله المكتوب يجمع بين المتباعدين بالديار ويقرّ قراره.

تتابعت أيام العرس، وفي كل يوم يكون منصور موجوداً بين

الحاضرين من بيت العريس إلى بيت العروس، ونجاة هي الأولى المستقبلة والظاهرة بين جميع النساء من أهل العروس، ويتلاحقان بالنظرات: نجاة ومنصور هي في جانب، ومنصور في جانب آخر مقابل، على مدى ثلاثة أيام: الكسوة والحنّة التي كانت في الليل، وكانت الأنوار كاشفة والاقتراب أكثر بين الرجال والنساء ثم كان اليوم الأخير: يوم الدخلة، حيث تزف العروس في موكب حافل بمظاهر الفرح، وتقترب النساء أكثر من الرجال: تركب كل اثنتان أو ثلاث في سيارة يقودها صاحبها وغالبا ما يكون معه آخر من الرجال، ويتحرك موكب العروس قاصداً بيت العريس، تشيّعه الزغاريد من أم العروس وأخواتها وصاحبات الأم القاعدات.. ينطلق الموكب تتقدمه سيارة العروس، وتبدأ أبواق السيارات تملأ المكان بالضجيج وعلى طول الطريق.. في سيارة منصور الفارهة ركبت نجاة بتواطؤ وتدبير بين شكري وأخته مريومه وبعلم منصور ونجاة.. تختار نجاة مقعدها خلف منصور ومريومة تجلس خلف أخيها شكري والأمرمبيّت.

تكلم منصور بصوت عالى يسمع الجميع قال:

ـ مبروك يا شكري عليكم الفرح.

ـ علينا وعليكم إن شاء الله أفراحكم دائمة.

ـ فرح تم على خير بفضل الله.

ـ يتم الله عليكم أفراحكم إن شاء الله.

في الحوار الذي دار بين منصور وشكري، إسقاط استوعبته مريومة ونجاة وتبادلتا همزا باليدين.

قال شكري يسمع صوته قصدا لنجاة.

- العاقبة عندك يا خوي منصور.. إن شاء الله قريب.

- إن شاء الله وبحوله، عندما نجد بنت الحلال.

- نصيب ومكتوب، لا تدري متى، ومن تكون المحظوظة.

- هو ما قلت، والحق نفسي ارتاحت لكم أعني في بيتكم.

- في بيتنا رجل - وضحكوا جميعا - عروسنا اليوم آخر العنقود، ولو عرفناك قبل عام ربما كانت أختي صفاء من نصيبك، وأنت الرجل الذي لا يختار عليك.

- من أجواركم من معارفكم، أنتم منكم كل الخيروالبركة.

- في هذه الحالة جائز - نحن لا نقصّر في مرضاتك - يخاطب أخته - سمعتي يا مريومة؟ منصور صاحبي يريد أن يتزوج بمعرفتنا.

- زين الرجال، يستاهل كل خير، وسنختار له ما تقرّ به عينه.

- يلتفت اليها منصور ويقول: سلّم اختي، كبّر قدرك أريدها من صاحباتك.

- من أعزهن إن شاء الله.

يتكلم شكري فيقول: هنيئاً لك لقد فزت بأجملهن وأحسنهن

أخلاقاً إذا كانت مريومة تعني أعزهن فعلا.

- ومن غيرها يا شكاك: هل أختار لصاحبك الذي وثق فينا إلاّ هي، وتلتفت إلى نجاة: يلاحظها كل من منصور وشكري.

- شكري: أحسنت الاختيار، ونعم هي.. بيضت لي وجهي مع صاحبي.

- منصور: هل لي أن أعرفها، أو أعرف اسمها: مجرّد اسمها لعل فيه فألا.

- مريومة: اسمها فأل وأي فأل، وهل الفأل أكثر من النجاة.

- منصور: اسمها: النجاة؟

- شكري: دون التعريف من فضلك.

- مريومة: لم يعد شيء تحت الطبق كما يقال.

- شكري: لولا تلك العقبة التي أخبرتك بها لكان أمر آخر.

- منصور: العزائم والهمم تزيل العقبات.

- شكري: للمجتمع حقه الأدبي، وفي الإسلام آداب.

- مريومة: تكلّمنا جميعا وسمعنا أصوات بعضنا إلاّ واحد منا.

- شكري: نجاة.. لها السلامة، هي تؤمن بأن السكوت من ذهب.

- منصور: كم ساكت نال المنى بسكوته وكم ناطق جنى عليه لسانه.

- شكري: حقا ما قلت.. لكنا لم نتكلم ثرثرة ولغوا.

ـ نجاة: تكلمتم ألغازاً.

ـ مريومة: الحمد لله رابعنا نطق.

ـ منصور: صوابا.. ونعم السكوت إذاً.

ـ نجاة: شكرا على هذا النعت.. توجه كلامها إلى منصور.

ـ شكري: الآن يا مريومة لنترك المجال لأصحاب الشأن.

ـ منصور: بلاكما لا يتم الإنجاز على الوجه الأكمل، وكما نتمنى.

ـ مريومة: نحن لا ننسحب إلاّ بعد أن نطمئن على ما وعدنا به.

ـ نجاة: أصيلة، وصديقه مخلصة.

ويصل الموكب إلى بيت العريس، قبل أن تنزل نجاة وضعت في خفة رقم هاتف سلكي يخص مديرة المعهد، الذي تقوم فيه بالتدريس في جيب سترة منصور دون أن يفطن إليها أحد، إلا هو حين لمست أناملها جنبه في إشارة سرية متعمدّة.

عند النزول لحضور الزفة، قال شكري: هذه سيارتنا التي سنعود فيها إلى البيت مع منصور، نحن باقيان هنا إلى أن تعودا. عندما ترجلوا من السيارة كانت لهم وقفة قصيرة كرّر فيها شكري قوله: هذه سيارتنا التي سنعود فيها إلى البيت كانت فيها فرصة لمنصور أن يتملأ من وجه نجاة وهيئتها ولباسها وزينتها.

وهي كذلك أجالت النظر في قامته الفارعة وأناقته وحتى عطره تنسّمته قائلة: الله.. (هيق): أسم العطر الرجالي الشهير:

عاد منصور فرحاً مغتبطاً، أولا بحصوله على رقم الهاتف الذي سيتواصل معها به، وثانيا، أنها تأملها عن قرب وسمع صوتها ، ومن كلمة واحدة قالتها عرف رجاحة عقلها، وهي من جانبها شكرته على مدحها عندما قال: إنها قالت صوابا، وحتى عندما عرفت نوع عطره وشمّته وأعجبت به سرّه ذلك، ثم هي كانت موافقة بسكوتها عن الإسقاطات التي تلفظ بها شكري وأخته في إشارة إلى أنها هي العروس التي سيفوز بها منصور عندما تزال العراقيل، وأولها خطبتها على شاب من الحي تمت في وقت سابق.

أخرج منصور الورقة التي دسّتها نجاة في جيبه وكان يعرف أن بها رقم هاتفها، وهو الاحتمال الأقرب، فلا مجال لأن تحرر له رسالة وهي في حفلة زفة، فعلا كان رقم الهاتف السلكي، وقد ضنّه في البداية هاتفها الخاص في بيتها، فما أن استقر في غرفته عندما عاد إلى البيت إلا وأخرج الورقة، وأدار قرص السماعة يطلبها، ضلت السماعة على أذنه والنداء يسمعه على السماعة الأخرى، وقلبه يدق من شدّة التأثر والانفعال العاطفي.. لكن ليس هناك من يجيب حتى انقطع الرنين.

كان الهاتف الذي أدار رقمه هو هاتف مديرة المعهد في مكتبها الخاص، وكان اليوم هو يوم الخميس ليلا أي بعد زفة العروس، عاود الاتصال ولأكثر من مرّة ولا من مجيب، ضاقت نفسه وتوترت أعصابه، وداهمته الشكوك، لكنه بدأ يلتمس لها الأعذار، ربما لم تعد إلى بيتها وطلبت منها صاحبتها مريومة المبيت عندها، ومنى نفسه على أن هذا

هو السبب، في صباح اليوم التالي، عاود الاتصال، لا من مجيب، علل الأمر أيضا، أن نجاة لابّد أنها صاحبت مريومة صديقتها إلى بيت زوج العروس لحضور حفلة الصباحية، بعد الظهر عاود الاتصال أكثر من مرّة بدأ الشك والريبة، لم يجد مبرّرا لعدم الرد، والوقت أصبح عشيّةً من يوم الجمعة ولابد أن تكون في بيتها من أجل الاستعداد للدوام الرسمي في المعهد فغدا يكون السبت، لماذا لا ترد على الهاتف يا ترى، وهي الحريصة على أن تتحدّث معه، وهي نفسها التي دست له رقم الهاتف الأمر محيّر، في الليل عاود الاتصال أكثر من مرة، الهاتف يرن حتى ينقطع الرنين ولا من مجيب.

لم ييأس، هكذا هو الرجل يلاحق المرأة إذا أنس منها إليه، ميلا تلميحا أو تصريحا، مرة أخرى في الصباح الباكر، إذ لابد أن تكون في المعهد، لأنها ذكرت عرضا وهي تخبر صاحبتها مريومة أن يوم السبت عندها المحاضرة الأولى، هاتفها وهو عندما كانت معهم في السيارة كان حريصا على أن يسمع كل كلمة تقولها أو إشارة تبديها، رن الهاتف أكثر من مرة على الطرف الآخر، كانت المديرة لم تأت بعد ردّ صوت غليض أجش، صوت امرأة قطعاً ليس هي قال الصوت: منو؟ ليست هي، ردّ الأستاذة نجاة من فضلك.. أنا خالتك سعدى نظّافة مكتب المديرة.

ـ تشرفنا لو تسمحي الآنسة نجاة.

ـ منو أنت؟ فوزي، - خطيبها حتى تلك الساعة كان يطلبها على نفس الهاتف في بعض المرات، وكانت الفرّاشة، تعرفه بالاسم -

ـ لا.. أنا خالها: صفة تحمل معنيين في المفهوم المحلي: الخال بمعنى أخو الام، والخال بمعنى قريب من الحبيب أو الخليل.

قالت:

ـ خالها ؟!.. هي ما عندهايش خال.

ـ ناديها من فضلك – في غضب ولهجة أمر.

ـ حاضر يا سيدي، وتضع السماعة مفتوحة، تدخل المديرة، ترفع السماعة: سكته قصيرة، ثم تقول: تفضّل..

ـ صباح الخير.. من فضلك الآنسة نجاة.

ـ حاضر إذا كان ما دخلتش للمحاضرة.

ـ شكرا يا أستاذة.. أنا خالها.

وتدخل نجاة على عجل، وعلى وجهها انفعال ظاهر.. ارتبكت عندما وجدت المديرة في المكتب وكانت تصلت عليها نظرات مستفسرة عمن يكون هذا الذي يهاتفها صباحا والذي يدعي أنه خالها.. أخذت نجاة السماعة من المديرة التي تنطق ملامحها بأسئلة كثيرة مريبة وشاكة.

قالت نجاة: آلو بصوت خافت، ليفهم منصور أن الوقت غير ملائم للحديث، فهم هو الرسالة ونفذ.. قال ينهي المكاملة.. هذا رقم هاتفي، كلميني من هاتف آخر.

سأطلبك بعد أن أنهي المحاضرة الأخيرة، أو من الأحسن أن أهاتفك في المساء عندما أعود إلى البيت، هنا سجلت على نفسها

كذبة، التقطتها المديرة فهي - المديرة - تعرف أنها لا تملك هاتفا في منزلها. أنهت المكالمة كما طلب منها منصور، وهي ظاهرة الارتباك والاضطراب، خرجت من مكتب المديرة لتلحق محاضرتها الأولى التي مر على وقتها خمس دقائق. والمديرة تشيعها بنظرة فيها اتهام وشك في أن المتحدث لم يكن خالها وإنما هو أحد الذين يمارسون المعاكسات، أو هو في أحسن تقدير خطيب جديد، لكن كيف؟ هي تعرف أن لها خطيبًا، كان يطلبها بين الحين والحين على نفس الهاتف، وكانت لا تتحفظ في الحديث معه حتى في حضرة المديرة، لماذا اليوم لم تكن كما في السابق، استفسارات وشكوك لا تهمها في شيء، لكن هوالفضول، أو التطفّل على خصوصات الغير، من عادات المدراء والمسئولين على مرؤسيهم.

التحقت نجاة بالمدرج وأخذت تلقي محاضرتها الأولى على من تواجد من الطالبات، لكنهالم تكن في لياقتها النفسية كما في السابق، كانت تسرح، أحيانا تفكر في الموقف الذي وقفته أمام المديرة، وهي في حالة ارتباك وتلعثم في الحديث القصير الذي أنهته بقولها سأكلمك في المساء من البيت.

ضل منصور قلقا، يتحرك في غرفته هنا وهناك، ثم يجلس على كرسي قريبا منه، يقوم يأخذ فنجان قهوة، كانت أمه قد أعدته له ووضعته على طاولة قريبة من الكرسي، رشف منه رشفة ثم نسيه حين أخذ يهاتف نجاة، عاد فرشف منه رشفة باردة، وضعه في مكانه ونهض مرةأخرى وتحرك نحو الباب، ثم عاد فجلس تحاصره هواجس قد لا

تكون وقعت فعلا.. منها أن المديرة لم يعجبه صوتها المستفسر في تحرش عمن يكون ولربما لامتها أو نهرتها على ألا يطلبها أحد مرة أخرى من نفس الهاتف أو لعله سبب لنجاة حرجا ما أمام المديرة، وتوهمات أخرى، حاول أن يخرج من حالته هذه بأن يغيّر المكان، فأخذ سيارته وانطلق يقصد صاحباً له عهده به دائما في هذا لوقت في مقهى معين غير مساره في آخر لحظة واتجه صوب المعهد الذي تدرّس فيه نجاة علّه يجدها خارجة في طريقها إلى البيت. ثم ألغى هذه الفكرة، فهو لا يريد أن يسبب لها حرجا ما، فهي حتما لا تستطيع الركوب معه في السيارة، لأسباب يعرفها وتعرفها، هي ما زالت مخطوبة لغيره.. حار في أمره، وأخيرا عاد إلى البيت فلربما تهاتفه من أي مكان، من بقالة تعرف صاحبها مثلا، أو حتى من البريد، دخل غرفة الصالون حيث يوجد جهاز الهاتف في منزله ورابض بالقرب منه، يترقب منها مكالمة، فهي لابد تكون حريصة على أن تهاتفه كلما وجدت فرصة لذلك، مجرد أن تنهي محاضراتها والوقت الآن الواحدة بعد منتصف النهار، هو قدّر أن لا تكون لها أكثر من محاضرة أو اثنتين، ومحاضرتها الأولى حين طلبها كانت على التاسعة، على كل احتمال هي الآن في حل من المحاضرات، ومتشوّقة إلى مهاتفته، كما هو متشوقاً، ولابد أنها فاعلة، ضل في قلق ظاهر قرابة عشر دقائق كانت بعشرة أيام، ويرن الهاتف.. يخطفهه وفي لهفة متسّرعة يقول: نجاة حبيبتي كيف حالك ؟؟ يصمت قليلاً من كان على الطرف الآخر، ثم يسمعه يقول:

ـ من هي نجاة حبيبتك هذه! هل صارت لك حبيبة اسمها نجاة؟ لم نسمع بها من قبل، كانت المتحدّثة أخته الكبرى المتزوجة.. تلعثم قليلا، قال: خديجة: شن حالك أنت شن حال الصغار؟

ـ طيّبين.. أراجو في خالهم أمتى يكون عنده صغار.. رضيت علينا سمعنا عندك حبيبة اسماها نجاة.. أمتى صار ؟! لا علم ولا خبر عندنا.. إن شاء الله يرد لك عقلك ونفرحو بيك.

ـ لا يا خديجة أختى.. أنا بعقلي وهو اللي خلاني ما تزوجتش إلى اليوم، هاذي حاجة تبّى عقل وراي وشيرة وثبات.. مش ايقولو القياس ديما والقص مرّه.

ـ أي لكن كثرت على ما وصّوك.. العمر يجري يا خوي.. أنت راك في الثلاثين.

ـ ما زال بدري.. عندي صاحبي في الأربعين ما تزوجش.

ـ بدري من عمرك.. صاحبك هذا أمتى يدير صغار واربيهم.

ـ ما ضنيش يلحق.. ايقولو صغار الشبابين يعثرو فيهم العزّايات،

ـ شن معناها يا خديجة أنت ديما كلامك فيه لغز.

ـ كلامي مفهوم: الشيباني لمايتزوج وهو كبير وين اموت صغار يبدو يمردو تحت رجلين اللي جايات يعزوفين، فهمت تو؟!

ـ فهمت لكن أنا مانيش شيباني، نزّوز إن شاء الله ونعقّب ونربيّ وتحضري فرحهم.

ـ ضنك أصير يا منصور خوي؟؟ إن شاء الله يا بنت قلبك عامر، كيف ايقولو النسا.

ـ عامر وراسي أخيت.. وأنت اللي تمشي تخطبي نجاة.

ـ حتى اسمها باهي كان صار منها؟

ـ قول إن شاء الله أصير، وانت رئيسة الفرح وكل شيء فيه.

ـ إن شاء الله.. يا منصور خوي، مانك صغير نبو نشوفو صغارك.

ـ تم خلاص.. نجاة هي العروس وأنت حماتها.. عن إذنك.

قفل سماعة الهاتف وضل ينتظر مكالمة من نجاة بفارغ الصبر.

عادت هي مسرعة من المعهد، دخلت إلى مكتب للبريد قريبا من منزلها.

أظهرت وريقة من حقيبة يدها كتبت فيها رقم الهاتف الذي مدّها به منصور، كان آخر رقمه هو الرقم أربعة كتبته على عجل خمسة لأن المديرة كانت تنظر إليها شزراً وفي غيرارتياح.. أدارت الرقم من سماعة البريد.

رن على الجانب الآخر، قالت: ألو منصور؟؟

ـ لا نصر أنت غالطة وقفل الهاتف.

حارت في أمرهاهو هذا الرقم الذي ملّه عليها منصور وأكده.. سبحان الله

تردّدت قليلا قبل أن تعيد الرقم.. تذكرت صوت منصور وهو يؤكد لها الرقم في الإعادة، قال أربعة وليس خمسة، بفرحة أعادت الرقم على الشكل الصحيح، قبل أن تكتمل الرنة، جاءها صوت منصور..

ألو.. قالت ألو حبيبي منصور.. أنت منصور أليس كذلك؟!

ـ طبعاً منصور.. من كنت تطلبين؟!

ـ حبيبي.. كنت أطلب حبيبي.. تلخبطت في مرة سابقة من العجلة والآن تلخبطت من شدّة الفرحة.

ـ الخط الآن الفرحة.. لكن كيف كانت العجلة ولماذا تلخبطّي؟

ـ تلخبط في الرقم في المرّة الأولى.. رد علي شخص يتهكم وقلت حبيبي منصور؟ قال لا حبيبك نصر وقفل الهاتف.

ـ لا بأس عليك.. حصل خير، أنسيه، أنت الآن مع حبيبك على الخط.. أنا أيضاً شعرت بتهكم المديرة حين طلبتك ورفعت هي السماعة وكانت تستفسر من أنا في تجسّس ظاهر.. هكذا هم دائما الفضوليون ومتسقطي أخبار الناس، إنهم الحشريون.

ـ المهم.. كيف حالك أنت يا حبيبي.

ـ أنا أعرف أنك تقولينها – يا حبيبي – صادقة، لكنها ناقصة عندي حتى تزول تلك العقبة.

ـ أية عقبة تشغل بالك يا حبيبي؟ سوف لن يحول بيني وبينك حائل.

ـ لكنها موجودة.. وفي العرف قريبة من الحق المكتسب، وفي أداب الإسلام أمر غير مباح، ولا يجوزها الدين. فهمت ما أقصد؟

ـ فهمت يا حبيبي، تقصد الخطبة عندي أحساس بأنها زائلة لا محالة، إن لم تكن من جانبه – فأنا كفيلة بها، كن مطمئنا من هذه الناحية.

ـ نسيت أن أسألك من أيّ هاتف تتكلمين؟

ـ من مكتب البريد.

ـ هناك من يتنصت عليك.

ـ وماذا أنا أقول؟ هل هو مكلّف بتسجيل نجوى المحبين.

ـ هو يسجّل كل شيء، وهم بعد يقومون بالفرز.

ـ سيجدون حبيبة تناجي حبيبها.

ـ ما قلته صحيحا.. في قسم الاستماع سيعتبرون نجوانا هذه من لغو الكلام.. نسيت حبيبتي أن أسألك ألم يكن عندك هاتف في البيت؟

ـ قدمت طلبا للحصول على هاتف ولم أوفق، وراجعت المكتب أكثر من مرة قيل لي أنتظري دورك، وانتظرت أكثر من عام.

ـ وغيرك من قدم طلبه أمس، وركّب له اليوم. لا عليك لا تشغلي بالك بهذا الأمر، غدا هات لي وصل الطلب.

ـ أعتقد يا حبيبي أن في هذا الأمر حرج، فأنا لا أقدر على مقابلتك وحدك وخاصة في الشارع، ما زال في الأمر صعوبة ما.

ـ الأمر سهل سلمّيه لمريومه وهي بدورها تسلّمه لشكري وعن طريقه يصلنى.

ـ سيعرف شكري سرنا.. وأن الهاتف يربط العلاقة بيننا وقد يضن بنا الضنون، ونحن في غنى عنها.

ـ شكري يعرف كل شيء ولا يضن، هو ومريومه عرابيٍّ حبنا

وزواجنا إن شاء الله.

ـ أنا اليوم ذاهبة إليها في بيتها ومنه إلى بيت العروس، فاليوم هو الثالث حيث تقام اللمة، سوف أعطيها الوصل وشكري يأتيك به.

ـ الآن يكفي من مكالمة يُتنصت عليها ورفقا بحبيبك أيضاً.

ـ يا حبيبي أفديك بعمري وما أملك.

ـ سلامة عمرك.. ومالك أنت في حاجة إليه، على الأقل قبل أن يجمعنا عش الحلال بعدها.. لا تفكري في مال.. لك منصور فقط فكري فيه.

ـ في عيوني مدى عمري معا يا اغلى من عمري.. يا بعد عمري.

ـ سوف لن ينتهي حوار المحبين.

ـ لا أريده أن ينتهي، أريد أن اتزوّد بمزيد من سماع صوتك.

ـ وأنا كذلك، أشد منك شوقا لصوتك العذب، وحضورك، ولو على الطرف الآخر من الهاتف. هيا اقفلي أو أقفل؟

ـ لا أنا أقفل، ولا أنت بقافل، دعنا دقيقة أخرى فقط.

ـ ستمنحينهم المزيد من التنصت، وستدفعين نقودًا أكثر.

ـ النقود لا تهمني ما دمت أستمع إلى صوت حبيبي، والتنصت سيهملونه بعد الفرز.

ضلت نجاة في دوّامة كبرى من الفرح والشعور بالراحة والسعادة، وهي تخطو خطواتها نحو بيتهم القريب من مكتب البريد، يسيطر عليها

حضور منصور على طرف الهاتف ويرن في أذنها صوته المميز، بلثغة محببة في لسانه، فهو لا ينطق حرف الرا، وانها يدغمها فيما قبلها ويجدها فتسمعها معزوفة موسيقية فريدة.

كانت كأنها فراشة تطير بين أزهار مفتّحة، دخلت البيت طوحت بحقيبة يدها فوق سريرها في غرفتها وخرجت تنادي أمها في فرح، وهي تسم وجهها بابتسامة نورت وجه أمها بالسعادة والزهو الظاهر عليها قالت: أمي ماذا طبخت اليوم.. لعلها رشدة بالقديد؟ كان الحال بعد عيد الاضحى بأيام، وهي مغرمة بهذه الأكلة.

قالت أمها:

ـ طبخت ما تتمناه نجاة حبيبتي الغالية.. أضافت: في وجهك اليوم فرح لم أعهده منذ أيام.. هل من بشرى؟

ـ البشرى حين تفسخ نجاة خطبتها من ذلك الذي ربطها بكلمة من أربع سنوات، وضل لا يهمه شيء، وقيل أنه سيسافر وسيغيب أعواما.

ـ من قال لك هذا؟ التقيت بأمه في عيادة الأسنان ولم تذكر هذا لا من بعيد ولا من قريب.

ـ هي لا تذكر لك شيئاً، خوفاً من الملامة على تأجيلهم هذا الوقت الطويل.. هم ربطونا بكلمة، وناموا في العسل كما يقال.

ـ ونحن لا نسكت لهم.. طول الخيط أتلّف اليبره.

ـ هذا ما سيكون.. أنا إن سافر سأفسخ الخطبة.. هي كلمة تلفيها كلمة.

ـ لا نتسّرع.. نتثبّت أولا.. ربما الأمر مكذوباً أو دسيسة من أحد يريد أن يفسد ما بيننا.

ـ نحن لا شيء بيننا، هي كلمة كما قلت، وكل يعرف صالحه.

ـ يا بنتي لا تتسرعي، اتركي الأمر لي، سأتيك بالخبر اليقين، وإن كان مسافراً فعلا كما قلت ونحن لم نسمع بهذا مجرد السمع، فلنا بعدها تدبيرنا، ونحن في جميع الأحوال لا نبدأ بالعيب، وإن جاء منهم فنحن في حل منهم.

ـ من قال لي لا يكذب، وغدا سنقف على الحقيقة.

في اليوم التالي، ونجاة تراجع محاضرة ستلقيها على طالباتها رن جهاز هاتف كانت قد اشترته منذ سنة، ووضعته على مكتب صغير في غرفة نومها، انتبهت فزعة على رنة الهاتف - أخذته بسرعة وقالت:

حبيبي... مبروك.

مبروك عليك.. مرّة أخرى قولي: آلو أولا حتى تتبيّني صوت مخاطبك، لربما يكون الطالب من المعاكسين، وما أكثرهم.

ومتى كان لي رقم هاتف حتى يطلبوني عليه.. أنت الوحيد الذي عرفته قبلي.. إملي علي الرقم، ولن أمليه على أحد إلاّ باذنك أريده أن يبقى بيني وبينك فقط، حتى المديرة لن تعرفه خوفا من أن تسرّبه إلى آخرين، عمدا أو بحسن نية.. أريده أن يضل بكرا بيني وبينك.

ـ ستسمعيني في كل وقت حتى تملّي مني.

ـ مستحيل.. أنت بلسمي الشافي من هوى صاد قلبي في لحظة فارقة وأصبح يكبر كل يوم.. هوى قاتلي لا محالة أن لم تعجّل بيوم المنى.. أنت ما عندكش فكرة ، كما قالت ورده، من جوى يُلوّعني كل لحظة

ـ وهذا شعوري يا نجاة.. أحبك كما لم يعرف المجنون حبًّا لليلي، ولا روميو لجوليت، كما لم يعرف المحبون الأولون من هوى القلب.

ـ وأنا احبك كما تحب جوليت لروميو، وليس كحب ليلي فهي لم تحب المجنون.. لأنه جن وبقت عاقلة.

ـ وأنا وأنت: إن لم يكن بيننا وصل لا قدر الله، فسيقتلنا الهوى قبل مرحلة الجنون.

ـ سنعيش يا حبيبي، ويكون اللقاء الذي ليس بعده فراق.

ـ ويكون الوفاء والإخلاص بيننا أنت حياتي يا نجاة.

ـ وأنت روحي، إن فارقتني فارقتني.

ـ لا يا نجاتي.. لا فراق ولا هجران، أنت الحب إلى الأبد.

ـ وأنت نور العين وشفاء الفؤاد، ومنتهى الأماني والآمال، ليس قبلك ولا بعدك رجل.. روحي، حبيبي، أبي وأخي وابني أنت.

كان منصور يعدّ لرحلة الشمال، كما وعد الإيطالية الجميلة الشقراء، وأبرق لها بذلك، ثم كان العارض الذي شغله لأيام: تلك المرأة التي كانت تلاحقه في كل مكان، ودبرت اللقاء به عدة مرات وفشلت، آخرها التي خرجت وإياه إلى خارج البلاد لمدة ساعات وعادت أيضا

خالية الوفاض، ثم كان تدبيرها الأرعن عندما طلبت منه الدخول مع طريق غير مطروق في مزرعة خاصة، وكادت أن تسبب له فضيحة مدويّة، لولا ذلك الشيخ الذي أنقذه من غضب مؤذي يلحقه ويلحقها.

بعد ذلك ظهرت في حياته نجاة، وهذه شغلته شغلا كاد أن ينس معه صاحبة الشمال التي كانت تتلمض حرقة للقاء به، وهي من أحبته حبا لا مثيل له، وأخبرته قبل رحيله أنها تفديه بروحها ومالها، كانت صاحبة مال، لكنّه عفيف غير طماع، وساعتها أخبرها: أن أنفته وعزّة نفسه تأبى عليه أن يقترن بها، إذا كان هذا هو الطريق.

قال لها: أن حبي لك هو الطريق، ليس سواه، وساعتها أيضاً هي تعلقت به أكثر وأكبرت فيه الرجولة وعزة النفس.

دون سابق انذار لأحد رحل حتى أمه لم يخبرها، وإن كانت قد تعودت منه ذلك فهو كثير السفر، ومبرّره أعمال تجارية يقوم بها بين الحين والآخر.. لم يخبر نجاة ولو أخبرها لما تسنّى له السفر، هي ستحاصره ولا يجد منها فكاكا أبداً، وهو أيضاً لا تطاوعه نفسه أن يعصي لها أمرا، ولا يقدر إلاّ أن يأخذ بخاطرها، فيلغي الرحلة ويكسر بخاطر تلك التي تترقب قدومه بفارغ الصبر، وقد وعدها وأبرق لها منذ أيام.

كالنعامة تدفن رأسها في الرمل والخطر محدق بها.. في لحظة ضعف تجاه الأخرى كانت نجاة الضحية، برّر فعله: أنه مؤقت التزاما ووفاء بوعده الذي قطعه وبدليل ملموس - برقية - لمن كانت وراء البحر. وصل المطار الدولي في الليل واستأنف الرحلة أيضا في الليل، نحو مطار

آخر محلي في الشمال، لم تكن - وقتها - قد ظهرت الهواتف المنقولة: (الموبايل) كانت الاتصالات الهاتفية سلكية، طلبها على هاتفها في البيت لم تجبه، هو يعرف عنوان بيتها من كارت زوّدته به قبل رحيله.. قصد العنوان.. طرق الباب لا من مجيب وكانت تسكن شقة فاخرة في عمارة عصرية.. سمعت الطرق جارة لها.. أطلت تستطلع الأمر في الحال قرب الفجر، فتحت الباب سألته.. قال: أنا معرفة باولا.. هل تعلمي أين هي؟.. أجابته إنها في زيارة لوالدتها ترقد في مصحة في مدينة أخرى، وقد أخبرتني أنها قادمة، يفترض مساء الأمس، لكنها لم تصل حتى الساعة.. هل أنت منصور؟ هي أخبرتني باسمك.

نعم أنا منصور، الآن ذاهب إلى مدينة (...) كانت المدينة تبعد عن المكان بحوالي 100 مائتة كيلو متر وأقيم في فندق (...) وصلت باولا بعد ساعة من مغادرته المكان، أخبرتها جارتها الخبر.. دخلت شقتها، وعلى عجل جمعت بعض حاجاتها واستأنفت السير في الطريق إلى المدينة التي قصدها منصور.. على غرفته في الفندق طرقت الباب بعد الفجر.. وكان اللقاء.. كان الشوق والفرحة والقبلات التي امتزجت بالدموع، ليس هناك وقت للنوم، أشرقت الشمس، وعم النور الكون.. وامتجزت مشاعر العواطف بين المحبين، وهدأت النفوس الحائرة، فكان الاطمئنان بعد القلق وكان الرضاء.

ثلاثة أيام قضاها منصور مع باولا في ذلك الفندق على ضفة النهر، في تلك المدينة الهادية ذات الشتاء الدافئ، نسبة إلى مدن سفوح الجبال،

ثم كانت الرحلة الموعودة إلى سويسرا، التي قررتها ورتّبت برنامجها باولا منذ وقت، وقد أخبرت بها منصور قبل أن يرحل إلى بلاده، عندما باتت ليلةً معه في فندق قرب المطار، سافر هو بعدها نحو الجنوب، وعادت هي إلى الشمال.

في زيورخ تلك المدينة الرابضة على هضبة في الشمال الشرقي من الأرض السويسرية، وفي ضاحية منها راقية كانت إقامة باولا ومنصور في فيلا على قمّة تلة صغيرة بين تلال متناثرة على جزء من تلك الهضبة، تغطيها أشجار عالية متنوّعة، تبرق بينها حوايط الدارات الفخمة ذات البياض والقرميد الأحمر من أعلى، وجداول الماء يسمع خريرها تجري من الأعالي وتصب في جدولٍ كبيرة يكوّن نهرا صغيرا يصب في نهر أكبر ينحدر في واطئ الأرض فتشكل بحيرات صغيرة تصنع الطبيعة والجغرافيا.

يا لها من مناظر ساحرة في ذلك المكان الذي طاب فيه المقام.

الدار واسعة فخمة، مؤثثة بأفخر الفراش والأثاثات الأخرى وبها أرقى مستلزمات الحياة، تديرها امرأة من السلفادور يساعدها طباخ ماهر من بلادها هو زوجها، استقدمته بعقد السنيورة المسنّة والدة باولا حين كانت تقيم في هذه الدار قبل أن تنتقل إلى إحدى المصحات في مدينة ميلانو في الشمال الإيطالي.

باولا هنا أميرة في هذا المكان الفخم، والذي يعتبر ملكها في المستقبل فهي وحيدة والدتها التي ترقد في المصحة، أميرة جاءت تقضي أياماً سعيدة مع حبيبها منصور في الراحة والاستجمام، تطلق لعواطفها العنان

تغترف من لذايذ العشق والهوى، وتنعم هانية بالحياة، وكان منصور أميرا في ضيافتها كأنه أنطونيو في ضيافة كيلوبترا.. أياماً سعيدة هادية مشرقة بالسرور والفرح استمرت شهرا كاملا، كاد ينسى فيه منصور، نجاة الحبيبة والزوجة التي قرّر أن تكون أم أولاده واحدة هي التي لم ينسها وكانت حاضرة في خاطره، مع أنه كان يتعوذ بالله من الشيطان كلما جاءت على الذاكرة.. تلك هي فلانة الملحاحة التي يذكر أسمها.

عاشا أميرا وأميرة ينعمان بطيب العيش، تضللهما الفرحة، وتزقزق في آذانهما عصافير السعادة والهناء ترفرف بأجنحتها الملونة في حديقة الغرام، تشرق على دنياهما الواسعة شمس المحبة والسرور، في دنيا الهوى ينعمان، لا هواجس ولا منغصات، ولا خواطر ولا أفكار تكدر صفو البال، راضي كل منهما قانع بما هو فيه.

شهر كأنه يوم مر.. حتى جاءت ساعة الرحيل هي إلى مدينتها مكانها الدائم تزاول عملهافي التجارة والعقار، ومنصور يعود إلى وطنه يمارس حياته أيضا كما كان.

في مدينتها من الشمال الإيطالي بين السهل الإيطالي الواسع (لمباردي)، وجبال الألب التي تشرف عليه من الشمال والغرب، وفي شقتها الفاخرة في عمارة عصرية تملكها أمها العجوز، بات معها ليلتين. تحدّثت معه خلالهما عن مشاريعها القائمة وما تنويه في المستقبل.

عرضت عليه أن يعيش معها، ويشاركها في أعمالها، حتى قالت له: كن أنت مدير أعمالي، كن رئيس مجلس الإدارة، أو كما تشاء أن تكون،

كن حبيبي وزوجي.. كن لي وحدي وأنا لك وما أملك.

قال لها: أنا لك.. وحبيبك وحدك ما عشت، ولن أكون مدير أعمالك ، ولا رئيس.. أكون كما أشاء: زوجك الوفي المخلص. وأنت زوجتي فقط، لا حاجة لي بمال ليس لي فيه حق، أنا مالي الذي أكسبه بعرق الجبين، أنا الزوج والرجل الذي يجب أن ينفق على زوجته وأطفاله إن رزقه الله بالأطفال.

ـ يا حبيبي ويكون لنا أطفال! أكثر من طفل ؟!!

ـ نعم أكثر من طفل.. ألا تحبين الأطفال؟

ـ مُنى قلبي أحب أكثر من واحد.. هنا لا ينجبون كثيرا.. واحد فقط أو اثنين على الأكثر.. أنا أحب طفلا وطفلة.. ماي أديو.. قالتها بالإيطالية، فهي دائما تتحدث معه بالإنجليزية.

قال:

ـ وأنا أحب أكثر، هل تمانعين؟

ـ أنا أحب ما تحب أنت. أنا ملك يديك وطوع أمرك، ولن أخالفك أبدا، أنت وما تشاء حفظ الله لي يا حبيبي.

منصور رجل يعيش يومه.. يتكيف مع الزمان والمكان الذي هو فيه، ليس ما هو خارج مكانه وزمانه، لم تخطر على باله نجاة طيلة شهر أو يزيد، حين كان يمتع الجسد والحواس مع باولا ويشاركها نفسيا وماديًّا، لا يرى إلا هي، ولا يذكر غيرها، لا موجود حقيقي ولا في

الخيال، غابت عن ذهنه، فلانة وجلبهار، والفتنة الفتانة الفاتنة كما يحلو له تسميتها، حتى ناريمان تلك المراهقة التي تنط كالغزال، وقد سرقته مرة في عملية خطف من خالتها التي ترعاها وتصرف عليها من مالها.. نسى نجاة التي ارتبط معها بعلاقة حب ووعدها بشرف أن تكون قرينته وقبل أن يسافر إلى الشمال كان لا يرى ولا يحس بأحد في الوجود إلا هي، واتفق وإياها على فسخ خطبتها، ونسجا مشروعا للزواج في الخيال.. هي الآن تنتظر عودته على أحر من الجمر لتزف له: أنها فسخت خطبتها، وأصبحت في حل من أمرها، وليتفقا على موعد للزواج.. نسى هذا كلّه، وعاش بهيميته المتطرفة، مع بنت الشمال باولا، ورتب معها مشروعا للزواج قريبا عندما يعود.

باتا ليلة استثنائية في تلك الشقة الفاخرة المطلّة على ميدان فسيح، زينت أطرافه وبعض التقاطعات فيه بأشجار زينة متوسطة العلو مقلّمة على شكل مستطيلات ومربعات ودائرة وبعض الأشجار فيه مشذّبة على هيئة مخروطية، وأخرى مكعبات كأنها رسمت بالمسطرة والفرجار، وكانت الأضواء في الليل تضيء مساحة الميدان كاملة، ثم أربعة فوانيس عالية متقابلة ، تعكس نورها على نافورة في وسط الميدان يرتفع ماؤها ملوّناً فيكمّل بهجة ذلك المنظر الساحر البديع.

امتدت السهرة بين باولا ومنصور إلى بعد منتصف الليل، ثم هجعا إلى النوم حتى ضحى اليوم التالي، قبل أن تقلع طائرة منصور في رحلة داخلية من مدينة باولا، ليدرك خط الطيران الدولي عائداً إلى بلاده في الميعاد.

ودّعته باولا في المطار المحلّي، وكانت تود أن ترافقه إلى المطار الدولي لتقضي معه وقتا إضافيا ولو في الطائرة التي لا تستغرق رحلتها من مدينتها إلى المطار الرئيسي سوى ساعة واحدة لتتزود منه بنظرة الوداع، وهو يغادر بلادها عائدا إلى بلاده.

خرج منصور من محيط، وأقبل على محيط آخر، دنيا ودّعها، ودنيا في طريقه إليها مغايرة، انقطع حبل التفكير في باولا، وجاءه الخاطر بطيف نجاة، أسدل الستار على حياة عاشها طيلة شهر، في أجواء مناخية وجغرافية وعمران وبشر، وانفتح أمام ناظريه ستار آخر.

على دنيا أخرى، ومسرح آخر يختلف فيه المناخ والجغرافيا والبشر والعمران، وصل الأرض بعد أن كان محلقاً ومعلقًا في السماء، اندمج في دوره الجديد الذي انفصل عن الأول زمانا ومكانا، ثلاث ساعات تقريبا للزمان، وأكثر من الف كيلو مترا من حيث المكان: مسافة في عمق الأرض الإيطالية شمالاً ومن الشاطئ إلى الشاطئ في الجنوب، أين يكون الوطن بالنسبة لمنصور.. ومنصور هذا يندمج في الحياة أينما وجد بكل أحاسيسه ومشاعره وكيانه المادي، وينفصل عن مكان غادره وزمانٍ عاشه وانقضى، ينسى أور بما يتناسى واقعاً وأحداثا مرت به وأصبحت في ذمة التاريخ، هو يعيش ليومه، أو قل لساعته، لا يفكر في يوم آت لا يصلح ما فيه ولا في يوم مضى ولن يعود.. هذا هو منصور وهذه هي فلسفته ومذهبه في الحياة.

لم يذكر نجاة وهو يمارس حياته مع باولا، ولم يشتر لها هدية ولم

تخطر على باله، لا هي ولا الهدية، نسيها بالمرّة، اندمج عاطفة ووجدانا ومادية بشرية، مع باولا، توحّد معها روحا وجسدا، لم تكن زوجة ولا خطيبة، كانت عشقا وهوى بلغ حدّه، كان يقول لها أنت الزوجة الأولى، وأنت من سأنجب منها أطفالا، وأنت حبيبتي وكل شيء في حياتي، أماني وأملي ومستقبلي، ودنيتي التي أعيشها ما قدر لي أن أعيش، وكان صادقا في ذلك، فهو ينسى كل ما عاشه في حياته السابقة ، ليس عن ضعف ذاكرة أو أن ذاكرته لا تحتفظ بشيء، لا بل عنده ذاكرة قوية حافظة، إنما عمداً يلغى كل ما هو ماضي، ويعيش ساعته ولا يفكر في الآتي، هو يعمل بجديّة وإتقان، يعشق العمل ويتفانى فيه، ولا يركن إلى الكسل ابدا، محظوظاً في أعماله التجارية، لا يغش فيها ولا يدلّس أمينا إلى أبعد حد، يكسب ولا يخسر، محل ثقة المتعاملين معه، ظابطا لحساباته وموثقا لها، قد يدّخر بعض المال، لكنه يصرف ويوسّع على نفسه ويكرمها، يؤمن بأن الرزق مقدّر يأتي بقدر من عند الله، ولكل رزقه في يومه الذي يعيشه ، لذلك كان يعيش يومه.

في المطار حين دخل صالة القادمين، سحب حقيبة كبيرة تحوي ملابسه الشخصية، وخرج في يده حقيبة يد صغيرة بها أوراقه الخاصة ولا شيء غير ذلك، هنا بدأت صفحة جديدة في حياته، تذكّر نجاة.. لابد أن يهاتفها حين يصل إلى بيته، أخذ سيارة أجرة خاصة هو كعادته لم يطلب من أحد الأصدقاء أن ينتظره في المطار، على مشارف المدينة طلب من سائق سيارة الأجرة أن ينتظره قليلا أمام محل للبقالة.. نزل..

اشترى علبة شيكولاته لفها في ورق واستأنف سيره نحو البيت، تلك هي هديته لوالدته عند عودته من كل سفرة، أمر لا ينساه أبدا، ونجاة ألاّ تستحق هدية ما؟!

غدا ينظر في الأمر، هو سيطلبها على الهاتف، حتماً سيشعرها بعودته من السفر.. الوقت ليلا وغدا سيكون أمر آخر، لابد من أن يهدي لها شيئاً، هكذا تعوّد المحبون أن يفعلوا مع حبيباتهم وخاصة عند العودة من رحلة في الخارج، هذا ما فكر فيه وسينفذه غدا صباحا قبل اللقاء بها.. فكر، يشتري لها ساعة أو سوارا من ذهب أو خاتما أو قرطاً ثميناً.. لماذا لا يشتري لها عطرًا؟ زجاجة ذات شكل جميل والعطر من أرقى الأنواع التي ظهرت في السوق حديثا، أنها تحب العطر، لابد أن يشتري عطرا من إنتاج مدام شانيل، أو مدام روشان الذي نزل جديداً في المحلات الراقية، عطر يتضوع من أردافها حين تدخل به على المديرة تلك الحقود الحسود التي لم ترتاح إلى نجاة، حين ردّت عليه من هاتفها، وشككت في أن يكون خالها، ألا إذا كان بالمعنى الذي ضنته - المفهوم المعيب - قررّ أن تكون هديته لنجاة زجاجة عطر راق حديث.

هاتفها.. ردت على الطرف الآخر: منصور حبيبي، أنت هنا؟ قال: غدا نلتقي ويكون الحديث وقفل السماعة.

دخل محلا لبيع العطور، له معرفة سابقة بصاحبه، حيث كان يشتري منه عطره الخاص ودائما من الجديد كالذي تعطّر به حين ذهب في موكب زفة أخت شكري، والذي تنسّمته نجاة عندما وقفت بجانبه،

وهتفت الله هيف ،.. اشترى هديتها: زجاجة عطر ذات شكل فريد ابها عطر ماركة: شانيل 5، عطر الأميرات ونجوم الفن وسيدات المجتمع الراقي في ذلك الوقت، لفها البائع في ورق ملون زاه، ثم وضعها في علبة من عاج بها زخارف ونقوش، ووضع العلبة في كيس من الورق المقوى مكتوب عليه عنوان المحل ورقم الهاتف.

في الصباح قبل أن تذهب إلى المعهد هاتفها قائلا: متى يناسبك أن أراك؟

ـ الآن، حالا.. يا غالي، يا ظالم، يا ناسي، يا حبيبي.

ـ لا يستقيم الحال وأنت تصفيني بالغالي والظالم، والحبيب الناسي.

ـ وهل قولي هذا إلا هذيان من شدّة الفرح، وربما هو عقلي الباطن يتكلم، لا تكلمني يا أغلى من الروح، أين نلتقي قل لي بالله عليك الآن أرجوك.

ـ وكيف الحال؟ هل زالت العقبة؟؟

ـ أية عقبة، أنا لم أعد أفكر في العقبات، من يوم سلبت عقلي وتركتني بلا إرادة، تقودني حيث تشاء وكيفما تشاء، ولا ألفظ اسما الا اسمك، ولا يأتي على خيالي إلا طيفك.. قلبي يخفق بحبك، وأماني ومالي معلقة بك، دنيتي أنت وحياتي.. أنت الروح والجسد، كياني ومشاعري، أنا هو أنت وبلاك خواء وعدم فلا تسألني عن العقبات فلا شيء يحول بيني وبينك يا حبيبي، كن على ثقة ممّا أقول.

ـ يظهر أن في جعبتك كثيرا من القول.. سنلتقي وقولي لي ما تشاءين.

ـ أين من فضلك؟ الآن.

ـ الآن.. حاضر.. لنفكر أين؟ لكن ألم تكن عندك محاضرة اليوم؟

ـ لا اليوم ولا غداً ولا بعده، وسأترك المعهد مرّة واحدة. ما دمت أنت هنا لن أفارقك.

ـ ماذا طرأ على عقلك؟ أنت ليس أنت.. نجاة أعرفها عاقلة رزينة أستاذة في معهد عالي، وفي أي مادة! الفلسفة وعلم النفس، هي التي تقول هذا الكلام؟

ـ من فضلك قولي أين نلتقي الآن، وكفى أنا سأطير إليك أينما تكون.

ـ ردّ عقلك.. ما زلت تهذين.. أنا الذي آتيك.. تعرفين محطة الشجرة؟ الشارع الخلفي بعدها على اليمين.. هو قريب من بيتكم كما وصفت لي سابقاً.

ـ ستجدني بعد خمس دقائق.

ـ لن أصل إليك بعد خمس دقائق.. أنا أحتاج وقتا على الأقل ربع ساعة.

ـ وكيف أصبر هذه المدة؟! لم يعد لي من صبر بعد شهر غبته، ولا أعلم أين أنت.

ـ من يصبر كثيرا ينال أجرا أكبر.. صبرت شهراً فكيف لا تصبرين ربع ساعة؟ حبيبتي نجاة خذي زينتك في هذا الربع ساعة.

ـ لا أريد زينة أنا أريدك أنت.. أراك بعيني وأسمع صوتك واتنسّم عطرك، أريد حضورك الشخصي، أنت منصور سارق القلوب.

ـ لم أعرف من قبل سرقة أي شيء ولا أنا من السارقين ، أما سرقة

القلوب هذه فقد سمعتها منك الآن.

ـ عجّل يا حبيبي لم يعد لي مزيد من الصبر.

ـ أنا في الطريق إليك منذ أن حددت لك مكان اللقاء.

ـ اذاً أنا خارجة الآن.. سأكون في انتظارك.

ـ حاضر.. يا متغيّبة عن المعهد، ستنالين الجزاء من المديرة السمجة.

ـ هي كانت السبب في تركيب الهاتف الذي ربطني بك ونعم ما فعلت.

ـ هيا لا تتأخري أنا قريب من المحطة خمسة دقائق فقط.

أوقف منصور السيارة ونجاة واقفة تنتظر، أراد أن ينزل فمنعته وهي تهجم عليه بقبلات محمومة، وتغمغم بكلام تخنقه القبلات إلاّ عندما تغيّر موضع شفتيها على مساحة وجهه كلّه ورقبته: الدمع يزرف والكلام غير مفهوم مسترسل، وحمّى العشق تزداد، وهي نجاة لا تكف عن فعلها هذا، إلى أن نبّهها منصور، حين وجد فرصته للكلام قائلا: الناس: عاد لها رشدها، استقامت، ودارت حول السيارة من أمام. وجلست في جانب منصور، وهي تلهث من شدّة الانفعال قالت:

ـ سر حيث تشاء.

ـ هل تعقلين ما تقولين؟ هدّى من روعك أولا.. بعدها نتدبّر الأمر.

ـ أي أمر؟ أنا خلاص.. حبيبتك وخطيبتك وزوجتك وكل شيء، لم يعد يربطني أي رباط.

ـ هل فسخت الخطبة؟

ـ فسخت.. ومن جانبي كانت مفسوخة من قبل، من يوم عرفتك وتعلقت بك، والآن أكدها هو وبصريح العبارة قبل أن يسافر.

ـ وهل سافر فعلاً؟

ـ سافر من أسبوع مضى، وجاء إلينا ومعه الشهود على فسخ الخطبة.

ـ الآن أنت في حل منه، وأنا لن تكون خطبتي على خطبة رجل مسلم.

ـ الآن الكلمة لك.. بلغة الرياضة الكورة في ملعبك.

ـ سندرس أمرنا بتروّي، ولنا متسع من الوقت.

ـ أدرس كما تشاء.. أما أنا فالأمر مدروس بالنسبة لي.

ـ ستضلين شريكة في الرأي والتدبير بالضرورة.

ـ أنت وكيلي في أمري.

ـ العاطفة لا تلغي العقل.

ـ وهل أنت تترك عقلا لمن تحبك؟!، أنت ألغيتني كليةً، فقط تركت قلبا يحبك حبًا لا تعرفه النساء من قبل.

ـ محظوظاً إذاً أنا هنيئاً لي بهذا الحب، ولي أن أزهو وافتخر.

ـ يا حبيبي دمت لي، أنت كنزي الثمين.. أنت روحي أنت عمري.

ـ افتحي جيب السيارة أمامك تجدين هديتك.

ـ هديتي؟!.. أنت هديتي، خصني الله بها دون غيري من النساء.

ـ هدية اخترتها لك.. أريدك أن تقيمي ذوقي.. افتحي الجيب.

تمد يدها لتفتح جيب السيارة أمامها.. تلتفت إليه.. تقول:

ـ أنت من اختارها.. هدية لا تقيم بثمن تعجني ولا يعجني غيرها.

ـ قلت لك قيمي ذوقي.

تفتح الجيب فيطالعها «الصاك»، تقول: الله من محلات.. تخرج العلبة من الصاك، تجدها من العاج المزخرف المنقوش، تفتحها.. تقول: الله وتمدها بصوت الإعجاب: شانيل 5 عطر المخمليات من النساء النواعم، أمير أنت يا حبيبي في اختيارك، كيف أقيم ذوقك وأنت على هذا القدر من حسن الاختيار والذوق، أنت مذهل في كل شيء وكفى، دعني أقبلك قبلة اختارها فريدة من نوعها، كهديتك هذه المتفرّدة في شكلها المتميزة بعطرها.

ـ أمطرتني من دقائق قبلات حارة محمومه غطت وجهي كلّه وزادت.. الآن دوري أنا واحدة أقائضك بها قبلاتك الكثيرات.. واحدة فقط، وجذبها إليه، تخير مكانها وأطال زمانها حتى فاق إلى نفسه فقال: نحن في الشارع.. لقد أنسيتني كل شيء، ونزع نفسه منها.

ضلت شفتاها ترتعشان، وقلبها يدق دقات متلاحقة، وجهها يلونه الأحمر وتلهث من شدة الانفعال، قالت بعد أن فاقت إلى نفسها.

مذهل في كل شيء.. ليس سحرك في شخصك فقط، عنيف في القبل، آسر في الشخصية، جذاب بالحضور وسحر الكلام، يا للنساء منك.

ـ وهل هناك من نساء غير نجاة ؟!

ـ كثيرات هنّ المتحدثات عن سحرك وجاذبيتك، وربما لاحقنك كثيرات أيضا، ومن قال إن كثيرات لم يقعن في هواك.. هذا هو أنت يا منصور، تعذبهن ولا تدري.

ـ وأنت التي أريد أن أجذبها إليّ لا غيرها اسمها نجاة.

ـ هي منجذبة، مسلوبة الإرادة، واقعة في غرامك وتهواك حد الجنون.

ـ أريدها عاقلة، الجميلة لا يجب أن تكون مجنونة.

ـ امرأة تحبك لا تبقى لها ذرة عقل.

ـ هل أنت هي؟

ـ وتسألني.. وأناالتي قبّلت رجلا لأول مرة في الشارع؟!!

انطلقت بهما السيارة في اتجاه لم يحدّده بعد قال: إلى أين؟

أنت أدرى بالمدينة وطرقاتها ومساربها، وهي غير آمنة من الفضوليين وأصحاب الضنون، ونحن امرأة ورجل في سيارة ليس فيها أطفال، وضعنا يدعو إلى الريبة.. أليس كذلك.

ـ هو كذلك فعلا، أرى أن نخرج في طريق طويل يفضى إلى مدينة أخرى ساعة من زمان، نتحدث فيها حديثا لا يسمعه غيرنا ثم نعود ما رأيك؟

ـ ما دمت معك لا أرى رأيا، سر حيث تشاء وحدّثني أين كنت؟! شهرا كاملاً لم أرك ولم أجد لك خبرا ولا أثرا أتعلم هذا؟!

ـ سأحدثك حديث العشق والغرام، عشقي لك وغرامي بك.

ـ حدثني، ولا تبخل علي بحديث النجوى.

سار في طريق مطروق، كثير الحركة ذهاباً وأيابا.. صعد بها الجبل، لأول مرة ترى الجبل، كل زيارتها الميدانية من أجل الاطلاع على معالم أثرية وسياحية مع طالباتها كانت إلى غير الجبل.

في الطريق التي أخذت منهما أكثر من ست ساعات صعودًا إلى الجبل ونزولا منه، تحدّثا كثيرا حديث المحبين، حديث الغرام والهيام تخلّلتها أحاديث أخرى، في شؤون الأسرة أسرتها وأسرته في جانب من سيرتهما الذاتية، أمانيهم وأمالهم. مشروعهم الاجتماعي الأول في المستقبل القريب: الزواج، تحدثا عن الأصدقاء والأقارب عن العمل، عمله الذي لا تعرف عنه شيئاً، وعملها الذي تغيبت عنه ذلك اليوم، وقد أخبرته حين هاتفها في الصباح، أنها لن تذهب إلى العمل لا اليوم ولا غدا ولا بعده، ذلك لأن فرحتها بسماع صوته وتأكدها من ظهوره بعد غياب طويل، جعلها لا تعي ما تقول، وهي أستاذة الفلسفة وعلم النفس التي تحاضر في معهد عالي.. تحدّث هو كثيرا عن عمله وما ينوي بحثه من مشاريع لها علاقة بالتجارة والاقتصاد، قال لها إنه يملك بيتا محترما يسكنه هو وأمه التي ترملت منذ كان صغيرا، ربته وعلمته ومازالت حتى الآن ترعاه وتحدب عل خدمته في البيت، وحدثته هي عن والدها، الذي كان يملك (كرّوسة)، عربة يجرها حصان يجوب بها شوارع المدينة وأزقتها الضيقة، في وقت أقدم من تاريخ ميلادها، ينقل النساء الموسيرات، ومن ذوات الأسر الأرستقراطية حين يتنقلن من مكان إلى آخر، وقد عرف أمها التي ترملت في شبابها، وكانت جميلة،

عرفها وهي تركب معه ذات مرة مع خالة لها ذاهبتان لحفلة عرس، وأعجب بها ومسّه هواها فتزوجها بعد ذلك، وأنجب منها نجاة وافاه الأجل وعمرها أربع سنوات، ربّتها أمها وعلمتها حتى تخرجت من الجامعة، ثم حضّرت دراسات عليا في تخصصها، ونالت درجة الماجستير منذ سنتين، وحدثّته حديثا آخر في شأن عام.

أما هو فقال: إن والده أيضا مات وهو صغير وكان يحترف التجارة في حانوت على ناحية الشارع الكبير الذي يملك فيه ثلاثة بيوت، يسكن واحدا منها ويؤجر الاثنين، والآن هو حوّل أحد البيوت إلى مكتب يمارس فيه بعض التوكيلات التجارية مع مصانع وتجار في الخارج، أما بيت والده فلا زال يشغله هو وأمه كسكن خاص، وينوي بيعه لأنه في حي تجاري، وقيمته في السوق عالية.

قالت له: إن والدها كان يصرف ما في جيبه ليومه الذي يعيشه، صاحب كيف يتعاطي ما في زمانه من كيوفات، بأنواعها، وصاحب الكيف مبذّر لا يبقي على شيء من المال في جيبه ولا يدخر، وفي مرات كما حدثتها أمها كان يسهر خارج البيت، وكانت تنافسها، أو على الأصح تشاركها فيه إحدى صاحبات الهوى، وهي نجاة تسمع أمها كثيرا تذكر تلك المرأة بسوء، وتقول إنها ماتت شرّ ميتة، سقطت في بئر دارها عندما كانت الآبار في الديار، وتذكر لها أن والدها عدا تعاطيه للكيوف وسقطته مع تلك المرأة، كان شهما من ذوي المروءات فهو يعطف على المساكين ويحسن لأجواره يشاركهم في أفراحهم ويقف إلى جانبهم

عند الملمات، نجّاد معروف بالمعروف، وتحدثت عن أشياء صغيرة أيام الطفولة وعن ذكرياتها في الثانوية والجامعة وبعض المفارقات في حياتها قبل أن تتعرف عليه، كما حدثها هو عن جانب من سيرته الذاتية، وأنه لم يكمل دراسته الجامعية توقف قبل السمستر الأخير في كلية الاقتصاد والتجارة، وفضل أن يقوم بتطبيق ما درسه من نظريات في هذا المجال، على الواقع في ميدان العمل.

عادا من تلك الرحلة التي استمرت ست ساعات أغلبها كان في الذهاب والإياب، ولم ينزلا من السيارة إلاّ لمدة نصف ساعة تقريبا قضياها يتجولان مشياً على الأقدام بين أحراش تغطي ربوة قريبة من الطريق الرئيس، حيث أوقف منصور السيارة لتكون تحت ناظريه، وحتى الجلوس في المقهى في المدينة الكبيرة حاضرة الجبل طلبت نجاة من منصور ألاّ يجلسا فيه تحاشياً لعيون الناس وفضوضهم، وفي تلك المدينة لا تجلس النساء في المقاهي، فالمقاهي غالبا في مدن الدواخل قصراً على الرجال.

كانت النفوس مرتاحة منعشة بهواء الجبل، والقلوب مفعمة بالحب ولذّة الهوى، العيون تضحك والمشاعر ترقص، والكيان يسري فيه العشق والغرام متبادل بين الطرفين.. نجاة التي لوّعها فراق منصور شهرا كاملا، أصبحت تطيركالفراشة فرحة مسرورة، وهي تحاذي منصور في خطى متمهلة فوق تلك الربوة والجو رائع والنسمات عليلة والشمس الربيعية دافية تمسّ حرارتها البدن تنير الكون، كل الكائنات مسًّا خفيفاً.

نجاة تسير جذلى تحرك حقيبة يدها الصغيرة جيئة وذهابا، تحاذي

منصور من يمين وتسبقه خطوة، وأحياناً تأتي على شماله تحادثه في سرور حديث المحبة والفرح، والأماني والآمال، وتحضرها أحياناً نادرة طريفة أو تعليق لطيف، أو حتى (نكتة) محتشمة فيها ذكاء وفطنة كان هو يسمع أكثر وكانت تسترسل في الكلام، حديثها لا يمل وتعليقاتها صائبة، ونوادرها ظريفة طريفة، ومنصور ينصت إليها في إعجاب ولا يقاطعها إلاّ حين يكون ثمّة ما يدعو لذلك أو فاصل بين مواضيع حديثها، هناك يتكلّم هو في رزانة وتعقّل، ورغم المكان والزمان الذي يغري بالتحرّر من الجدية والالتزام، إلاّ أنه كان يتحفظ كثيرا في حديثه تجنباً للزلل وفلتات اللسان التي قد تفسّر على غير علاّتها، هذا كان ديدن منصور مع الجميع إناثا وذكوراً، فهو قليل الكلام، أقرب إلى الصمت، بعيداً عن الثرثرة واللغو، لا ينطق بكلمة ألا تكون في محلها، يزنها قبل التلفظ بها، يأتي بها في معانيها مباشرة لا تحتمل التفسير ولا التأويل واضح في قصده جليّ في معانيه.

منصور طيلة الطريق وعلى مدى ست ساعات، لم يقبّل نجاة أو يداعبها ملامسة تقترب من الفعل، والنوايا التي تنم عنه، إنما كان يلامسها لمسات الحنان والشغف، يلتهمها بعينيه هياماً وغراما، ويبتسم في وجهها امتناناً وفرحا، بوجودها الذي يثري شخصه ويشعره بحيثيته، كرجل تحبّه وتحيطه باهتمام كبير تعجب به وتكبر فيه قيمته، تمنحه قلبها وتهيم به هوى، تسلم له نفسها وتخرج معه دون تحفظ مطمئنة راضية لا خائفة ولا متوجسة.. كان يرى فيها الحبيبة العاشقة والزوجة التي يجب

المحافظة عليها واحترامها وتقدير تضحيتها بالخروج معه مسلمة قيادها له، لا تراودها الضنون والشكوك في كل مسلك يسلكه معها مستبعدة احتمال أي فعل شائن أو أذى يلحقها منه.. ورغم أنه عند اللقاء بها قبّلها قبلة نهمة حارة عنيفة، خدّرتها وحلت أوصالها، ردّاً على قبلاتها المحمومة التي أمطرته بها في وجهه وعنقه، عندما هاجمته وهو جالس وراء مقود السيارة، دون وعي منها من شدّة الشوق والفرح.. إلا أنه وكذلك هي في هذه الجولة طول الطريق إلى الجبل والعودة، وحين تريّضهما في تلك الخميلة فوق الربوة، لم تكن بينهما قبلات ولا ضم، إنما كانت اللمسات الحانية، وتبادل المشاعر والأحاسيس من خلال النظرات والبسمات، والحوار الصامت بين الضمائر والعيون.

عادا عشية اليوم فرحين، في حديث المناجاة والأماني، ولم يكن الوقت إلاّ زمنا يسيرا حسباه، والطريق أيضا كأنها كيلو مترات قليلة سارت فيها السيارة.. حتى إن نجاة حين طالعتها أطراف المدينة، شهقت قائلة أوصلنا ما أقصر الطريق والوقت يا حبيبي.

ـ يقال: ميعاد الحبيب قصير.

ـ نعم في حضرة الحبيب، اليوم ساعة.

ـ ألم تسمعي بالقول: عام الطرب مثل ساعة.

ـ أنا أسمع أمي تقول عام النكد مثل عام ويوم الطرب مثل ساعة.

ـ ألغيت الجزء الأول من القول: لأنه لا يناسب المقام.

ـ وأنت الرصين الرزين المتثبت الذي يزن الكلام..

ـ نعم لكل مقام مقال.

ـ لا عليك أنت حافضت على النص.

ـ وأنت تبرّر غلطتي.. علّمني يا حبيبي أنت أستاذي.

ـ وأنت أستاذة في المعهد العالي.. واحدة بواحدة.

ـ وصلنا.. نجاة أين نلتقي غداً؟

ـ غدا عندي المحاضرة الأولى.

ـ ألم تقولي أنك لن تذهبي إلى المعهد لمدة ثلاثة أيام متوالية.

ـ أنا لا أريد أن أذهب إليه بالمرّة.. ما دمت هنا يا حبيبي.

أنا أخاف هروباً آخر تفعله ساعتها تدمرني.. لكن.

ـ لكن ماذا ؟ وأطمئنك لن أهرب مرة أخرى إلاّ وأنت معي.

ـ منى عمري.. حين تهرب بي إلى حيث تريد.. إلى آخر الدنيا، لكن أقول لك، إن واجبي نحو طالباتي التزام أدبي أكثر من أنه وظيفة أحافظ عليها واحصل منها على معاش، ثم إنك نسيت شيئاً أذكرك به.

ـ ما هو؟

ـ قلت لي حين فتحت الهدية الغالية: باعتبارها منك، قلت تعطرّي بها لتشمتي بالمديرة السمجة الحاقدة، فهذا النوع من العطور لم تشمّه في حياتها ولم تسمع به من قبل.

ـ من قال لك؟.. هي مديرة معهد عالي لابد أنها دكتورة. أو أستاذة كبيرة، وإلاّ ما كان لها هذا المنصب ولابد أنها مثقفة قارئة على الأقل للصحف والمجلات التي تأتي على أخبار المشاهير في العالم، في جميع المجالات، ومدام شانيل هذه فرنسية مشهورة، عاشت بداية حياتها في ملجأ للأيتام، كانت غرفتها تحمل رقم 5، فلما تبدّل حالها واشتغلت في صناعة العطور، ركبت هذا العطر الشهير الذي اشهرت به وحمل اسمها وأعطته الرقم 5، وأصبحت من مشاهير العالم في صناعة العطور كمدام روشان وغيرها.

ـ هي لا تعرف روشان ولا شانيل ولا أي نوع من العطور العصرية. هي ما زالت تضع مرات قليلة عطرا أكل عليه الدهر وشرب، عطرا رخيصا لم يعد يألفه الناس، وأحيانا آخر نشمّ عليها رائحة عطور عضوية كالتي تستعملها جدتي مثل الجدرة والمجمر.

ـ مديرة متسلّطة ومتخلّفة، ليس مكانها التي هي فيه.

ـ دعنا منها أين نلتقي مساء بعد الخامسة؟

ـ في نفس المكان.. على ألاّ تفعلي ما فعلته صباحا.

ـ الفعل وليد اللحظة.. لا تحذرني من شيء أنت لاتدري ما أنا فاعلة.

ـ أحذرك من عيون الناس.

ـ والناس لهم عيوبهم.

ـ العيب لا يصدر عن العقلاء.

ـ كنت صباحا دون عقل، والسبب أنت.

ـ لن أسبب لك مرّة أخرى ما يذهب بعقلك.

ـ عقلي لا يكون معي إلاّ عندما أكون معك.

ـ مثل جولتنا اليوم، اليوم كنت عاقلة.

ـ كنت ثملة بحضورك.

ـ عقلك كان حاضراً.

ـ كان يحلم.. وكنت أسخّره في استحضار الأمنيات.

ـ حتى عندما كنت تسيرين مرة عن يميني، وتسبقيني مرة، ومرة عن شمالي؟!

ـ حينها كنت أعيش الفرح.

ـ أفراحنا دائمة.. وصلنا.. ترجلي.. تحياتي لأمك.

ـ ولأمك تحياتي، وتمسى على أحلام سعيدة وتصبح على مليون خير.

فتحت نجاة الباب، وقبل أن تتحرك من مكانها، نظرت إلى منصور نظرة شوق وابتسمت ثم بعثت له بقبلة من القلب في الهوا بعيدة عنه بقدر شبرين، ابتسم هوفي وجهها وترجلت، ضل واقفاً لا يحرّك السيارة ينتظر التفاتة المرأة التي لابد منها، تودّع بها الرجل في جميع الأحوال، والتي لها مذاق خاص من المحبوبة، هدية صغيرة يتلقاها المحبوب يتزود بها حين تغادره.

دخلت نجاة على أمها فرحة مستبشرة، ترقص طرباً على إيقاع المشاعر

الداخلية، التي تهزها بسبب تلك الجولة الحميمية مع منصور في الجبل، وقد شفتها من تباريح الجوى، بعد سهاد طويل، أرقها النوم من عينيها ليالي طويلة حتى نحل جسمها، وانشغل خاطرها، وعانت من فراق الحبيب، فكانت أيام غيابه ثلاثين يوما تعدّها بالدقيقة والساعة واليوم والليلة يقتلها الهجر ألف مرة، وتتعذب بين الرجاء واليأس، فلما عاد منصور عادت لها الروح، وعاد الأمل والرجاء وانزاح عن خاطرها اليأس والقنوط ثم كان اللقاء بالحبيب ودعوته إياها إلى تلك الرحلة القصيرة التي بدّلتها امرأة أخرى، حل بها الفرح والسرور، وغادرها السقم والحزن.

دخلت تنادي: أمي أنا فرحانة.. أنا في غاية السعادة.. أنا يا أمي بنتك التي تحبك.. جاء حبيبها وجاءها الفرح.. أنا يا أمي اليوم كحّلت عيني.. ريت منصور.. حبيبي.

قالت الأم: من منصور؟ اسم الله العظيم.. إن شاء الله منصورين.

- منصور حبيبي.. كان مسافرا وعاد، وعادت لي روحي وعقلي.

- أنا أنقول؟ عندك شهر والاّ أكثر ماكشي على بعضك؟!

- كانت روحي وعقلي معه.

- هذا كلّه صار فيك وأنا مانسمعش؟!

- أنا مانبيكش تسمعي إلاّ الفرح يا أمي واليوم أنا فرحانة.

- طيب فينا، ومن هو منصور وكيف لايقتيه؟!

- حكاية طويلة.. أنا داخلة المطبخ نحضّر لأمي الغالية، برودو

وبعدين طاسة شاهي خضرة ونحكيلك.

أما منصور فقد اختلى بنفسه يحاورها في سرّه.. كيف هو ومنذ ثلاثة أشهر تقريبا يعيش أحداثاً متسارعة، مغامرات مع فلانة كانت من تدبيرها، وكادت تؤدي به إلى عواقب غير محسوبة يناله منها المكروه والمهانة وسوء السمعة إلى سفره هروباً منها، ووفاء لعهدٍ قطعه على نفسه لتلك الفتاة الإيطالية الجميلة التي تعلقت به وطلبت منه زيارتها في بلادها ثم تلك الصدفة التي جمعته بنجاة ونسجت بينهما قصة حب ضلت معلقة دون القطع فيها برأي، من جانبه هو، حيث ناداه هواه إلى أخرى تعلّق بها هي أيضاً. منصور رجل مشوش المشاعر - وها هو اليوم يعيش غراماً، أو بالأحرى يجدّد غرامه وهواه الذي بدأه مع نجاة فيخرج وإياها في جولة قصيرة، غيرت عنده كثيرا من القناعات، ولكنه ضل متردّداً بينها وبين الإيطالية بنت الشمال، تلك التي تنتظر وعده بالقدوم إليها حالما يرتب بعض شؤونه في بلاده كما أفادها.. دخل في مقارنات، بين اثنتين عشقهما، لكنه في الحقيقة لم يكن عشقاً كما هو العشق، العشق لا يكون إلا لواحدة، إنما هو مال إلى كل منهما بعض الميل.. عاشر الإيطالية معاشرة الأزواج ، وعاش معها أياماً سعيدة هانيئة، أما نجاة فكانت مشروع حب، وربما مشروعاً للزواج في المستقبل، هكذا اقتنع بهذا التوصيف لحاله، وخرج من التفكير الذي سيطر عليه حين دخل البيت ثم نهض فنام.

كان في حوزة باولا عنوانه البريدي والبرقي وكذلك هواتفه

السلكية، لم تشأ إزعاجه هاتفيًا، فضلت أن تشعره برقيًّا بوفاة والدتها المسنة التي يعرفها فقد زارها حين كانت في المصحة قبل شهر، كانت وفاتها متوقعة فهي قد تجاوزت التسعين من العمر: قرّر أن باولا في ظرف صعب فهي الوحيدة لا أخ ولا أخت لها تشد أزرها وتواسيها، تتقاسم وأياها الدموع والأحزان وتقف بجانبها في محنتها، وما برقيتها هذه إلا استنجادا به على مصابها الجلل.. أخذ يقلب الأمر على وجوهه: هو عائد من أيام إلى بلاده، ولم يرتب كل شؤونه الحياتية ولا ما يتعلق بتجارته، أو ارتباطه بالآخرين الذين لهم وعنده معهم مصالح والتزامات، ثم لقاؤه بالأمس مع نجاة وكيف كانت متلهفة عليه وفي غيابه نالها الشقاء والعذاب وضلت حائرة صابرة على الجمر حتى عاد، ثم ذكر كيف استقبلته في غير وعيها من شدّة التأثر والشوق إليه وكيف خرج وإياها في تلك الجولة وما تبادلا فيها من حديث عن حبهما الكبير، وآمالهما العريضة حين يتوج ذلك الحب والعشق بالزواج وبالرفاء والبنين. قال في نفسه لابد من الرأي القاطع والحسم السريع.

يحسم أمره.. كان دائماً في حقيبته جواز السفر، فهو أحيانا يسافر فجأة على عادة رجال الأعمال، أما تأشيرة الدخول وخاصة إلى إيطاليا ميدان معاملاته التجارية، كان يطلبها لمدة سنة فهي جاهزة وصالحة لعدة سفرات ولا تحتاج إلى تجديد إلا بعد خمسة شهور قادمة، التذكرة بالطائرة فقط عليه أن يشتريها من أقرب وكالة للأسفار. قصد مكتب الخدمات العامة وطلب منه حجز مقعد إلى روما على رحلة بعد الظهر،

ومقعداً آخر إلى مدينة باولا في الشمال والتي تستغرق الرحلة إليها ساعة من الزمن، سافر على غير توقع من نجاة التي كان لها معه موعد على الساعة الخامسة في الشارع القريب من بيتها، جاءت هي في الموعد والفرحة تسبقها إليه فهي تتوقع أن يكون في السيارة ينتظرها في المكان، لم تر أحدا، وقفت في نفس المكان، والفرحة على وجهها، والأمل يمنيها بطلعته البهية وبما أعد لها من برنامج في تلك الجولة المسائية، التي كانت تحلم بها ليلة البارحة، وفي الصباح حين ذهبت إلى المعهد لتلقي المقرر عليهامن المحاضرات، انتظرت ترقبه من أية جهة يأتي تجول ببصرها بين طرفي الشارع على اليمين وعلى اليسار. طال انتظارها.. داهمتها الهواجس، لعل في هذا التأخير خيرا، الهاجس يقول لها وفي الحياة مكروه، حاولت أن تطرد هواجسها بخيرهاوشرها، قالت في نفسها، للطريق أحكامها أحيانا وخاصة وفي ساعات المساء تزدحم الشوارع بالمارة والعربات، صبرت على مضض وقتا إضافيا حسبته للطوارئ، طال الوقت أكثر مما قدّرت لجميع الاحتمالات، تحركت من المكان، ذهبت مع الشارع في اتجاه اليمين عاودت السير في الاتجاه المعاكس، كانت تسير على مهل، في يدها حقيبة يدها وترتدي معطفا رمادياً فالفصل كان ربيعا وفي العشية تبرد النسمات، نظرت في ساعتها، تجاوزت الربع ساعة منذ وصولها إلى مكان الموعد، احتملت عشر دقائق أخرى، وزادتها خمسا. نصف ساعة من الوقت ولم يأت منصور، لابد في الأمر من أمر، داهمها القلق، أصبحت تأمل أن لا يكون قد حدث مكروه.. حل الظلام، لم

يكن بدامن الرجوع إلى البيت وعلى عجل. هناك تهاتفه وينجلي الأمر، لعل أمه مريضة، أو انشغل في شأن خاص ولم يفطن إلى وقت الموعد، أو جاءه ضيوف، تلزم مجاملتهم بتقديم واجب الضيافة لهم. عادت إلى البيت بسرعة، طلبته على هاتفه رن الهاتف على السماعة في الطرف الثاني واستمرار الرنين ثم انقطع.. انتظرت لحظات وعاودت الاتصال، ضل الهاتف يرن ثم ينقطع، أعادت طلبه أكثر من مرة لا من مجيب، حتى أمه يظهر أنها ليست في البيت، ضلت نجاة في حيرة كبيرة، وقلق شديد.. تصبّرت، خانتها عزيمتها كادت أن تنفجر بكاء.. كانت أمها في المطبخ تعد وجبة خفيفة للعشاء، ذهبت إليها.. قالت أمي وخنقتها دموعها:

ـ منصور لم يأت في الموعد وأنا قلقة عليه ربما أصابه مكروه.

ـ لا تقلقي الغائب له عذره. كلميه بالهاتف.

ـ كلمته لم يرد.. أنا خائفة.. ربما سافر مرة أخرى.

ـ وربما له أسبابه.. يا بنتي، الرجال دائما يسافرون.

ـ لماذا لا يقول لي إنه مسافر، ليطمئن قلبي ونعرف أنه مسافر؟

ـ لتمسي له عذرا، لعل دواعي السفر كانت عاجلة.

ـ لن أغفرها له، عندما يأتي سأحاسبه حسابا عسيرا.

ـ ليس لك حق.. أنت لا مخطوبة له ولا زوجة.

ـ أنا حبيبته، قالها لي ألف مرة.

ـ ليس كل قول على اللسان: هو ترجمة لما في القلب.

ـ هو يحبني يا أمي.. لماذا تشككين؟

ـ أنا قولي عن تجربة يا بنتي.. قبل أن أتعرّف على أبيك. خطبني أكثر من واحد، وأسمعني كل واحد عسلا وسكرا.. مناني كل منهم الأماني، بعضهم قدّم لي الهدايا، الثمينة ، وبعضهم كان قاب قوسين أو أدنى من الاقتران بي، تدخلت الظروف فحالت دون إتمام ما كان ينوي.. وأنا نفسي كم من مرة ألغى من جانبي الخطبة.

ـ هذا لعب بمصائر بنات الناس.. أنا لا أرضى مهانة ولا استخفافاً بمشاعري.. أنا عندي كرامة.

ـ لا كرامة مع من نحب.. صدقيني حين يكون حبك صادقا تنسي الكرامة وتضحين بكل شيء.

ـ لست أنا.

ـ ألست من بنات حواء؟!

ـ أنا نجاة.. أستاذة الفلسفة وعلم النفس لا يلعب بمشاعري أحد.

ـ هذا كلام العقل.. أما القلب فله كلام آخر.

ـ أنا عقلي قبل قلبي.

ـ أنت لم تحبي.

ـ لماذا لا يخبرني ما دام ينوي السفر؟ يهرب كالمرة السابقة، لابد أن تكون له أخرى هرب إليها.

ـ الرجل لا يهرب من امرأة أحبها إلى غيرها، ولا يحب اثنتين في

وقت واحد.

ـ كيف إذا تفسّرين هروبه هذا؟

ـ هو سافر لسبب من الأسباب، ربما لأمر طارئ جاء فجأة، ولم يجد وقتا ليخبرك، هذا كل ما في الأمر، هوني عليك، ولا تأخذك الغيرة من امرأة قد لا تكون موجودة إلا في خيالك فقط.

وتصمت نجاة، تراجع في ذهنها ملاحظات أمها، وأن ما قالته فيه بعض الصواب، فتجد ما قد يبرر له سفره المفاجئ وتلتمس له الأعذار، حطت الطائرة بمنصور في المطار الدولي.. أخذ خط الطيران الداخلي إلى مدينة باولا، لم يهاتفها، أخذ سيارة أجرة.. قصد سكنها: تلك الشقة الفاخرة في العمارة العصرية التي يعرف عنوانها.. وجد على باب الشقة عنوان البيت الذي يقام فيه المأتم: بيت والدتها المتوفاة: فيلا واسعة في حي راق من ضواحي المدينة، ليس هناك مظاهر لافتة تدل على أن هناك معزى: أناس يدخلون وآخرون يخرجون لا سيارات رابضة في الفناء، ولا حركة في المكان، السكون مخيم على المكان والباب الخارجي فقط مشرع، هناك يجلس البواب.

نزل منصور من سيارة الأجرة، وقف على البواب يتأكد من صحة العنوان، وأن هذا بيت السنيورة مارية وهل بنتها باولا موجودة؟ أفاده البواب بصحة الاستفسارات التي طرحها عليه.

سأل أين هي باولا؟

قال البواب:

هي في الداخل تستقبل المعزيين.. أضاف أمها السنيورة مارية ماتت. أعلم ذلك، هل تدلني أين هي الآن؟

قال: تفضل وصحبه إلى الداخل.. كان قد حل المساء وانفض المعزون، لم يبق إلا القليل: رجل وامرأتان كانوا يجلسون في صالة واسعة أعدت لاستقبال المعزيين.. جاء البواب يرشد منصور إلى حيث تجلس باولا، تطلعت إليه من بعيد - باولا - قالت بصوت البغتة: منصور حبيبي.. استغرب الحضور من الحالة المفاجئة التي اعترت باولا، وكيف قالت بصوت مسموع ممزوج بفرح مع التصريح بكلمة حبيبي، وهي في حالة حزن على فراق أمها.

دخل منصور إلى وسط الصالة الكبيرة، نهضت باولا مسرعة إليه، احتضنته، مال رأسها على صدره، اختلط شعور الفرح بالحزن، ضلت تشهق والدمع يسيل، خلّص نفسه منها وأسندها بيده وجاء بها حيث يجلس المعزين القلائل: رجل وامرأتان.. استأذن الرجل وإحدى المرأتين وبقت واحدة.

أجلس منصور باولا على أحد الكراسي وهو يترفق بها ويبدّد وحشتها بكلمات التعزية، يخفّف بها ثقل المصاب ويطيّب خاطرها، وجلس بجانبها يشاركها وجدانيا فيما حل بها من فراق أمها، كانت المرأة الأخرى تختلس النظر إليهما وتستنتج العلاقة بينهما، هل هناك علاقة حب بين باولا وهذا الغريب في سماته وسحنته؟ أو هو من المعارف العاديين جاء يعزيها كالآخرين؟.. لا هو ليس كالآخرين، هذا

يحتضنها في حميمية وود زايد، وهي احتضنته وشهقت وسال دمعها على صدرها، إن الأمر غير عادي ثمة شيء بينهما، المرأة ليست قريبة لباولا لكنها مقربة صداقة ومحبة، هي قريبة منها بالعمر وكاتمة أسرارها، نهضت المرأة وكأنها من أهل الدار فصبّت قهوة للضيف ولباولا، ثم جلست ترقب الموقف من قريب.

دقائق ويتبدل حال باولا تنبسط أساريرها وتلمع عيناها بالفرحة، فرحتها بقدوم منصور حالما اتصل ببرقيتها - كما أخبرها - فجاء على عجل وترك كل شيء دون أن يتأخر دقيقة واحدة.. خطرت بباله نجاة والموعد بينهما في المساء - قال لباولا:

تأثرت جدا للخبر، وقدّرت أنك وحدك لا من يعزيك في مصابك، ويقف بجانبك في هذه المحنة فجئت على وجه السرعة وتركت كل شيء، ولم أفكر إلا فيك وفي هذا الظرف العصيب التي أنت فيه.

قالت باولا:

لا عليك حبيبي أنت سرّيت عني، وأجليت الحزن، وأنا الآن سعيدة بموقفك هذا - أنت المروءة والشهامة يا حبيبي دمت لي.

كانت الأخرى تنصت إلى باولا وهي تتكلم بصوت مسموع وقد باحت بحبها، ولم تتحفظ أمامها، بل أصبحت تضحك فرحة بمقدم منصور.. عرفت سر العلاقة، فوجدت فرصة للكلام لتبدّد جو الكآبة والحزن قالت:

نعم يا حبيبتي، النفس تنوء بحمل المآسي والهموم والأحزان المدمرة للذات أنت الآن في أطيب حال، أشرق وجهك وارتاحت نفسك وانزاح عنك ألم فراق أمك، بوجود حبيبك كما سمعت منك، هكذاهي الدنيا أفراحها وأتراحها صنوان وفي وجود الحبيب تضحك الدنيا وتستجيب لها.

صحيحا ما قلته يا جوفانا.

- وهل هناك بلسم شافي من الأحزان سوى لقاء الحبيب،

- نعم هو ما قلت، التفتت باولا إلى منصور الجالس بجانبها وقالت: جوفانا حبيبتي وصديقة عمري وحافظة سري، وأنا اليوم أبوح به أمامها.

- نعم الصديقه التي تحفظ السر.

- قالت باولا تخاطب جوفانا:

- هذا حبيبي منصور لم تكن لي الفرصة لأحدثك عنه من قبل.. إنه روحي يا جوفانا.. إنّه الحبيب والشهم ذو المروءة.

- أهنئ قلبك على اختياره.. تنعمين بالعيش معه والسعادة.

منصور يتكلم ناظرا إلى جوفانا: باولا في سويداء القلب هي حبي الأول وستضل، وأنت أشكرك على حسن ضنك في، وأتمنى لك السعادة إن كنت متزوجة مع زوجك، أو مع حبيب إن كان لك مشروع للحب.

ضحكت جوفانا وشاركتها باولا، ثم قالت: هناك مشروع تحت

الدرس، أرجو أن يتحقق بدعواتك وأمانيي، ونظرت إلى باولا التي لا تعلم.

فوجئت باولا بقول جوفانا - أن هناك مشروع تحت الدرس - قالت: متى كان هذا لم تخبريني!! من هو؟ ماريو؟

- لا ماريو ولا جوزبي.. ليس من هذه المدينة ولا من إيطاليا.

- وتكتمين عنّي سرّاً!؟ سرّا كهذا وأنا صديقتك الوفية التي تحفظ السر.

- لم يتبلور المشروع في ذهني بعد، وستكونين أول من يعلم في حينه.

- يا لك من صديقة كتومة، أو هي عدم ثقة في؟!

يتدخل منصور قائلا:

هي قالت المشروع تحت الدرس.. يعني لم تقطع فيه برأي بعد، وحين يتم قالت لك: أنت أول من يعلم ، به أنت.

وأنت ستعلم منها بالطبع . الحبيب لا يكتم سرا عن حبيبه قالت جوفانا.

- هو حبيبي ومستودع أسراري، وأنت صديقتي التي أتمنى لها كل سعادة في حياتها، وكل توفيق في مشروعها، هذا الذي ما زالت تدرسه، هل في الحب مشاريع تدرس؟! الحب يطرق القلب فجأة ويدخل دون استئذان، الحب سلطان قاهر، يصدر أحكامه للمشاعر والأحاسيس فتسمح ، فتستجيب له أمرا تبارك الأحكام.

- هكذا أنت دائما يا باولا تفلسفين كل الأشياء قالت جوفانا.

- الفلسفة علم الحقيقة، والحياة حقيقة تبحث فيها الفلسفة.

تدخل منصور يحاول تغيير مجرى الحديث قال يخاطب باولا:

صديقتك جوفانا هي الوحيدة مع أخرى ورجل وجدتهم معك، والآن هي الباقية، يظهر أنها الوحيدة أيضا التي تشاركك وجدانيا في مصابك تبدّد أحزانك وتؤنسك فنعم الصديقة هي.

قالت باولا:

ـ منذ ثلاثة أيام لا تفارقني، تزيل الوحشة عني وتملأ على هذا البيت الواسع، كل المعزين حتى أقرباء أمي جاءوا لمدة عشر دقائق وذهبوا ولم يعودوا مرة أخرى، وأفضال أمي كانت عليهم كبيرة.

جوفانا توجه الحديث إلى منصور في حضرة باولا: هذه أختي وصديقة عمري، وأفديها بروحي، وسأضل معها ما شاءت.. أنا نفسي أعيش وحدي في شقة قريباً منها في المدينة، وحينما تنتقل من هذا البيت الذي أصبح خاليا من صاحبته، سأقوم بزيارتها حتى تعود إلى حياتها الطبيعية وتنسى والدتها، التي ذهبت أين يذهب الناس جميعاً.

قال منصور يؤمن على كلام جوفاناً: ونعم ما تفعلين مع باولا صاحبتك حتى تتعافى من مصابها، وكل حي يموت، نحن ننسى أمواتنا رغم أننا نذكرهم كل يوم، وكل يوم يزداد نسياننا لهم.. الله خلق لنا نعمة النسيان، كما خلق الحياة والموت، وفي الأمثال: ما مات حي على ميت.

ـ سنة الله في خلقه قالت: جوفانا.

تخاطب باولا منصور على مسمع من جوفانا فتقول:

ـ منصور حبيبي سأطلب من الخادمة، أن ترتب لك جناح الضيوف لتستريح من عناء السفر، وتأخذ حمّامك الذي تعودته قبل العشاء، ثم

بعد المائدة، سنسهر الليلة ومعنا جوفانا، وسأسرد عليها قصتنا - أنا وأنت - كاملة، هي عرفت بعض التفاصيل، ولكنها لا تعرف الحكاية من أولها، حين التقينا في ذلك الفندق، وكانت معي صاحبتي التي سميتها أنت" غولة فيدها عمود، وتضحك ويضحك الجميع.

يتدخل منصور: يا لها من صدفة جميلة، ويا لها من مفارقة تلك التي كانت فيها الأقدار أنصفتني من طمع صاحبي، وفوتت عليه سوء نيته حيث كنت هدفه ؟

- ستستمع منا جوفانا كل التفاصيل.

جوفانا تقول: شوقتني يا باولا ومنصور في الاستماع إلى حكايتكما من أولها وبتفاصيلها. أنا ذاهبة: أقول للخادمة أن ترتب لمنصور الجناح، وأن تحضر لنا مائدة الطعام بعدها سنتحدث في كل شيء.

وتخرج جوفانا لتشرف على ترتيب مكان نوم منصور وتحضير الطعام على كل شكل ونوع ينال إعجاب الضيف، وتعمدت أن تطيل الغياب لمنح فرصة للحبيبين، فهي علمت مقدار الشوق الذي كان في عيونهما فالضمة والحضن والقبلات المكتومة طالعتها في وجهيهما، فكاد تفلت لولا وجودها، هي خبيرة بأصحاب الهوى، وربما عاشت تجارب سابقة تذكرتها، فذكرت في نفسها ما كان يجول في خاطر كل من باولا ومنصور.

وهي منشغلة في الإشراف على ترتيب جناح النوم، وإعطاء التعليمات للخادمة بخصوص أنواع الطعام وأشكاله.. كانت تداهمها

هواجس وأفكار بخصوص منصور.. هذه الشخصية المتفرّدة بجاذبية خاصة، وهذا السحر السري الذي لا يدرك كنهه والذي ينبعث منه لا شك أنه رجل ولا كل الرجال، وكل امرأة، يأخذ بلبها. يسلبها إرادتها وتقع في أسره من أول نظرة، فلا تلام باولا والحال هذه في عشقها لهذا الرجل.. إنها المحظوظة في رحلتها تلك التي خبرّتها عنها في الصائفة الماضية، حيث التقت بهذا الرجل وكانت بينهما علاقة ها هي اليوم تتجدّد.. عاشت وقتا مع هذه الأفكار والتخيّلات وهي تتظاهر أنها تساعد الخادمة، وتتصور في ذهنها ما سيحدث بين باولا ومنصور في هذه الغيبة القصيرة المتعمدة منها، والفرصة الثمينة التي منحتها لها، فما كان من باولا إلا أن ارتمت في حضن منصور وظلّت تشبع نهمها منه قبلات ولمسات تغطيّها بعبارات الامتنان له، حيث شعر بشعورها وحزن لحزنها، وجاء يؤاسيها ويشدّ من أزرها. وكان هو يجاريها فيما تفعل، يحنو عليها ويترفق بها ويشعرها بالشوق لها ويبادلها المشاعر والأحاسيس، يجذبها إليه برفق ويلصقها بجسده المحموم بإثارتها ورغبتها المكبوتة، منه ومنها الخارجة عن سياق الظرف والمكان: فالمعزى ما زال قائما وفي بيت الفقيدة.

عادت جوفانا بعد وقت كاف منحته لصاحبتها باولا ومنصور، وعند الاقتراب منهما أوعزت إليهما بحركة للتنبيه، وذلك بأن أخذت تنادي الخادة لتأمرهاب بشأن ما.. سمعاها تقترب، جفلت باولا من حضن منصور تخلّص نفسها برفق واستوت جالسة في مكانها، أخذت جوفانا

مكانها بجانبهما، قرأت في وجهيهما سعادة وفرحة طافحة عرفت سببها.. قبلات ولمسات كانت بردا وسلاماعليهما بعد شوق طويل.. أخذوا يتحدّثون ثلاثتهم أحاديث جانبية من هنا وهناك، بدأته جوفانا قطعاً بشيء من التأثر والانفعال العاطفي والارتباك الذي ظهر على منصور وباولا ، ولتشعرهما بأنها لا تضن بهما الضنون، ولا هي فكرت في شيء مما كانا فيه.. قليلا من الوقت، وتسأل باولا: هل المائدة حاضرة حبيبتي جوفانا؟

- هي على وشك، ويمكننا أن ننتقل إلى صالة الطعام، لنأخذ كأسا قبل أن نجلس على المائدة، وقد طلبت من الخادمة أن تكون على المائدة أنواع من الأكل أرجو أن تعجب ضيفنا منصور، كانت جرأة منها ؟

وهو ما يجب، لكنها غطت قصدها، بسؤال باولا: هل يوجد في مخزن المطبخ نبيذ (بردو) الفرنسي الشهير؟

- موجود.. قالت باولا وهناك نوع من نبيذ البرتغال من أرقى الأنواع معتق قديم عمره أكثر من اربعين سنه اسمه روزانا ، وأنواع أخريمن النبيذ الجزائري الرفيع.. الخادمة تعرف كلا في مكانه.

إذاً يجب ألا نكثر من هذا الشراب، وستطول السهرة مع أفخر ما ذكرت بالنسبة لي: الأنواع الجزائرية.. أنا أفضلها على كل الأنواع، وأضافت، وماذا يفضل ضيفنا المبجل؟ قالت: جوفانا.

أجابها منصور: أنا أفضل ما يختاره لي مظيفي.

وان اليوم صاحبة الدار والمضيفة، في خدمتك باولا، قالت جوفانا،

وضحكت في وجه منصور وغمزت.

منصور، أجابها: ونعم ما قدمت.

نظرت إليها باولا نظرة ظاهرها اللّوم المحرك وباطنها الرضاء.

شجعتها بإشارة من يدها وقالت: أحسبيها من فلتات اللسان.

تصدّرت جوفانا المائدة وقالت أنا اليوم المضيفة: تفضلوا.

جلس منصور عن يمينها وجلست باولا عن يسارها دونما مراعات للإتكيت في هذه الحالة، إذ المفروض أن تكون باولا في الصدارة ومنصور عن يمينها وجوفانا في اليسار.. باشرت الخادمة في الخدمة فكانت تحضر الأطباق واحدا بعد الآخر وفي كل طبق نوع من الأكل حسبما أمرت به جوفانا، وحضر النبيذ الجزائري الفاخر، طالت الجلسة على الطعام، المقبلات ثم الوجبة الرئيسة تلتها أطباق الأجبان مشكلة من كل نوع، ثم كانت أطباق الفاكهة، وآخر ما قدم على المائدة طبقاً من الشكيلاته السويسرية الممتازة، واستمر الشراب حتى أكثروا منه، وكلما كثر كثر معه الكلام في مواضيع شتى، أهمها حكاية منصور وباولا حين التقيا أول مرة وقد طلبت جوفانا من باولا أن تسردها بحذافيرها، وهي التي تعرف أن الخمر تزيح الستار عن كل سر، وتكشف المخبوء دون تحفظ، فالمكثر من الشراب يستخف بكثير من الأحكام، ويرى في أشياء كثيرة المباح المسموح به على عكس عندما يكون في كامل وعيه.

وعلى رأي المثل الشعبي الجزائري !! اسقيه واستقصيه.

أخذت باولا تسرد الحكاية من أولها وبتفاصيلها ودونما تحفظ على الخصوصيات، وكانت جوفانا التي ما زالت أكثرهم وعياً تستزيدها من التفصيل والوصف، أما منصور فكان يتذكر أغلب تلك الأحداث، ويتعجب من بعض لم يعد يذكر أنها حدثت، لكنه في بعض الأحيان عندما تتوقف باولا عن الوصف وتفصيل التفاصيل لبرهة، يضيف هو أشياء ضلت عالقة بذهنه. وغائبة عنها لأنها لم تشاهدها أو تفعلها، يذكر كيف ترك باب غرفته نصف مفتوح وأطل منه حين سمع خطواتها في الممر الفاصل بين غرفتها وغرفته.. وكيف مشى على رؤوس أصابعه حين دخلت الحمام وأغلقته وضل ينصت إلى ضجة ماء الدش يساقط على جسمها، وكيف فاجأها في جرأة ورغبة جامحة فاقتحم عليها غرفتها وهي ما زالت تلتحف بفوطة الحمام، وكان المبيت في نفس الغرفة حتى الصباح.. كان سردا يتبعه سرد تبادله منصور وباولا، وكانت جوفانا المستمع المنتبه الشغوف، والمستمتع عن طريق التصور والخيال، والتمني كان واردا لا شك في هذا الحال بالنسبة لها.

انتصف الليل والثلاث ما زالوا في حديث الذكريات وأحاديث أخرى، تخللّتها حتى بعض النكات ذات الرموز الجنسية الحمراء، وكان الوحيد المتحفظ نوعاً منصور، أما جوفانّا فكان في جعبتها الكثير من تلك النكات الفاضحة، لم تتورّع أن تسوقها بأسلوبها المشوق وبراعتها في العرض، فكانت تعبّر عما في داخلها من رغبات مكبوتة، تلتمس بها متنفساً يريحها نفسيّاً استعلاء للغريزة، أما باولا فقد كانت أكثر الوقت

تدفن رأسها في صدر منصور وحجره وهي بين الوعي واللاوعي، ثقل لسانها وتعثر كلامها، وكانت عيناها نصف مفتوحة وأحيانا مغمضة، بفعل الشراب الذي أكثرت منه، كان وجود منصور ونشوة السكر، والجو الذي خلقته جوفانا بنكاتها وخفة دمها وجرأتها، كل هذا أنساها ما خيّم عليها من حزن وكآبة كانت تعيشها منذ ثلاثة أيام حين فقدت أمها، ولم تجد من يسري عليها همها حين يغادر المعزون وتبقى وحيدة في تلك الدار الواسعة مع الخادمة، حتى جوفانا لم تسمع بوفاة والدة باولا إلا ذلك اليوم الذي حضر فيه منصور، إذ كانت - جوفانا - في سياحة خارج إيطاليا مع مجموعة: قروب في جزر الكناري الإسبانية.

تجاوز الوقت منتصف الليل بساعة كاملة فبات الجميع يغالب النعاس.. حتى جوفانا التي كانت في أوج نشاطها.. وهي تصب الشراب وتلقي النكات واحدة تلو الأخرى، بدأ النوم يداعب أجفانها أما باولا فقد غفت في حجر منصور ومدت ساقيها على الفوتيل الذي كانت تجلس عليه وإياه، وهو ينظر إليها من علٍ، وحين مدت له جوفانا بالكاس أومت له أن يأخذها إلى الجناح.. أمثل إلى أمر جوفانا فأسندها على كتفه ودخل بها، ضَلَّ هناك حتى الضحى.

جوفانا أخذت من حقيبة يدها قرصا يساعد على إجلاء النوم وضلّت في محلها وبقايا الشراب والميزات أمامها فوق الطاولة الصغيرة، بدَّلت نوع الشراب، وضلّت تحتسي منه كأساً بعد كأس حتى خطر لها أن تستطلع حال صاحبتها التي أودعتها عند منصور مثقلة بالشراب

وهو كذلك، فذهبت صوب الجناح، وقد أصبحت في كامل وعيها بفعل ذلك القرص، وجدت كل شيء ساكناً، لابد أن منصور وباولا قد استغرقا في النوم، لم تغادر المكان بعد ويظهر منصور في بيجامة النوم وقد أشعل سيجارة وقصد النافذه في البهو الكبير ليفتحها.. البهو كان مضاء لمحها: هي جوفانا.. بادرته بالسؤال كيف هي باولا؟

أجابها: نامت منذ أن ارتمت على الفراش.

وأنت لماذا لم تنم؟

- فارق جفني النوم.. وأنت لماذا جئت إلى هنا؟ سؤال بسؤال وضحك

جئت أسأل عن حال باولا.

- مستغرقة في نوم عميق كأنها لم تنم منذ أسبوع.

- مسكينة كانت حزينة على أمها.. أضافت أشعل لي سيجارة.

أخرج من جيب البيجامة علبة السجائر والولاعة وأشعل لها بعد أن وضعتها بين شفتها بطريقة تعنيها - أخذت منها نفسا ومنصور يتأملها في لباس النوم الشفاف. هي ذهبت قبل دقائق إلى إحدى غرف النوم لتنام، لكنها فجأة خطر عليها أن تسأل عن باولا هل نامت، لاحظته ينظر إليها بنهم ويبتسم دون كلام قالت:

- انت كلّك خطر - على رأي اغنية الطيب العلج المغربي - أنت سحرك في عينيك وكل الخطر منها.. أنت رجل لا يقاوم.. أنت مذهل ورهيب.

ـ وأنت: فتنة، والفتنة أخطر من كل شيء، فتنة المرأة هي التي لا تقاوم رهيبة وتصرع الرجال.

فجأة تظهر الخادمة تشرع النوافذ فقد أشرقت الشمس.

عاد منصور إلى الجناح وعادت جوفانا إلى غرفة النوم، أخذته هو سنة من نوم بجانب باولا التي ما زالت في نوم عميق، ونامت جوفانا نوما مشوّشاً ساعة من زمان.

استيقضت باولا أنكرت هيئتها.. كيف هي كانت نائمة بملابسها التي كانت على ظهرها وقت السهرة.. أنها لم تنزع شيئا، ولاتذكر كيف وصلت إلى جناح النوم.. لابد أن منصور هو الذي جاء بها إلى هنا.. حتى حذاءها لم تذكر أنها نزعته.. منصور حين ارتمت على الفراش نزع لها الحذاء.. من غطّاها باللحاف، كم كانت الساعة حين أخذها النعاس؟ والآن كم هي الساعة؟ إنها الحادية عشرة صباحا.. لم تنم من قبل هذا النوم العميق.. نظرت إلى منصور بجانبها لا زال يغط في نوم عميق، هل نام ليلة البارحة ساعة نامت؟ هل فعل شيئاً؟ لا هذا لم يحدث.. الفعل له أثر حاولت أن تتذكر بعض الأشياء، وجدت أن الذاكرة تخونها.. هي متقطّعة، أشياء تذكرها وأخرى تغيب.. تذكّرت أنها كانت تغفو في بعض المرات في حجر منصور.. تذكّرت وهو يسندها لتأخذ كأسها.. ثم ينقطع خيط الذاكرة فلم تعد تذكر شيئاً.

نهضت من الفراش، بدّلت ملابسها بعد أن أخذت دش الصباح، نادت لخادمة.. أمرتها بتجهيز الإفطار، ثم بحثت عن جوفانا وجدتها

نائمة في إحدى الغرف، وقد وضعت ملابسها على كرسي كبير بجانب السرير وهي نصف عارية في ملابس شفافة، لم توقضها فهي يبدو أنها نامت بعد الفجر، لم تشعر بها حين دخلت عليها ووقفت برهة على رأسها، عادت تستقصي بعض الأشياء، ربما طرأت على منصور، لم تستنتج شيئا.. قصدت الخادمة تسألها متى هي دخلت إلى الجناح وهل كان معها منصور حين دخلت؟! الخادمة قالت لا أعلم أنا نمت على الساعة التاسعة مساء وتركتكم جميعا في الصالون الصغير تواصلون السهر. لم تشاء الخادمة أن تخبرها عن تواجد جوفانا ومنصور في الردهة الواسعة خارج الجناح بعد الفجر.. أثرت السلامة، هي لا يهمها هذا الأمر، وما دامت لم تسألها فقد تجنّبت الحرج، ولا داعي للشك الذي يجرّ إلى عواقب غير محمودة بين الصديقتين، وهي التي لم تتأكد من حدوث شيء بين جوفانا ومنصور على وجه اليقين.

الفطور جاهز الآن.. أيقضت باولا منصور.. نهض على مضض، هو لم ينم أكثر من ثلاث ساعات وبعد شروق الشمس، كذلك كانت جوفانا.. دخل منصور الحمام، وذهبت باولا مرّة أخرى لتوقض جوفانا.. فتحت عيونها في كسل ومطّت بساقيها وذراعيها، نهضت بصعوبة من الفراش، ردّت تحية الصباح بصوت خافت على باولا، خرجت باولا من عندها وطلبت منها اللقاء في صالة الطعام.. بعد الإفطار اجتمع الجميع في تراس دافئ يقابل شمس الربيع.. جاءت لهم الخادمة بالقهوة. كانت باولا أكثرهم نشاطاً وحيوية، قالت: ما رأيك يا

جوفانا في جولة بالسيارة خارج المدينة في هذا الجو الصحو اليوم؟

إنه جو رائع، السماء خالية من السحب، والشمس مشرقة، وجلسة في بار الدب الأبيض تبعث في النفس السرور.

ولتكن على أن أقود أنا السيارة قالت: باولا.

لا أنا التي تقود السيارة وقد لمع في ذهنها خاطر.

ـ أنت لم تأخذى كفايتك من النوم البارحة كما يبدو لي، والا أكثرت من الشراب.

ـ أنا نمت بعدما دخلت أنت ومنصور الجناح مباشرة إلا أنني في الليلة السابقة لم أنم جيدا.

كما تشاءين قودي أنت السيارة وأنا أجلس بجانبك أرشدك إلى الطريق – لا ترغب في أن يجلس بجانبها منصور – لعلك لا تعرفينه جيدا.

ـ وأنا اعرف الطريق جيدا أيضا، فلا تشغلي بالك بشيء.

نهض الجميع، فتحت جوفانا أبواب السيارة الأربع بلمسة على المفتاح، ثم فتحت الباب الخلفي وراء مقعد السائق وقالت لمنصور: تفضل بناء على رغبة باولا وضحكت ضحكة وراءها معنى.. جلست وراء مقود السيارة وجلست باولا بجانبها ومنصور خلفها مباشرة، انطلقت بهما السيارة في جولة عبر مروج خضراء خارج المدينة ثم سلكت طريقا متعرّجا يصعد إلى قمة جبل هناك يوجد بار الدب الأبيض الذي يقدم الخدمة في النهار: أنواع من أجبان بارما الشهيرة مع النبيذ الأبيض،

ويتحوّل في الليل ملهى يؤمه الأثرياء من المدن والقرى المجاورة.

قبل أن تنطلق السيارة عدّلت جوفانا المراة الداخلية، وجهتها نحو وجه منصور.. تحركت السيارة في الطريق، سارت في البداية عبر تلال ومروج خضراء تغطي سهلاً واسعا بين المدينة والجبل، بعد وقت استغرق ساعة من الزمن، كانت الجماعة تجلس في أحد أركان تراس البار، في قمة الجبل الذي يشرف على أرض فضاء خالية من البناءات، يجري فيها رافد، يسقط ماءه من روابي مقابلة، يصب في نهر كبير يخترق المدينة، ومدناً أخرى حتى يصل إلى شاطئ البحر.

في الطريق خلال تلك الجولة التي استغرقت ساعة أو تزيدا مرقت أصابع جوفانا بين محلها وجسم السيارة من الداخل، لمحها منصور الذي كان يسند ظهره إلى الخلف، عدّل من جلسته بحيث أصبح رأسه بين باولا وجوفانا، وأخذ يناوش باولا بكلمات غزل رقيق.. كان جنبه الأيسر وكتفه يغطي المنطقة الفضاء بينه وبين جوفانا فيمنح الحرية المطلقة ليده، هنا ضلت أصابعه تلعب بأنامل جوفانا، وهما الاثنان: جوفانا ومنصور يغطيان بحديثهما الفعل.

في ذلك المكان الساحر، وهم يتأملون المنظر الرائع البديع: روابى خضر، يسقط منها شلال، يشكّل رافداً تجري فيه المياه، يخالطها الطين، فيلوّنها بعد أن كانت بيضاء ناصعة، عند سقوطها من علٍ، (سبحان الله الذي أبدع كل شيء صنعا).

في ذلك المكان قضى الجماعة وقتا جميلا بعث الراحة في النفوس،

أنعشت الجسد، فدبّت فيه الحيوية والنشاط.. استمرت الجلسة إلى ما بعد العصر.. الغيت وجبة الغذاء، بالنظر إلى أن الإفطار كان متأخرا، وبسبب تلك الاطباق من أجبان بارما الشهيرة مع النبيذ الأبيض.

قبل الغروب بقليل عادت السيارة تتهادى في غير سرعة مع طريق آخر موصلاً للمدينة عبر منطقة ريفية أخرى بديعة المنظر... دخل منصور وباولا للجناح، وجوفانا إلى غرفتها التي نامت فيها الليلة الفائتة، ليأخذ كل منهم حماما كاملا، كانت قد أعدته لهم الخادمة، ثم بعد ذلك يلتقي الجميع في صالة الطعام في وجبة العشاء، ومنها يبدأ الاستعداد للسهرة، وقد حجزوا طاولتهم في صدارة حلبة الرقص في الملهى الجبلي الذي كانو فيه.

بعد العاشرة مساء كانوا في الملهى، جلسوا على طاولتهم المحجوزة مسبقاً، كان فوق الطاولة صطلا يحتوي زجاجة مائلة ملفوف أسفلها بقطعة من قماش أبيض، بها شراب اسمه: شمبانيا، وبجانب الصطل وعاء من زجاج، به مكعبات من التلج يعلوها ملقاط من معدن.

جاء النادل.. أخذ يعالج غطاء الزجاجة ليفتحها، قبل أن يزيل الغطاء، نظر في وجوه أصحاب الطاولة برهة يلفت انتباههم، ثم رجّ الزجاجة قليلا، وعمل المفتاح في الغطاء، حدثت فرقعة فوق رؤوس أصحاب الطاولة، سمعها المتواجدون في الصالة، تقليد متبع في الملاهي الليلية - صب قليلا من الشراب في كأس مخصوص ومد به إلى صاحبة الطاولة

المحجوزة باسمها – باولا.. أذنت له في أن يملأ كؤوس الحاضرين معها، وبدأت السهرة بعزف منفرد على آلة البيانو، بعدها اعتلت جوقة العزف الموسيقي التي ستصاحب كل الرقصات على اختلافها من كلاسيكية إلى الرقص العصري والشبابي على اختلاف تسمياته.. قام منصور وطلب باولا للرقص، اعتلت الحلبة، كانت الرقصة هادية على أنغام موزار انتهت تلك الرقصة، تلتها رقصة الفالس على أنغام موسيقى أخرى، عاودت معه الرقصة، في الأثناء جاء رجل يطلب يد جوفانا للرقص اعتذرت، انسحب الرجل بأدب وطلب أخرى للرقص، عادت باولا ومنصور إلى الطاولة، عزفت الموسيقى مرّة أخرى تعلن عن رقصة شبابية نشطة دعا منصور جوفانا للرقص، رقصت وإياه تلك الوصلة التي استمرت زهاء ربع ساعة، حتى كاد .وجوفانا إلى مجلسهما، ضلوا جالسين طلبت جوفانا زجاجة من شمبانيا على حسابها، دارت الكؤوس دورات أخرى، ثم توالت الرقصات، اغتنمت جوفانا موسيقى تدعو إلى رقصة كلاسيكية هادية، سارعت فطلبت من منصور أن يراقصها قاما ووصلا الحلبة، كانت الرقصة تتلامس فيها الأيدي، اليسرى من منصور مع اليمنى من جوفانا واليمنى له وراء ظهرها واليمنى منها على كتفه، والجسدان متلاصقان مع التمايل والخطوة القصيرة المتمهلة، جاء شاب يطلب يد باولا للرقص امتنعت تبدى له الأسف لأنها متعبة، كانت أنظارها مسلطة على صاحبتها ولمساتها وهمساتها الغير مسموعة لها، التي تضاحك منصور، وهي تضع رأسها أحيانا فوق كتفه، وترفعه لتحادثه حديث الغرام، كما خرّصت

باولا وربما كانت تلقى على مسمعه في ذلك الصخب الموسيقى ولغط الراقصين، بعض من نكاتها الفاضحة التي تتعمّد أن تحرفها من عندها دون ما تحفظ، بدأت الغيرة تحاصرها وتلح عليها لتضع حدا لصاحبتها التي تمادت كثيرا في التقرب إلى منصور وقد ظبطتها سابقا، تختلس له النظر وتحاول لفت نظره في حركاتها ولباسها وتلميحاتها أحيانا: الموارية، وهي التي تعرف أنه في حكم الزوج بالنسبة لها - باولا - لكنها عضّت على جراحها وصبرت على تجاوز جوفانا لحدودها، من جهة حتى لا تخسر صداقتها، ومن جهة أخرى هي: باولا متسامحة ودودة لا تريد إثارة المشاكل مع أصحابها ومع الآخرين، باولا يغلب عليها الحياء والطيبة تتنازل على حقها عن طواعية وإكرام ولا تسيء لأحد.

أما جوفانا فقد كانت لها فرصتها لتشبك يدها في يد منصور واليد الأخرى على كتفه، ورأسها تدفنه في صدره، وهو يلامس خاصرتها بيد ويضمها إليه ملتصقة به، يحدث كل ذلك على رؤوس الأشهاد، فلا ينكره أحد سواء من الراقصين ولا من الجلوس على الموايد، حتى باولا لا حجة لها تحتج بها، فهذا عرف معروف، تعارف عليه الناس في تلك المجتمعات الغربية.. أشبعت جوفانا غرورها ونهمها حين راقصت منصور أكثر من مرة خلال الرقصات الكلاسيكية وحتى الشبابية رقصتها معه، وإن لم يكن في تماس، الاّ عيونها وحديثها معه حين تقترب منه أو تدور حوله كان يمنحها مزيدا من الفرص للتحرش به ومغازلته ودعوتها الصامتة له، لفعل ما تنويه، وكان منصور يجاريها ولا ينوي

نواياها، حتى ذلك الوقت، غير أن دوام الإلحاح ودعوات الإغراء المتكرر كانت له نتائج تكشفت فيما بعد، حين تهيأت الفرص، وكانت ظروف المكان والزمان مناسبة.

انتهت تلك السهرة على الساعة الثانية بعد منتصف الليل.. عادوا إلى الدار الواسعة، دار والدة باولا التي أصبحت في ذمة التاريخ، والتى ستؤول وما تملك إلى باولا، وهي الغنية - باولا - بمالها الخاص الذي ورثته عن والدها، وحيدة لا أخ لها ولا أخت، عادوا وتفرقوا كالعادة جوفانا ذهبت إلى غرفتها، وهي الضيفة التي أصبحت غير مرغوب فيها من طرف باولا ومنصور وباولا قصدا جناحهما.. ناموا تلك الليلة بعد الثالثة قبل الفجر كل على حاله: باولا ومنصور في جناحهما الخاص، وفي فراش واحد كزوجين.. أما جوفانا: فقد أخبرتهما صباحا على مائدة الإفطار، أنها لم تنم ولا غمضة واحدة، لازمها السهاد حتى الساعة، وعزّت ذلك إلى أنها رقصت كثيرا، وهي لم ترقص منذ أن عادت من سياحتها في جزر الكناري، لكن باولا، تعرف أن ما ساقته من مبرر: ليس هو السبب، إنما هو سبب آخر أسرته ي نفسها ولم تفصح عنه - هي كانت - جوفانا - تتخيّل ما يحدث في الجناح قريبا منها، وكان الحسد والغيرة تحرقها، والأماني تداعب مشاعرها، خيالها وتصوراتها أطار من عينها النوم، وليس الإعياء بسبب الرقص، كما ادعت وبررت دعواها.. باولا لها تجربة معها من قبل، وتعرف أنانيتها وحبها لذاتها وطمعها فيما عند الغير.

بدأت العلاقات يشوبها التوتر وعدم الارتياح بين باولا وصاحبتها جوفانا، فكانت كل منهما تتحاشى الحديث مع الأخرى، بل أصبحت كل منهما تتسقّط أخطاء صاحبتها وتلومها أحيانا.. وتلاحظ لها كل كبيرة وصغيرة من الهفوات، وبذلك أصبحت صداقتهما نوعا من المجاملة ومسايرة للظروف فقط، وبمجرد هفوة أو غلطة لا تغتفر تكون العلاقة بينهما في مهب الريح، وما هي إلا أياماً وهبت رياح عاتية، بل إعصار شديد ضرب العلاقة في الصميم فدمّر عِشرة أكثر من عشر سنوات، هي سنوات الدراسة في المرحلة الثانوية وبعدها الجامعة كانت بين باولا وجوفانا، فصار بينهما أسوأ فراق، ولولا رصانة باولا وتعقّلها وحسن تصرفها لنشبت بينهما معركة تكون الملامة فيها جوفانا، لأنها من جهة معتدية ومن جهة أخرى هي في ضيافة باولا. وتساكنها دارها وتعيش معها كأنها صاحبة الدار، ولو تدخل منصور والخادمة لفض النزاع بينهما الذي كاد أن تستعمل فيه الأيدي والأظافر، ويكون فيه نتف الشعر وتشويه الوجوه، وربما جراح في الجسم لكان الحال قد تحول إلى فضائح بين الناس في المنطقة، وربما يصل إلى الحي الذي تسكنه باولا في المدينة وكذلك إلى حي جوفانا المجاور.

كان سبب ذلك التوتر بين الصديقتين، والذي أعقبه انفجار شديد، قذفت فيه كل منهما نحو الأخرى، سيلا من ألفاظ السبّ والشتيمة، والوصف بالعار، والنعوت البذيئة، مما يمجُّه الذوق، وتنفر منه الأذن، وتأباه النفوس، ويستحي منه السامعون.. كان السبب جرم مشهود

ارتكبته جوفانا في حق صاحبتها باولا.. والحادثة تمثّلت فيما أقدمت عليه جوفانا من فعل، حيث هجمت على منصور وهو يقصد صالة الطعام في الصباح، عندما جاءت هي بدورها إلى الصالة، وجالت بعينيها في الفضاءات المحيطة وكل الممرات والزوايا المفتوحة في الدار الواسعة فلم تجد أحداً.. هجمت عليه وتعلقت برقبته تقبله في نهم وشغف وهو يحاول أن يتملّص منها ويدفعها برفق: لأنه رصد باولا تأخذ مكمناً خفيا في زاوية من الدار تراقب كل شيء وعن عمد في تجسس ظاهر، إذ أنها بدأت في الفترة الأخيرة تشم رائحة الخيانة من صاحبتها، فلم رأتها رأى العين انسلت من مكمنها وهجمت على جوفانا وهي لا زالت متعلقة بمنصور، لم تعد باولا تسيطر على أعصابها جحضت عيناها وتنمَّرت ثم صاحت في وجه جوفانا وانطلق من فمها السباب المقزع قائلة: هذه هي أنت يا عاهرة، يا قرينة العار والسقوط، يا كلبة يا بايعة الهوى لكل كلب.. ردت عليها جوفانا: وأنت ماذا؟ أنت: يا من تشتري الرجال بالمال، وتغدق عليهم من النعيم تغطي به قبحها وسوء أخلاقها.. أنت يا وارثة المال الحرام يا بنت الـ...

وضلت كل منهما ترمي صاحبتها بالفاحشة والمنكر، وتحاول أن تمد يدها كل منهما للأخرى لتخدشها أو تلحق بها ضررا.. فزعت الخادمة فجاءت تحاول فض الاشتباك اللفظي الذي كاد أن يتحول إلى عراك بالأيدي، تساعد منصور على إنهاء الموقف.

أخيرا قالت باولا تخاطب جوفانا: اخرجي من داري يا ساقطة يا

سليلة الخيانة، لا تضمنى أنني لا أعرف أمك وخياناتها لزوجها، وكيف تخطف الرجال من زوجاتهم.. أنت تاريخك وتاريخ أمك أسود ونهارك اليوم أسود إن لم تخرجي حالا.

ردت جوفانا: وأنت يا مريضة، يا من تزحف نحو القبر بعد أيام، سأخرج ولن تري وجهي بعد اليوم الا عندما آتي لأعزي فيك.

خرجت جوفانا من دار باولا تجرّ حقيبة صغيرة جاءت بها قبل أسبوع، أما باولا فقد أخذها منصور إلى صالة صغيرة في ركن من الدار وطلب من الخادمة أن تأتي إليهما بطعام الافطار، بعد أن تهدأ باولا من أضرابها وأنفعالها الشديد، ثم أخذ يطيب خاطرها ويهون عليها الأمر وهوي شعر بخجل منها لأنه كان شريك جوفانا في الفعل، وإن كان مفروض عليه فرض، غير أن باولا ورغم الطعنة التي أصابتها من مشهد رأته بعينها - منصور في قبلة مع جوفانا - إلاّ أنها لم توجه له أي لوم أو عتاب، وأنها حمَّلت مسئولية الفعل كله على جوفانا، الخائنة وهي تعرف علاقة منصور بصاحبتها - كما تدعي - وأنه سيصير زوجها قريبا.. فقط كانت باولا تفكر في تلك الجملة التي تلفظت بها جوفانا في ذروة غضبها من إهانات باولا عندما كانت توجه لها الخطاب: (يا مريضة يا من تزحف نحو القبر بعد أيام) فكرت ربما سمعها منصور، وأكيد سمعها ولابد أنه سائل عن مرضها هذا الذي تقول به جوفانا؟ وما نوعه؟ وكيف هي تزحف نحو القبر بسببه؟، هو إذًا مرض معلوم ومصرّح به من قبل الأطباء. هي تعرف هذا - باولا - لقد قال لها

الأطباء إنها مصابة بسرطان القولون - مرض العصر - وأنها سوف لن تعيش أكثر من سنتين، قال لها هذا الأطباء في إيطاليا، وأكده أطباء معهد الأورام في فرنسا أشهر المعاهد المتخصصة في هذا المرض في العالم.

حاصرتها الوساوس في هذا الخصوص باتت تأمل أن لا يكون منصور انتبه إلى جملة جوفانا التي قالتها تشفيا منها وإشعاراً لمنصور بمرضها الخطير وضلّت تأمل ألا يسألها ولو على سبيل الشفقة والاطمئنان عليها من أي مرض تشكو - هدأت قليلا حين لم تجد من منصور إلا الاهتمام بها وإحاطتها بالحنان والرفق، فطلبت منه أن يشاركها في الطعام وبسطت وجهها ثم قالت وهي ترنو إليه في ود: حبيبي لا تؤاخذني فيما فعلت مع هذه الساقطة الخائنة، إنها مجرمة وقحة أنانية تحب نفسها، وقد كانت لي معها تجارب عديدة كانت فيها على قدر كبير من السوء والوقاحة وسوء التصرف وإلى جانب ذلك هي: طماعة نَّهازة للفرص، تأخذ المال على سبيل السلف ولا ترده، وأسوأ ما فيها الغيبة، والنميمة والخيانة، والوقيعة والفتنة بين المتحابين، وأنا لا أعلم ماذا دهاني حتى عقدت معها علاقة صداقة وأخلصت لها، وها هي تكافئني بالخيانة وترميني بالمرض وتتمنَّى لي الموت.

قال منصور: هي المريضة، لأنها تصرفت معك هذا التصرف الخاطئ، رغم إحسانك لها. هنا انتبهبت إلى أن منصور قد سمع الوصف: يا مريضة، وها هو يردها على جوفانا فيصنّفها بالمرض، يعني المرض النفسي، لكن كلمة المرض ضلت ناقوسا يدق في ضمير باولا،

فمنصور لم ينس الكلمة.. ، ولعله سائلها بعد حين عن علتها، وكيف لا تسعى في علاجها، وهل هي علّة مستعصية العلاج وما إلى ذلك من استقصاء عن: تاريخ المرض؟ ومكانه من الجسم؟ وهل جربت له علاجا من قبل وما شابه من أسئلة.

قالت باولا: منصور حبيبي - وهي ترشف من قهوة بعد طعام الإفطار - متى سيكون زواجنا؟ أنا سأكون غير ملتزمة أدبيّا أمام أمي والناس بعد شهور قليلة، وساعتها يحق لي أن أقيم الأفراح، وأتحرر من كل عرف اجتماعي تجاه الميت القريب.

- ونحن الآن متزوجان.. ألسنا في معاشرة زوجية كاملة نعيش في مكان واحد، وننام في فراش واحد ونمارس حياتنا كزوجين؟!

- هذا بيننا.. هي حياة في السر، غير معلنة.

- ونعلنها.. ماذا يمنعنا؟

- الإعلان يتم بالإشهار.. لابد أن يشهد زواجنا الناس، ويتم في الكنيسة. بمباركة الراعي، ويسجل بعد ذلك في الأحوال المدنية، بعدها أصبح أنا اسمي: منصور باولا.

- كيف ذلك وأنت: اسمك أنطونيو باولا؟ يعني اسمك وأسم أبيك.

- هذا قبل الزواج، أنا أحمل اسم والدي، اما بعده، فأنا أحمل اسم زوجي.

- لا بأس على كل حال، هي مجرد ملاحظة أو معلومة وجب العلم بها.

ـ إذاً متى تكون في حل من التزامتك الاجتماعية وارتباطك بالعمل لنحدد موعد زواجنا من الآن؟

أنا أرى أن أعود إلى بلادي لأرى ماذا جد بشأن العمل وأرتب ما يلزم ترتيبه، لأكون في حل من أي التزام أو مشاغل شأن العمل، ثم أخبرك بوقت قدومي، بعدها نحدد موعد زواجنا وفقا لظروفنا هنا، ومن حيث المبدأ أعتقد أن يكون الوقت ملائماً جدّاً في فصل الصيف، وإلام ما رأيك أنت؟

ـ ونعم الرأي رائيك، وفيه متسع من الوقت لندبر كل شيء.

عاد منصور إلى بلاده، بعد أن قضى مع باولا عشرين يوما، يشد من أزرها ويواسيها في مصابها، يبدّد عليها وحشة فراق أمها، ويسرّي عنها بحديث الموانسة وما سيكون في حياتهم من أفراح ومسرّات في المستقبل القريب، وكيف سيكون لها السند القوي: أخ وأب وزوج وفيّ.

كانت نجاة في غيبته التي لا تعرف أين كانت وجهته، ولا أي بلاد هو قصدها، ولو عرفت لفعلت المستحيل للحاق به أينما يكون ولو كلّفها ما كلّفها من مال ولوم من الناس، كانت بعده جثة تمشي على الأرض، هائمة على وجهها بلا وعي، قلبها يناديه في كل لحظة من حياتها، وعواطفها تحلّق في الخيال تلاحق طيفه، والوساوس تدمرها من الداخل تحدّثها بضياع منصور منها إلى الأبد.. جسمها أضحى نحيلا، وبرزت في وجهها العينان والأنف، وغار الخدان اصفر لونها، وغابت بسمتها وقلّ حديثها إلا مع أمها وفي حالات الضرورة كأن تطلب منها

فعل شيء لا تقدر . أمها . عليه ، أو ترد تحيتها في الصباح حين تبدأ بها الأم.. أو ترد بالنفي إشارة حين تسألها عما أصابها من مرض.

والأم تعرف سببم مرضها، لكنّها فقط لتجرّها إلى الحديث، لعل في الحديث ما يخرجها مما هي فيه، كانت ساهمة دائما، صامتة في شبه ذهول، ينبئ عن الوجع الشديد، وجع الهوى والعشق.

طيلة عشرين يوما أو تزيد: الفترة التي غابها منصور مع باولا في الشمال، لم تذهب إلى المعهد حتى محاضراتها تكفّلت بها زميلة لها حين علمت أنها مريضة.. وبحثت الإدارة عن بديل لها يحل محلها، فالمعهد خاص، ومتعاقدة معه - نجاة - بشروط، فلما أخلت بالشروط المتفق عليها كان المعهد في حل من الاتفاق، غير أن زميلتها بادرت بالتقدم إلى المديرة فاخبرتها: أن نجاة مريضة وستتكفّل هي بمحاضراتها حتى تعود عن قريب، وافقت المديرة تحت إلحاح ورجاء الزميلة المتطوعة بسد الفراغ، وانتهى المشكل مع إدارة المعهد حتى تعود.

نجاة ساهمة كعادتها في ركن من المربوعة، لا تقرأ ولا تكتب ولا تفكر بعقل، هي كانت تسرح مع الخيال تناجي طيف منصور الغائب والغير مؤمل عودته إليها مرة أخرى، كما في وسواسها، وفي لمعة خاطر سريعة، مسّت وجدانها مسًّا خفيفا. ثم اختفت، عادت نجاة ساهمة. دقائق قليلة وتسمع رنينا متواصلا على سماعة الهاتف في وسط الدار، تنهض متثاقلة لترد على الهاتف وكانت تظن زميلتها التي حلت محلها في المحاضرات وهي عادة ما تهاتفها في مثل هذا الوقت لتطئمن عليها

ولتسألها هل عاد الغائب بعد أن عرفت قصتها مع منصور.

رفعت السماعة بيد متثاقلة وخاطر مكسور، قالت بصوت خافت: آلو.. جاءها صوت منصور على السماعة في الطرف الآخر.. آلو حبيبتي نجاة: أنا منصور.. لم تتماسك من المفاجأة التي لم تتوقعها سقطت من يدها السماعة وجلست على كرسي قربها في شبه إغماء، وضلت صامطة، والسماعة معلقة بخيطها بين حافة المكتب والأرض، وصوت منصور يلحّ على الجانب الآخر.. آلو.. آلو.. ولا من مجيب، قفل الهاتف وضل يخمّن ماذا في الأمر.. هل كانت المفاجأة أقوى من قدرتها على استيعابها؟ منصور عاد وهو يكلمها الآن على الهاتف؟ أهو فعلا موجود في بيته في المدينة التي هي فيها؟ أحقّاً هي ما زالت حبيبته كما نطقها بعظمة لسانه الآن في السماعة على الطرف الآخر؟.. هل هذا علم أم هو حلم؟

كل هذه الاسئلة المحتمل أن تكون نجاة قد طافت بخاطرها.. كأن منصور يطرحها على نفسه.. عاود الاتصال علّها عادت إلى رشدها فوضعت السماعة في مكانها.. لا من مجيب أيضا في هذه المرة.. قدر الموقف: إنها حتما لم تكن مهيأة لاستقبال فرحة كهذه.. فرحة كانت تنتظرها في كل لحظة، كان أملها ما زال معلقاً بمنصور، فلم سمعت صوته ونطق باسمها - حبيبتي نجاة - كانت الصدمة أقوى منها فانعقد لسانها عن الرد، ومن قال إنها لم يغمى عليها وغابت عن الوعي؟ هذا احتمال وارد، لينتظر دقائق ثم يعاود الاتصال.

بعد وقت قصير، رفع سماعة الهاتف وأدار الرقم، رفعت السماعة

في هذه المرة، وقالت والعبرات تخنقها: حبيبي أنت موجود؟ وما زلت تذكرني؟ أنا نجاة يا منصور.. أصحيحا قلت يا حبيبتي نجاة أم أنا واهمة؟؟ لم تترك له الفرصة للرد على كل سؤال.. عندما توقفت بعد السؤال الأخير، أجابها: لست واهمة يا حبيبتي أنا منصور وموجود هنا في بيتي وصلت توّاً من المطار، ولم أسمع صوتا إلا صوتك الآن، حتى أمي موجودة عند أختي، كما أخبرتني هاتفيا بالأمس.

الظرف الآن لا يسمح بأن نلتقي فالوقت ليلا كما تعرفين وغدا لا أريد أن أملأ عيني إلا بمحياك الجميل.

وهل أنا ما زلت جميلة في نظرك؟

أنت الأجمل من كل النساء، وهذا رأيي من قبل وأنت تعرفينه.

أنا الأجمل في نظرك كما تقول.. من هي إذاً التي في قلبك وهربت إليها دون أن تعلمني ولو بالهاتف؟

لم أهرب لبنت حواء.. وقلبي فيه أنت.. قال في نفسه إنها كذبة بيضاء تجوز في هذا الموقف.. ولم أهرب منك إلى غيرك يا نجاة يا حبيبتي.. إنما هي ظروف إنسانية أجبرتني على أن أسافر على عجل.. وأنا للحق هاتفتك لكنك لم تردي ربما كنت في المعهد.

ـ متى هاتفتني؟ وفي أي يوم؟

ـ على الساعة العاشرة صباحاً قبل دخولي إلى المطار يوم الأحد.

ـ أنت صادق، ولا أريدك الا أن تكون صادقاً.. فعلا كنت في ذلك

الوقت في المدرج، كانت عند المحاضرة الأولى.

- دعينا من ماضي مضى وانقضى، قولي متى أراك غدا.

- صباحا أم مساء؟

- تقولين مساء؟!! لو في إمكانك قبل الفجر.

- تضحك ضحكة خفيفة.. هل هذه لهفة بعد هربه؟

- هذا شوق عاشق متيم بنجاة الظالمة حبيب اسمه منصور.

- وهل أصبحت المظلومة ظالمة؟ من الذي هرب دون كلمة وداع، ولم يكلّف نفسه مجرد سؤال عن حال الحبيبة كما يقول الآن، ألم يكن هناك هاتف، وأنت تعرف رقم هاتفي وتحفظه عن ظهر قلب؟!

- سأشرح لك الظروف التي كانت تحاصرني عندما نلتقي، الآن قولي لي أين؟

- الآن.. أنا عندي محاضرة على الساعة الثانية عشرة واليوم فقط قرّرت أن أذهب لأول محاضرة منذ هربت أنت وأنا منقطعة عن المعهد وكانت زميلة تنوبني في محاضراتي اليوم قررت العودة بعد طول يأس منك.. ألا تعلم أنك غبت عشرين يوما بتمامها وكمالها؟

- سنتحدث في كل شيء.. الآن أين نلتقي يا حبيبتي؟

- حيثما كنا نلتقي في المرات السابقة.. لا أصبحت أتشاءم من المكان.

- أين إذاً؟

ـ في الشارع الموازي أمام عيادة النور.

ـ ستجديني في انتظارك.. سيارتي ليست الأولى، سيارتي اليوم بيضاء اللون دفع رباعي.

ـ طيب.. هل تنوي الهروب إلى الصحراء هذه المرة؟ لن أكون معك.

ـ اخرجي الآن، حالا.. لا تخافي لن أهرب بك الا إلى بيتي عند زواجنا.

ـ لن أطيل معك الكلام أنا خارجة.. أنت رجل مستبد، تقرر وتنفذ. تحكم ولا تشاور ولا تقبل نقضا.

ـ أنا رجل يحبك فقط. هيا أسرعي.. أنا في انتظارك أمام عيادة النور.

كان منصور رجلا لا يعرف كذبا ولا خيانة، ولا حيلة، ولا دهاء، ولا مكراً، علمته النساء كل شي: الخديعة والمراوغة والخيانة والكذب، المكر، والدهاء والحيلة، واحدة لم يتعلمها: الكيدالعظيم.

وهو قادم إلى المكان الذي واعدته فيه نجاة، أخذ يرتب كذبه الذي تعلمه من النساء ، كيف يلبسه لبوس الحق، يختار الأسلوب الذي يعززه، ينتقي العبارات التي تجيزه، والصور البراقة التي يضفيها عليه، يسوقه في شكل قصص وحكايات يخترعها عقله، حوادث ومفارقات عجيبة لم تحدث ينسجها خياله، يقدمها في أشكال يصدقها من يسمعها وخاصة النساء، وهن الهدف المنشود.. اطمأن إلى أكاذيب رتبها تنطلي على من يسمعها وخاصة نجاة التي لها موعد معه، يواجه فيه أسئلة ستحاصره بها قطعا.

التقيا في الموعد والمكان، لم تتأخر إلا قليلاً، حين أطلت من قرب

رأته يومئ لها بيده، وحين وصلت فيه ترجل من السيارة وقابلها بابتسامة عريضة وعينين يشع منهما الفرح، وأخذ لسانه يلهج بالتحية والترحيب، وكلام آخر هو بين الغزل والشوق، جذبها من يدها بسرعة، وفتح الباب من الجهة اليمنى وأجلسها ثم عدّل المقعد ليكون مريحا لها، وخطف منها قبلة يقول: بي ظمأ لا تطفيه إلا هذه. كم أنا مشتاق إليك يا نجاة.. بهتت من فعلته التي لم تتعودها منه في الشارع من قبل، قالت وهي تتلفّت يمينا وشمالا: أنت مجنون.. منصور ماذا فعلت؟ اين عقلك؟ نحن في الشارع.

- نحن في شوق.. وأنا مجنون فعلا.. بحبك.. أنت ليلتي وأنا مجنونك وأخذ مجلسه في المقعد الآخر.

- أنا نجاة وأنت مجنون.. حبيبي اخرج بنا من هذا الحي، الناس بدأت تدبّ والحركة زادت.. غطاؤنا مكشوف، وامرأة ورجل في سيارة يتناجيان أمر يدعو إلى الريبة.

- محبوبة ومحبوب يتناجيان حال تغني له البلابل والعصافير.

وتنطلق السيارة تتهادى غير مسرعة في طريق رئيس طويل خارج المدينة الكبيرة، تكثر فيه الحركة والمرور، يحيط به العمار من الجانبين: قرى وبلدات صغيرة تتناثر بين مدينتهم وأخرى، أقل بناءات وساكنة على بعد مايتي كيلو متر، وليس لهما من هدف مقصود من هذه الجولة الطويلة ذهاباً واياباً ، إلا تفريغاً لشحنة عاطفية، ولو بالحديث حديث الغرام والمناجاة.. كان منصور المتحدث الأكثر، والمتلهف شوقاً إلى

نجاة، ربما كان يغطي على هروبه الغير مبرر ودونما وداع ولا خبر تتلقاه منه نجاة حين غادر فجأة.

أما هي فكانت تسمع أكثر، وتحلل الأقوال، وتقف عند كل كلمة أو جملة يأتي بها منصور، ولا يحسبها أحيانا، بل ربما ساق الجملة أو الكلمة في معنى يناقض سياقها الأول دونما يفطن، فتكون عليه حجة أو دليل تحاجّه به إن أرادت، لكنها لا تريد حسابه أو محاجته، على الأقل في هذا المشوار الطويل، وهذا اللقاء بعد الغيبة التي غابها منصور، وكانت نجاة تكابد فيها آلام الهجر والفراق المفاجئ الذي كان في أشد تعلقها به.

ضلت نجاة صامتة، إلا حين تدعو الضرورة للكلام، كأن تجيب عن سؤال يسأله منصور، أو تطلب هي منه أن يهدي السرعة في أحد المنعطفات أو تسأل عن حال أمه حتى إلى أين هما ذاهبان لم تسأله، كانت توفر أسئلتها وكلامها إلى الوقت المناسب، فهي تكاد أن تنفجر بما في داخلها من استفسارات وأسئلة، ومن وشكوك وهواجس كانت تؤرقها طيلة غيابه، لابد من التخلص منها ليرتاح ضميرها وتهدأ نفسها، وتزول عنها الشكوك والضنون، وتعرف الحقيقة واضحة جلية.. كانت تنتظر فرصة يكف فيها منصور عن الحديث في أشياء كثيرة ومنها بالطبع وله بها وغرامه وحبه الكبير، وفرحته وسعادته الغامرة حين تكون معه، لكنه لم يتطرق إلى الحديث عن غيبته وما عاشه فيها أو شاهده لا من بعيد ولا من قريب التقطت منه جملة قالها وهو يستعرض فرحه وحبّه لها ويطريها ويثني عليها، التقطت جملة، هذه الجملة: كم أنا سعيد حينما تكوني معي.

قالت: أنت سعيد حينما تكون معي؟ هكذا قلت.

ـ نعم.. هل تشكين في ذلك؟

ـ وحينما تكون مع غيري،ألا تكون سعيدًا؟؟

ـ مع غيرك؟! من غيرك؟

ـ غيري؟ ألا تعرفها؟

ـ نجاة.. ماذا تقولين؟ من هي غيرك وأنا اعرفها؟

ـ فلانة.. ألا تعرف فلان؟؟

أسقط في يده، صمت برهة، استنجد بالكذب للتخلص من موقف محرج وضعته فيه، لابد أنها سمعت بطرف من حكايته مع فلانة، تلك المرأة الشؤم الذي يلاحقه.. حتى نجاة التي أحبها ورغب فيها عرفت بقصته معها.

إنك سكت؟ لعل ما اتهمتك به باطلا؟ أنا سمعت ولم أشاهد التقط منها كلمة سمعت، بنى عليها إجابته.. من أخبرها؟ زهرة هي التي تعرف كل شيء، وزهرة تعرف نجاة، لأن المعهد يقع في الحي الذي تسكنه زهرة ، وسبق أن سمع نجاة ترمي زهرة بسوء السمعة.

قال:

لابد أنك سمعت من زهرة، ولك بزهرة معرفة سابقة، ألا تعلمي أن زهرة أسوأ من فلانة التي تتحدثين عنها، ومن عرّفني بزهرة؟ فلانة تلك الرخيصة المبتذلة الساقطة في الحضيض، هل أنا ممّن ينظر إلى هذه

الأشكال مثل فلانة وزهرة ومن في صنفهم؟!

كنت أضنك تترفعي بي عن أمثال هؤلاء، وإن ضنيت هذا الضن، فأنا غير جدير بك ولا بحبك ولن أفكر في الاقتران بك، وسأقطع علاقتي بك من الآن.. أنت المصانة العفيفة الطاهرة. تقارني نفسك بمثل أولئك المائعات الجانحات، وتضعهن منافسات لك؟ أين أنت منهن، وأين أنا؟ هل قلن لك أنني جاريتهن في المراودة أو حتى نويت شيئاً من هذا؟

كانت نجاة وهو يتحدث في احتجاج وينفي التهمة عن نفسه، تحلل كل كلمة يتفوه بها، تسقط بعض الضنون، وتتحفظ على بعض الملاحظات التي قد تدينه إن لم يأت لها بتفسير يقنعها، قالت:

منصور: أنا أربأ بك عن السقوط مع أمثال أولاء، ولا أنت من طينتهن، ولا من مستواك الثقافي والاجتماعي، هن بائعات هوى معروفات بسوء السمعة والفساد، وكل منهن تشير إليها الأصابع في حيّها، هما في الثرى وأنت في الثريا، لا مقارنة ولا تماثل، هن زهرة عارضة الفتنة خاطفة الرجال، وفلانة الساقطة المبتذلة كما وصفتها أنت.

وأنت منصور ملء السمع والبصر واسمك على كم فم ثناء ومدحا.

ـ هذا ما كنت أعتقد أنه قناعتك وحكمك على، لا أن يذهب بك الضن السيء كل مذهب بشأن سمعتى ومستواي، وأنت الأستاذة الدارسة المتمعنة الباحثة عن الحقيقة، أما الآن فقد اطمأن قلبي، وهدأ روعي، نعم روّعت حينما ذكرت لي فلانة واتهمتني بها ليس صراحة ولكن تلميحا، ومعنى ذلك: أن شكوكا تـراودك، حولي وحولها،

والشك بالطبع يقلق ويأكد الإنسان من الداخل حتى تنجلي الحقيقة، والحمد لله أنت الآن تكشفت لك الحقيقة يقيناً، بعدما سمعت منى، ما قلت لك عن سيرة فلانة وصاحبتها زهرة، وأنهما كل واحدة أسوأ من الأخرى، وأنا وإن كانت الظروف قد جمعتني بهما مكرها، وغير راغب في الاختلاط معهما ولا لي رغبة ولا ميل إلى واحدة منهن، ورغم ذلك كنت بريئاً وليس لي فيهن مأرب، فقط هي المجاملة أحيانا ومسائرة الناس قد تضع الإنسان في دائرة الاتهام، والحمد لله أنت الآن تفهمتي موقفي وزال من نفسك كل لبس.

- فلانة التي سيرتها على كل لسان، ويقال إنها كانت تخون زوجها وحتى زهرة أسوأ منها كما قلت، وهي المطلقة اللعوبة وهذه لها الحرية كما تقول، لا رقيب عليها ولا حسيب، وتناست أن المجتمع هو الرقيب عليها وعلى أمثالها من الجانحات، وحساب المجتمع عسيرا، حين تخطئ هي ومن على شاكلتها في حقه، قد يغفر لها زوجها أو يطلقها دون أن يعرف الناس الأسباب، وفي هذه الحالة قد تتوب وتثوب إلى رشدها، أما المجتمع فلا يغفر ولا يسامح، بل يشهّر بها وتصبح كالأجرب يتحاشاه كل الناس.

بدأ منصور يشعر بشيء من الراحة النفسية، حين أصبحت نجاة توجه الاتهامات القريبة من الحقائق - فهي غير متأكدة من صحتها - نحو فلانة وصاحبتها زهرة، وكأنها تبرئه من تهمة الشك، حين سألته ما علاقتك بفلانة في بداية حديثها معه عندما سألت: مع من كنت غيري في هذه الغيبة الطويلة.؟

ساعتها قال هو: مع غيرك؟.. من غيرك؟!

ردت: فلانة.. ألا تعرف فلانة؟!

شعر منصور بالارتياح والطمأنينة، ونجاة تلقي باللوم على فلانة وزهرة ولم تعد تذكره معهن حتى لمجرد معرفة عابرة أو لقاء بالصدفة قد تحدث بين المتساكنين في مدينة واحدة، وحس أن كذبه الذي سرّبه وهو يبرر غيابه لنجاة قد خلصه من بعض الاتهام ولو إلى حين، هنا قاطعها وهي ما زالت تتحدث عنهن باشمئزاز وتحقرهن وتلعن سيرتهن التي يلوكها كل لسان، ثم تضيف: لو أعلم أن لك بهما اتصالا أو علاقة ما في المستقبل: لا أنا ولا أنت رغم انك أغلى علي من روحي .

قاطعها: حبيبتي نجاة: انس ما دار بخلدك سابقا من شك لا أساس له، وفي المستقبل لن تسمعي أنني درت بساحتهما أو ذكرتهما على لساني ما حييت، ولا تجدي مني إلا كل وفاء وإخلاص، فأنت حبيبتي وخطيبتي من الآن وزوجتي عن قريب، فلا تشغلي بالك بالتوافه وما قالته لك زهرة أنا أعرف وعلى وجه اليقين: هي التي ذكرت لك شيئاً عني مع فلانة وربما حملته ما لا يحتمل أو زادت من عندها، ومن وحي خيالها ما أقلقك ونغّص عليك وأرق نومك تجاوزي هذا الموضوع ولا تذكري باطلاً.

ـ حبيبي صدر هذا مني خوفا عليك.. أنت لا تعرف كم أنا أحبك واغير عليك من نسمة الهواء.. أنت أملي وأمانيَّ يا منصور.. أنت روحي، وهل هناك أغلى من الروح، أنت لو تطلب روحي ما بخلت.

ـ دمت لي حبيبة وفيّه مخلصة، وأنت في عيني، أنت حياتي وبلاك العدم.

ـ تسلم لي حياتك.. أين نحن الآن؟ لقد مرت بي قرى وبلدات كأنها في الخيال، وهذه الطرق لم أطرقها من قبل، أين نحن؟ وكم ابتعدنا عن المدينة؟

ـ نحن الآن نبعد عن المدينة بحوالي مايتي كيلو متر وقاربنا أن نصل إلى مدينة أخرى كبيرة، ومر علينا من الوقت ثلاث ساعات .

ـ ياه؟ وطول هذه الطريق ونحن نتحدث في سيرة ساقطات خارجات عن العرف والدين والقانون وعن قيم ومثل المجتمع الفاضلة، كم هو الإنسان أحيانا يشغل نفسه بتوافه الأمور، وبمن لا يستحق مجرد ذكر اسمه.

ـ سامحني حبيبي: هي غيرتي التي ليس في محلها، وأنت أجل وأكرم أن تذكر بما لا يليق بك أو تتهم بالخطأ وسوء الضن.

ـ وأنت عاقلة يا نجاة بنت أصل وأصول ومحتدك كريم، وثقافتك وعلمك ينأي بك عن الخطأ ولا تقولي إلا صوابا.

هذا من كرمك وحسن خلقك، وشكراً على تقديرك لي هذا التقدير الذي أفخر به ويرفع رأسي، تصمت لحظة ثم تقول: ما زلنا نسير في الطريق إلى أين يا حبيبي؟

ـ لا إلى مكان محدد.. هي طريق نسير فيه ثم العودة مع نفس الطريق.. فترة زمنية قضيناها في مصارحة أزالت كل اتهام ولوم، وهذا من جانبي أمر أراح نفسي وطمأن قلبي وأثلج صدري وفرحة لا توصف.

ـ وأنا من جانبي كذلك، طب نفسا يا حبيبي، أنت بعيدا عن كل

شبهة واتهام، فقط نحن النساء ناقصات عقل أحياناً.

ودينا، قالها وضحك فضحكت نجاة وتبدّل جو الكآبة والصمت أحيانا، الهواجس الخفية، تشوش العقل وتقلق النفس.

قال منصور: ما رأي حبيبتي الغالية نجاة في استراحة قصيرة في طريق العودة.. هناك فندق حديث ومطعم نظيف يقدم وجبات شهية، وموقع الفندق في غابة على سفح جبل يقابل البحر، مكان ساحر، وجو هادئ في مكان آمن، نتناول فيه طعام الغذاء ثم نواصل السير نحو المدينة راجعين.

قلت إنه مكان به فندق – ما حاجتنا نحن بالفندق؟ وعندنا متسعا من الوقت والمدينة قريبة، سنصل قبل الليل إن شاء الله.

لا حاجة لنا بالفندق كما قلت، المقصد المطعم نتناول فيه طعام الغذاء، وقهوة أو شاي، ثم نواصل السير وسنصل إلى مدينتنا قبل المغرب، هذا قصدي إذا لم يكن عندك رأي آخر، أنا تحت أمرك.

لا رأي لي هو ما قلت نتناول الغذاء وتستريح أنت قليلا من قيادة السيارة ثم نستأنف المسير، نعم الرأي رأيك.

في منطقة تبعد عن المدينة الكبيرة بمسافة مائة كيلو متر تقريبا، وفي سفح جبل صغير تغطيه الأحراش ويقابل البحر يقع الفندق، وبواسطة طريق معّبد يتفرع من الطريق الرئيس، وصل منصور ونجاة على الساعة الثانية بعد الظهر إلى الفندق، وفي بهو واسع واجهته من جهة البحر زجاجية لا تحجب الرؤيا جلس منصور تقابلة نجاة على طاولة لتناول

طعام الغداء.. هناك قدمت لهما أطباقاً شهية منوعة الأكلات وبعدها الشاي الأخضر، وكان الحديث على الطعام حديث المودة والأماني والاستبشار بالمستقبل السعيد الذي ينتظرهما حين يتم بينهما الزواج.

بكذب يحسبه منصور أبيض، استطاع أن يستل كل سخيمة من نفس نجاة، وما علق بذهنها من توجسات ضنت أنه فعلها مع فلانة وحتى صاحبتها زهرة: زهرة التي أخبرتها بحكاية منصور مع فلانة في حديث معها ذات مرة عابرة، وهي لا تعلم علاقة نجاة بمنصور.. كانا في طريق العودة انطلاقا من الفندق وحتى مشارف المدينة، يتحدثان حصرياً في ترتيبات الزواج، الذي أصر منصور على أن يكون في القريب العاجل، فالفرح: ينهب نهبا كما يقولون، والظروف تستجد بما هو غير متوقع إن أمه كما أخبر نجاة، مريضة بذات القلب، وقد عاودتها أكثر من نوبة في السابق وهي - أمه - أمنيتها أن ترى وحيدها منصور تزوج وأنجب، وافقته نجاة على التعجيل بالزواج، في حدود ثلاثة أسابيع لتتاح لها فرصة كافية من أجل شراء حاجياتها وتجهيز بيتها وما إلى ذلك من متطلبات العرس.

قال منصور:

ـ لا عليك بخصوص تجهيز البيت، هو جاهز من كل شيء أما بخصوص ما يلزمك من حاجيات كالملابس، والحليِّ وما في حكمها، فهذه لا تأخذ منا وقتًا، في خلال ثلاثة أيام نشتري كل شيء، لي معارف في السوق أوصيهم بتحضير ما يلزمك، على أن تسجلي كل ما تحتاجينه

في قائمة حتى لا ننسى شيئا ضروريا، ونخرج أنا وأنت إلى السوق لنختار ما يروق لك.

ـ دمت لي حبيبي، حالا عندما أدخل البيت سأحصر كل متطلباتي وأسجلها في قائمة ونخرج غدا إلى السوق، الأمور ميسّرة إن شاء الله، وحسن النوايا تسهِّل كل شيء.

ـ وهل أخبرت أمك بخطبتي لك من قبل؟

ـ أخبرتها، وكم غمرتها الفرحة وباركت ودعت لنا بالدعوات الصالحات.

ـ بارك الله في عمرها.

ـ وأنت هل أخبرت أمك؟

لم أخبر أمي، لكن أختي الكبيرة علمت مني شيئاً بهذا الخصوص، أنا لم أتعمد إخبارها لا هي ولا أمي، حتى أتأكد وأكون على يقين من أمرنا.

ـ عمّاذا تتأكد! ألم تتيقن من حبي لك بعد ؟! أم ماذا؟

ـ لا ليس هذا، إنما أنت ساعتها لم تخبريني بفسخ الخطبة ولم تقولي لي أنك اخبرت أمك وأقاربك وتمت الموافقة.

ـ أية موافقة التي أنتظرها من أقاربي وأمي؟! أنا الموافقة الأولى والاخيرة، أنا كلمتي في يدي، وأمي تحب ما أحبّه أنا لنفسي، أمي عندما أخبرتها عنك حتى قبل الخطبة، زغردت وتمنّت لي السعادة والهناء معك يا حبيبي.

ـ بارك الله لك فيها من أم راضية عنك وتحب لك كل خير، والآن أنا

سأخبر أمي وأؤكد لأختي عزمي على الزواج قريبا يا عز أنسانة عندي.

لا تتأخر حبيبي، فرحة الأم ورضاؤها كل شيء، وأنت وحيدها تتمنى يوم تفرح بك وترى أولادك تقر بهم عينها.

قبل المغرب وصل منصور ونجاة إلى المدينة، قريبا من بيتها نزلت وسار هو في طريقه إلى وسط المدينة حيث يسكن في بيت ورثه عن والده. دخل البيت وأسرع إلى غرفة استقبال النساء حيث تجلس أمه عادة في مثل ذلك الوقت قبيل المغرب، لم يجدها لابد أنها عند بنتها الوحيدة المتزوجة والتي تكبر منصور بعشر سنوات . هاتف أخته: خديجة أمي عندك؟

جاء بها المختار – ولد أخته – منذ الصباح، ولم يجدك أنسيت أن اليوم هو يوم الجمعة ومن عادتك أن تتغدى معنا البازين، كل يوم جمعة؟، هي هنا ومشغولة عنك، تعالى خذها إلى البيت، وان كنت مشغولا، سيأخذها مختار، وأنت أموجود في البيت؟

طبعاً وأنا أحادثك من هاتفي في البيت.. اسمعي ماما خديجة – يتبسط مع أخته فيناديها ماما – خديجة.. تبلغك السلام نجاة.

- من نجاة ؟! إن شاء الله من الناجين.. نجاة اللي فلّت بها لسانك قبل مرة؟!

- خطيبتي وحبيبتي وزوجتي بعد أيام.. هي نجاة التي فلت بها لساني كما قلت.

- حبيبتي وخطيبتي وقريباً سنتزوج، ولا خبر لنا لا أمك ولا أنا ؟!

ـ أليست هذه أمنيتك وأمي؟

ـ أمنيتي الغالية، وأمك فرحة عمرها، لكنك لا تحسب لنا حسابا ومن قال لك أننا سنرضى على هذه الخطيبة الحبيبة؟

ـ نجاة لا ترضى أنت وأمي عنها ؟! مستحيل، ليس هذا من قلبك.. أنت نفسك باركتيها عندما أخبرتك عنها سابقاً حينما تكلمنا ذات مرة بشأنها، وأذكرك أنك قلت لي نريد أن أرى أولادك.

ـ يا أخي مبروك عليك، وماذا أريد لك أنا وأمك إلاّ ان تبني بيتا وتنجب أولادا.. هذه فرحتنا الكبرى.. تعال الآن حدثنا عنها نجاتك هذه، هي فأل واسمها فأل حسن، وعلى الله الكمال كما في دعوات أمي.. أمي ستطير من الفرحة عندما أخبرها.. تعال حالا.

أنا في طريقي إليكم.. عمي المبروك موجود؟ - صهره - إن كان خارج البيت ناديه.

هو موجود، وسيفرح لك كثيرا.. أنت في مقام ولده الكبير.

ذهب منصور إلى بيت صهره، بيت العائلة كما يطلق عليه منصور، فهو بيت أخته الكبيرة ومبروك بن عم والده ووالدة منصور أغلب الأوقات في بيت بنتها، دخل من الباب الرئيس فاستقبلته أخته بزغرودة نبهت الموجودين ، صهره وأمه وأولاد أخته وبناتها وجميعهم لا يعلمون شيئا عن الموضوع.

قالت أمه حين تفاجأت بخديجة تزغرد الصلا عالنبي محمد وعلى

شن صار عندنا؟ تخاطب بنتها خديجة.

صار الخير قالت خديجة: منصور حب وخطب والعرس قريب.

أخذت أم منصور تزغرد زغاريد متصلة، واحدة بعد الأخرى ودموع الفرح تزرف من عينيها، ثم تقطع الزغاريد فتقول: مبروك على أوليدي إن شاء الله بالعمار وبزينة الدار، والصغار بجاه المختار.

مبروك يستغرب هذا الذي طرأ في بيته فجأة، ولا أحد غيره وزوجته وأمها حتى أولاده الكبار خارج البيت مع أصحابهم في حديقة قريبة من المنزل. خرج من مربوعة كان يجلس فيها يسبح بعد أن أدى فريضة المغرب وجاء إلى وسط الحوش حيث كانت خديجة واقفة وأمها بعد وصلات الزغاريد في انتظار منصور الذي أخبرهم أنه قادم إليهم بعد أن أخبرهم بأمر الخطبة.

مبروك: سمعنا بشائر فرح خير إن شاء الله.. يسأل زوجته خديجة.

فرح كبير يا حاج، منصور خطب.

مبروك عليه..لكن الزغاريد في العرس، وليس في الخطبة.

وتقترب الحاجة أم منصور من صهرها مبروك، وترفع صوتها بزغرودة طويلة، تسكت وتقول مبروك على أوليدي يا حاج.

إن شاء الله ربي أكمل بالخير يا حاجة.. أنا لم يقل لي شيئاً عن هذه الخطبة.. وأنا أحسبه في مقام ولدي علي، على كل حال إن شاء الله من عيلة طيبة.

في الأثناء جاء منصور، بعد أن كان يجلس في الصالة في انتظار

صهره، فلما رآه يتحدث مع والدته، أسرع يسلّم عليه ويقول عمي مبروك باركلي واسمح لي لم أجد فرصة لأخبرك قبل الآن، فالموضوع تم اليوم فقط قبل ساعة من الآن، وللعلم خديجة تعلم بشيء عن الموضوع منذ شهر تقريباً – لم تخبرني.. مبروك يا ولدي، هذه أمنيتنا جميعا، ونحن تحت أمرك في ما تحتاج.

شكرا يا عمي منصور، أنا لا أحتاج إلى شيء وأنت تعرف الله يرحم الوالد وما ترك.

الحاجة ليست للمال فقط.. يا ولدي، أشياء كثيرة لا يغني عنها المال.

أنا أعرف أنك لا تقصِّر في شيء نحوي، أنت في مقام الوالد.

تعال نجلس في الصالة، ومعنا الوالدة أمنا جميعا وخديجة، نتحدث في هذا الأمر.. حدثنا أنت عن عائلة خطيبتك، ونتحدث نحن فيما يجب، أن نعدّه للزفاف وكل ما يتعلق به، وهناك خطوات تسبق الفرح، ربما لا تكون لك عنها فكرة، يجب أن تعلمها ونتعجل في تنفيذها، وكلها جرى بها العرف بين الناس.

ـ أنت الخير والبركة يا عمي مبروك، الاستشارة منك وعليَّ التنفيذ.

ـ كل شيء يتطلب وقت ومن يقوم به، أنا وأنت ومختار ولد أختك يتعاون معنا في بعض الأشياء، وأختك وأمك تذكرنا بما يلزم لنقيم وليمة للمعازيم تليق بنا كعائلة الحاج رمضان الله يرحمه.

ـ كل ما تشير به يحضر إن شاء الله يا عمي مبروك.

ـ ومتى قرّرت أن يكون الفرح إن شاء الله؟

ـ بعد أسبوعين أو ثلاثة على أكثر تقدير.

ـ خديجة أخته تتدخل: الْطف! هذه مدة لا تكفي. وتضيف أمه: حتى لزواق الحوش، أما (الدبش) كل شيء موجود وجديد (الثلاجة): البراد، بس يمكن تبي التغيير.

ـ منصور في شبه احتجاج: كل شيء يغيّر يا أمي، ليس في البيت الآن ما يجب أن يبقى.. الجديد يتطلب الجديد.

ـ اخته تقاطعه: وين تمشي بيه؟ علاش تلوّحه وفيم حاجات قاعدة جديدة، دار النوم ليها عام بس شاريها ما شاء الله زي الفرح والسعد.

ـ أمه: أنا نقول ما تشتري شيء ، كل شيء ما زال باهي.

باهية أيامك يا أمي.. جميع الأشياء القديمة، يقال: تصبح سلبية، والجديد هو الذي تكون فيه طاقة إجابية، ونحن موسع علينا، عندنا ما نشتري به الجديد والحمد لله.

أخته: كل شيء بتلوّحه!؟ حرام.. الفساد ما قال به ربي.

منصور: كل شيء يمشي في وجه الحلال إن شاء الله.. كان من فضل الله ونحن نتفضل بفضل الله.. أنا قررت توزيعه على بعض ضعاف المحال شن قال عمي مبروك؟

مبروك: نعم ما تفعل يا ولدي، لا يزيدك الله إلا خيراً، أنت كوالدك الحاج رمضان رحمة الله عليه، يساعد الناس، يتصدق، ويتفضل من

فضل الله عليه.

أمه: حاجاتك أنت بينك حر فيها.. وأمنياتى لا وداري وما فيها ما تقربها شيء

مبروك: يضحك من بساطتها وتفكيرها، يقول:

أما عين الحاجة خليهملها.

أخته: دارها ما زالت جديدة ونظيفة حتى الستارات راكبات ليهم عام بس ومنيديراتها جدد وبطاطينها، دارها ما تقربهاش.

منصور: يا أمي اسمعيني الله يهديك.. دارك وأمّا عينك اللي تحكي عليهم، جايتائك كنه بنت أصل ومرا متعلمة، من أمس قالت لي كيف بتخليهالك، كل شيء جديد ونظيف: السرير والوسايد والمنادير والستارات، أما لمّا عين ما عادش تفكري فيهم، كل شيء أجيبك لعندك، قالت لي أنا خدّامة أمك قبل ما أكون زوجتك.

إن شاء الله يا كبدي، بالك غير أتسمح في الطريق.

أخته: وشن خصّنا كان هذا صار.

أصير يا خديجة، توّ تشوفيها وتحكمي عليها.

مبروك: هي ما شافتهاش؟.. أماله كيف صارت الخطبة.

خديجة: منه ليه، سمعنا سمع زي ما سمعت أنت.

أمه: إن شاء الله مبروكه مسعودة، ما دام عاجباته إن شاء الله بالعمار.

مبروك: لا واجب تمشو تشوفوا وتخطبوا خطبة رسمية زي الناس.

منصور: من اليوم يا خديجة أنت وأمي أنا نوصلكم لحوشهم.

مبروك: واجب: اتكبروا بالناس هذا عرف زي الناس.

يتفق الجميع على وجوب أن تكون الخطبة رسمية كما جرى بها العرف تذهب نسوة من أهل العريس إلى بيت العروس، للتعرف عليها وعلى أسرتها - طبعا الغرض هو معاينة العروس إذا ما كانت مقبولة من حيث الشكل - والتحدّث في بعض مراسم العرس وتحديد الوقت وأشياء أخرى تكون بنت وقتها.

أخذ منصور أمه وأخته وبنت أخته الصغيرة - خمس سنوات، ذهب بهم أولا إلى بيته، حيث بدّلت أمه لباسها، ارتدت حولي حرير من النوع الرفيع وقلادة ذهبية ماجارات: موضة أيامها، وتعطرت وتهيأت كما يجب أن تكون عليه امرأة تزور أسرة غريبة، وفي نفس الوقت هي خاطبة - أم العريس - كذلك كانت أخته خديجة قد هيأت نفسها على أحسن ما تكون الهيئة من حيث اللباس والحلي.. على عادة النساء عندما يخرجن إلى أغراب، سيما وأن هؤلاء المقصودين هم أنساب في المستقبل، والصغيرة بنت خديجة ألبسوها الجديد، أما منصور فلا شك أنه تهندم وتأنق كعادته فلأول مرة تراه أم العروس ويراها والرؤيا لأول مرة أحيانا تقلب الموازين.

سارت بهم السيارة يقودها منصور فرحا نشوانا يسوقه الشوق إلى الحبيب الغالي، وأمه وأخته تشاركانه الفرح هو يحسب حساباً لحكم حماته أم نجاة عليه، وحساباً آخر لأمه وأخته كيف يكون حكمهما على نجاة.

قبل أن يتحرّك من بيته هاتف نجاة يعلمها أنه قادم مع أمه وأخته لتكون الخطبة رسمية وكما في العرف وعليها أن تخبر أمها وأن تهيئ نفسها، طلبت منه أن يمهلها ساعة، تتهيأ فيها وتمنح أمها فرصة لترتيب بعض الأشياء، بما يليق بالأحباب الأعزاء واستقبالهم، والفرحة بهم.. أضافت نهار مبروك وكبير هذا اليوم يا أغلى الرجال.

قال لها على السماعة من الطرف الآخر: كيف نمت البارحة؟؟

على أحلام لذيذة، وآمال عريضة، وفرح دغدغني وراحة نفسية لا مثيل لها ولم أشعر بها من قبل، كم كانت تلك الرحلة رائعة وكنت الأروع.

وكم كنت أنت: كزهرة غسلها الندى وتفتحت على أشعة الشمس الدافئة.

كان ذلك بفعل حنانك وحضنك الدافئ، وحديث أحلى من العسل المصفى صب في أذني، وطلعة كحَّلت بها عيني، هي طلعتك في ذلك الصباح السعيد الذي لن أنساه طوال عمري، يا عمري المديد السعيد.

هيّا استعدي نحن قادمون.

تأتون على خير نحن في الاستقبال بالفرح.

يصل منصور وأمّه وأخته والصغيرة سعاد، فيجدون نجاة وأمها وجارة لأمها وصاحبة، اسمها سالمة في استقبالهم على باب الدار: (الحوش) تنطلق من الجارة سالمة زغرودة، وتتقدم أم نجاة لتسلّم على أم منصور، سلام النساء: قبلات متبادلة - بالشوارب - وتسلم على

أخته بدورها، كذلك تفعل الجارة ونجاة، وتأخذ نجاة: الصغيرة سعاد من يدها بعد أن تقبلها على وجنتها، وتدخل بها والجميع يتبعنها وهي تلهج بالترحيب بالقادمين وكذلك أمها تكرر الترحيب بعبارات الود والاستبشار والاحتفال بالزائرين: يجلس الجميع في مربوعة النساء التي زينتها نجاة وعطرتها، ولم تنتبه نجاة إلى وضع منصور الذي ضل واقفا في وسط الدار بعد أن دخل النسوة إلى المربوعة، فتأتي إليه وتقوده إلى صالة صغيرة بها مكتبها وكرسيين أمام المكتب وتطلب منه الجلوس في المكان إلى أن تقوم بواجب الضيافة نحو أمه وأخته ثم تعود إليه.

قدمت نجاة مشروبات باردة مع أنواع من الكعك والحلويات: غريبة ومقروض وأنواع أخرى، ثم تبعتها بالقهوة مع طبق من الشكلاته، وقدمت للصغيرة سعاد بنت أخت منصور لعبة على شكل دب أبيض كهدية فرحت بها الصغيرة، وملأت لها يديها بحبات من لاشكلاته وقبلتها مرة أخرى، وهي تقول لأمها والحاضرات: كم هي حلوة سعاد هنيئاً لك بها يا خديجة، هذه سأخذها معي، ما أحلاها من بنيّة.

خديجة: الله أخليك.. تفرحي بأولادك إن شاء الله.. حماتك تقصد أم منصور تحب الأطفال، وكذلك منصور، الله أخليكم لبعضكم.

قالت أم منصور: واش خير من الذرية الصالحة يا بنت.. يعطيكم الله ويبارك.

نجاة: الله يطول عمرك يا حاجة أم السعد وتفرحي بأحفادك.

إن شاء الله يا بنيتي.. يعمّر عليك وعليه ويدوم فرحكم.

أم نجاة: إش خير من الذرية الصالحة يا حاجة زي ما قلت والهناء ربي يهنيهم وهناهم هم هنانا أحنا.

خديجة أخته: كنتك غزاله يا أمي ما شاء الله الزين والعين.

سعاد الصغيرة: ماما.. مرت خالي قنينه.

تهجم نجاة على سعاد الصغيرة فتقبلها قبلات متلاحقة وتقول:

عسل يا أخواتي هالبنية، سلّمها لأمها يا ربي.. قمر منّور.

تكلمت خديجة: أخت منصور وهي المفوضة منه ومن أمها بطلب يد نجاة من أمها فهي – أم نجاة – ولي أمرها الوحيد إذ ليس لها قريب لا من أبيها ولا من أمها، وخديجة تحفظ صيغة الخطبة جمل قصيرة تفيد طلب الفتاة من ولي أمرها للزواج من شاب يذكر اسمه، ويكون الطالب واحد من أفراد أسرته.

قالت خديجة: جينا طالبين راغبين في بنت الحسب والنسب البنت البكر نجاة ابنتكم للزواج من منصور ابننا على سنة الله ورسوله.

أجابت أم نجاة: طلبكم مجاب، ويشرّفنا نسبكم، ونجاة تستحق ابنكم ويستحقها، وعلى بركة الله نقرأ الفاتحة.

قرئت فاتحة الكتاب، اشترك في قراءتها بصوت مسموع الجميع حتى نجاة شاركتهم القراءة، وأمنت: الجارة سالمة بعد القراءة بقولها آمين يا رب العالمين، وتبادلوا جيمعاً التبريكات وتم كل شيء في سلام.

كان الطلب والإيجاب وتمت الخطبة رسميا، طلبت خديجة يد نجاة وقبلت أم نجاة، قرأت الفاتحة وانبعثت الزغاريد، خرجت نجاة وذهبت إلى منصور حيث كان يجلس في مكتبها في ركن من البيت، سلمت عليه وباركت، قال: مبروك عليك.. نحن طبقنا العرف المتبع ومن الآن علينا أن نعّول على تنفيذ مراسم الفرح، خطوة بخطوة لتكتمل سعادتنا يا نجاة ويتم هناؤنا ان شاء الله.

- من الغد يا حبيبي تعالى لنخرج معا إلى السوق، نقضي لوازمنا الشخصية وحاجيات العرس اللازمة.

- نحن سنشتري فقط ما يلزمك أنت من ملابس وحلي وعطور وخصوصيات أخرى تحتاجينها، ثم نعرج على صالة الأثاث لتنتقي ما يعجبك غرفة للنوم، والصالون، وصالة الطعام، ثم ننتقي البسط والستاير والجلسة العربية بوسائدها وملحقاتها، ومن سوق أواني الطبخ تختارين ما تحتاجين، البيت الآن جاهز لاستقبال هذه الأشياء بعد ما تمت الدهانات والديكورات، يجب أن يكون كل شيء جديدا.

- طيب يا حبيبي.. إن شاء الله خلال ثلاثة أيام أو أربع، نكون أنجزنا كل شيء، فقط أريد أن أوصيك بإحضار خيمة نبنيها أمام بيتنا لاستقبال المعازيم يوم الكسوة، نريدك أن ترفع لي راسي أمام صاحباتي وزميلاتي في المعهد، كلهم سيحضروا في هذا اليوم.

- هذا أمر محسوب في الأولويات لا تشغلي بالك ستكون خيمة كبيرة ومجهزة بكل شيء الفرش والكراسي وحتى الثلاجات والتكييف.

ـ دمت لي حبيبي، ودام لك الخير.

ـ والآن نادى خديجة وأمي سنعود أولاد خديجة وزوجها في انتظارنا.

ـ مالك نسيت أهم حاجة؟

ـ نست ؟ ماذا نسيت؟!

ـ الدبلة يا حبيبي.. انظر يدك هل فيها شيء

ـ نسيت والله، الفرحة أنستني أهم شيء كما قلت.

وتنتظرك زغاريد من أمي وأمك وجارتنا سالمة.

هيا.. الدبلة عند خديجة هل نسيت خديجة؟

ـ خديجة لم تنسى وقد تفرجنا عليها يا له من ذوق أنت يا حبيبي.

استثنائي في كل شيئ، حتى البدلة تحفه ومن معدن ثمين.

ـ ليس كثيرا على نجاة الحبيبة الغالية.

ـ حالا سأخبرهم أنك قادم لتلبسني الدبلة، وتلبس أنت.

تخرج نجاة من عنده لتعلن جمع النساء بقدوم الخطيب من أجل مراسم الدبلة. مراسم بسيطة: تجلس الخطيبة على كرسي يقابلها الخطيب ويتبادلان لبس (الدبل) خاتم لها وخاتم له منقوش عليهما الأسماء والتاريخ، وتغطي اللحظة النسوة بالزغاريد تعقبها التهاني والتبريكات ويتم كل شيء، تصبح الخطبة معلنة بشكل مادي ملموس. يعود منصور متشيئاً فرحا مستبشرا، تملأ جوانحه السعادة اللامتناهية. في الطريق قبل أن يصل إلى بيت خديجة قالت أمه:

مبروك على أوليد.. ربي عطاك بنت أصول عيني ما تضرهاش عقل رزين وحشم وفم يضمك أزهى الخاطر أمك راضية عليك.

مبروك عليك أنت يا أمي.. لو نعرف فيها عيب وإلا ما تاخدش رضاك ما تقعدي حتى نهار، لكن أنا عارف ما خصها بشيء.. بنت عيلة.

خديجة: أي والله.. حد الزين، والأصول والتربية.. فرحت بينا قريب رفعتنا مالوطي، وهي تزازي بينا . هي وأمها يا سلام عليهم. وانت ما سمعتشي شن قالت عليها سعاد؟

يلتفت إلى سعاد جالسة في الكرسي الأمامي بجانبه، ويخاطب خديجة.

ـ شن قالت.

ـ شبحت شبحت وقالت: قنينه.. فلقتنا بالضحك، ونجاة قريب طارت ما لفرحة، واش من شكلاطه وحلوى وغير شن تبي سعاد.

أنا عارفها وجه خير اللي اشوفها أحبها، أهي حتى سعاد عجبها ذوق خالها.. سلم بنت أختي عجبتها مرت خالها، غدوه نشري لبنت أختي هدية تمشي معاي تشري اللي تبّي.

ـ هديتها بكرة أستلمتها من نجاة، ما نيش عارفه أمتى شرتهالها؟

شورك أنت قلت لها.

ـ أنا مرة حكيتلها على سعاد وأحنا نتكلموا على الصغار يظهر أنها دارتها في بالها.. شن شرت لها.

ـ دبدوب أبيض ما طلقاته من إيدها.. هوين حطاطه في السيارة

من وراء – تدّه جايتها عركة من خوها أحمد، كان ما ياخذه منها. تتكلم الصغيرة سعاد، وكانت تنصت إلى كل كلمة قالها خالها وأمها فتقول:

نعطيه ضربه على أسنونه ويضحك الجميع.

يدخلون بيت الحاج مبروك وترتفع الزغاريد من جديد تعلن إتمام الخطبة: ويخرج مبروك ومعه ولده الكبير مختار ينظر إلى زوجته خديجة مستفسرا، إن شاء الله تم كل شيء على خير؟

أم: منصور اجيك الخير إن شاء الله تم كل شيء، نسبة مباركة علينا: كلّنا.

مرت أسابيع ثلاثة حدّدها منصور ونجاة استعدادا للفرح، تم شراء الأثاث وضع في مكانه وتمت التجهيزات الأخرى على أكمل وجه، ولم يبق إلا تحديد بدء العرس، ثلاثة أيام اتفق على أن تكون أيام الثلاثاء والأربعاء والخميس: الكسوة الحنة والدخلة على التوالي وزعت البطاقات على المدعويين من صاحبات نجاة وزميلاتها في المعهد وبعض الأقارب، وكذلك منصور دعا أصحابه ومعارفه في الحي، وفي ضواحي المدينة وحتى في القرى المجاورة القريبة، وكان اليوم الأول.. يوم الكسوة، أصدقاء منصور ومعارفه وصهره وأولاده يشتركون في نقل الكسوة: قفاف وساباتات موضوعة فيها الأردية الحريرية واللباس التقليدي، البدلة الكبيرة والصغيرة وملحقاتها وبعض الهدايا الأخرى، ترافقها النساء والأطفال ويقدمها الرجال والأطفال إلى المستقبلات من أهل العروس وصديقاتها ومعارفها المدعوات إلى حفلة الكسوة.

دخل النساء واستقبلن بالزغاريد من أهل العروس وتبعهم

الرجال والشباب يحملون السباتات، في هذا المشهد تتلاقى العيون: النساء يتفحصن الرجال، والرجال يختلسوا النظرات إلى النساء، ترتفع الزغاريد، ويكثر زياط الأطفال، وطرقعة شفاه النساء في السلام على بعضهن البعض وخاصة المتعارفات من قبل.

إحدى صديقات نجاة تهمزها في ظهرها، ونجاة ذاهلة تنظر إلى منصور في انبهار وهو يرتدي بدلة كاملة ذات رباط للعنق حرير بدبوس من ذهب، كأنها لم تره من قبل، تعاود الصديقة تهمز نجاة أين العريس بين هؤلاء الرجال؟ حدّديه لي.

نجاة تقول: ذاك الأطول فيهم، ذا الشعر الأسود الفاحم الذي يرتدي بذلة كاملة ورباط عنق أحمر اللون.. صديقتها تنطق مبهورة يا الله.. وتمطّها بصوت طويل، ثم تقول لنجاة: مذهل هنيئا لك به، يا له من رجل وسيم وأنيق، ويختلط الحابل بالنابل نساء وأطفال عجائز كبيرات بالسن جالسات وواقفات، وتستعرض محتويات الكسوة وتقدم للرجال الشربات والعمبره ثم تنتهي مراسم الكسوة.

هذه أول واحدة من الصديقات والزميلات التي دعتهم نجاة لحضور الكسوة، تنبهر إلى حد الذهول، حين رأت منصور وقد أشارت إليه نجاة، ضلت تعاود النظر إليه، وتسجّل في ذاكرتها صورة ذهنية له، بدأ وسواسها يدق نواقيسه في داخلها.. إنه رجل ليس كباقي الرجال، شخصية آسرة تسلب الإرادة وتأخذ بالعقول، كيف عثرت عليه نجاة،

وليس لها من مؤهلات تميزها عن غيرها، هي متوسطة الجمال، أسرتها متواضعة، ومستواها الاجتماعي عادي، وحتى شهادتها ماجستير فقط، ما هو الملفت فيها دون غيرها ، حتى يقع هذا الرجل المتميز في غرامها، ويخطبها وها هو يقيم لها هذا الحفل الباذخ في أول أيام عرسها ويقدم لها هذه الكسوة الفارقة، التي تحدثت عنها النساء بإعجاب.. وقالت في نفسها: يظهر أنني لم أعرف نجاة على حقيقتها، لعلها نصبت له حبائل النساء الذكيات، وكادت له كيدا عظيما حتى وقع في فخها، يقال وتحت السواهي دواهي، وسوس لها قرينها، الشيطان وأنت ألا تكيد كيدا يا بنت حواء؟ لا هي أذكى منك ولا أجمل، بل أنت أكثر فتنة منها وأملح ولافتة للنظر بقدك المعتدل ومؤهلات أخرى تفتقدها نجاة.

تقولي إنها صديقتك! وأنت متزوجة هذا صحيح لكن ليس بالضرورة أن تخطفيه منها لتتزوجيه وتتخلي عن زوجك، إنه الآن يعجبك فقط، ولا تدري بماذا تجدّ الظروف، لعلها لا تتفاهم معه وينفصلان أو أن زوجك مثلا تأتي عليه ظروف فيطلقك، هي احتمالات يمكن أن تحدث وعلى كل حال، أنت في انتظار ما تأتى به الظروف، وضعت نجوى: - وهذا اسمها - الرجل في راسها، بعد أن وضع فيه شيطانها جملة من احتمالات ووسوسة ضلت تلازمها طيلة أيام عرس صديقتها نجاة، وكانت تأتي إليها كل يوم قبل الجميع، وتضل تترقب منصور الذي عرفت اسمه من نجاة، لعله يأتي إلى بيت نجاة لسبب أو لآخر، أصبح منصورهاجسا يورقها، يطوف بخيالها في النهار والليل، تعيد صورته التي سجلتها

الذاكرة مطبوعة في الذهن كفارس تتمناه كل امرأة.

وجاء منصور ضحى اليوم التالي ليوم الكسوة، يتفقد بيت العروس، ما إذا كانت تنقصهم حاجة، أو أن نجاة تريد شيئا من السوق فهي قد أصبحت لا تستطيع الخروج لتوافد الزائرات المباركات من الزميلات والصديقات، ومنهن نجوى جاءت وقرينها معها تستنجد به علّها تطلب استشارة ما، رأت منصور وهو يقف مع نجاة في حديقة المنزل الصغيرة قريبا من الباب الرئيس، اقتحمت عليهما خلوتهما بحجة تقديم التهنئة لهما قالت:

مبارك عليكما الفرح ، وحياةً هانيئةً أتمناها لكما: أنت يا سيد منصور لايق عليها ونجاة لايقة عليك، دامت لكما السعادة وبالرفاء والبنين.. نجاة صديقتي أتمنى لها كل خير وأن تسعدك وتسعدها.

شكراها في وقت واحد.. قالت لها نجاة، ونتمنى لك كل خير في كنف زوجك السيد صالح، الذي يحبك كما قلت لي ذات مرة وتحبينه.. أرادت نجاة توصيل رسالة إلى منصور - انتظراها أن تنصرف وتتركهما في خلوتهما، فهما في شبه مناجاة، يحتوي كل منهما الآخر بدفء الحنان والمودة وراحة النفس وهما على حافة التلاقي بعد يوم واحد. لكنها لم تنصرف، بل اقتربت أكثر تتزود بنظرة أشمل لهيئة منصور وسيماته ولباسه، وحتى عطره الذي ميزته، إنه من نوع فريد سيما أن نجاة في ذلك اليوم: يوم الحنة لم تضع عطوراً بعد، ملأت عينيها في آخر لحظة قبل أن تنصرف من وجه منصور وركزت في عينيه ثم انسحبت بعدما

أصابها وهي تشعر بسحر سرى في جسدها وغابت في زحام النساء.

قال منصور: أرى في صديقتك شيئا من الفضول.

ـ النساء كلهن فضوليات، وخاصة حين يكون الرجل عريسا لابد لهن من النظر، ليجدن بعد ذلك مدعاة للحديث، واحدة تمدح وأخرى تذم، والمنصفة تقول الحقيقة.

ـ صديقتك جريئة.

ـ هي منفتحة وفضولية أكثر من اللازم.

ـ قلت تحب زوجها ويحبها!

ـ هذا ما قالته، وأصبحت أشك: في قولها الحقيقة.

ـ ما لنا ولها يا حبيبتي.. أنا سأغادر المكان وإن احتجت شيئا هاتفيني.

ـ لا أحتاج إلا إلى طلعتك البهية أتمنى أن تطول هذه الوقفة معي.

ـ حتى لو اقتحمتنا صديقتك؟

ـ لا تشغل بالك بها.

ـ ربما هي المشغولة.

ـ بمن؟!

ـ بك طبعا.. وتبسم.

ـ لا إلا هذه.. لكنهن النساء!

ـ يكدن كيدا عظيما.

- إذا وجدن التواطؤ.

- وهل حبيبك منصور..يتواطأ عليك؟

الله أعلم.

أهذا ضن؟

إن بعض الضن أثم.. أعوذ بالله من الشيطان.. يا حبيبي أنت فوق كل ضن.

عاد منصور إلى بيته حيث يبدأ الأصدقاء والأصحاب والأهل والأجوار في التقاطر عليه للمشاركة في الذهاب إلى بيت العروس من أجل مراسم الحنّة، ودخلت نجاة إلى الصالة، أين يجلس النساء وفيهن صديقاتها وزميلاتها في المعهد يترقبن قدوم الوافدين من أهل العريس عند المغرب لتبدأ حفلة الحنة، وقع نظر نجاة على صديقتها نجوى وهي تتحادث مع زميلة لنجاة حديثا خافتا فيه همس وإشارات تدل على الإعجاب بشيء ما، جاء على خاطر نجاة أن حديث الصديقة مع زميلتها لابد أن يكون بشأن العريس، تأكد لها ذلك حين اقتربت منهما، فتوقفتا عن الحديث، وتغيرت الكلمات: من هامسة إلى مسموعة في شأن آخر بعيدا عن نجاة ومنصور، فقد سمعت صديقتها تقول لمحدثتها: غدا في انتظارك عند المزين، قالت الأخرى على الساعة الخامسة بالضبط.

شوشت تلك الصديقة المخلصة كما في اعتقاد نجاة على مشاعرها الداخلية، فهي الصديقة لم يعجبها اقتحامها منذ وقت خلوتها مع عريسها ثم تلك التلميحات والملاحظات المبطنة التي طرحتها عليهما

والآن هي في حديث هامس مع زميلتها. وحين رأتها تقترب قطعت حديثها وغيرت مجراه وأصبح مسموعاً بعد أن كان همساً.

لكنها وهي العاقلة الواثقة من نفسها، طردت كل هاجس ينغص عليها سعادتها وفرحتها في أيام عرسها .. انصرفت عنهما وأخذت تجامل الموجودات من النساء صاحباتها وصاحبات أمها وجيرانهما، توزع عليهن الأحاديث والابتسامات وتشكرهم على حضورهن، وتتمنّى لغير المتزوجات حظّاً سعيد قائله: عقبالكم، وللمتزوجات تطلب لهم السعادة والهناء وطول العمر، وتقول: أنجوكم في الفرح إن شاء الله، وجاء بعد المغرب وفد من نساء ورجال من بيت العريس إلى بيت العروس للحنة، فرصة أخرى اغتنمتها نجوى، لتغترف هذه المرة غرفة أخرى اكبر من وسامة منصور والتملّي في وجهه الصبوح، وهيئته المتميزة، وطوله الفارع وحضوره الآسر، وكانت تحاول أن تقترب منه لتقول له ولو كلمة عابرة تجد لها مبرّرا ما، لكنها لاحظت نجاة لها بالمرصاد تراقبها عن بعد، وتحاصرها بالنظر أينما تتحرك. ومنصور عرف ما يدور بخلد نجوى، ولاحظ مراقبة نجاة لها، فضل يتغابى يحسب نفسه غافلا عما يجري بينهما: واحدة تراقب الأخرى، ويتعجب في قرارة نفسه، من فطنة النساء وحذرهن، وكيف يقرأن نوايا بعضهن بعضا. وأن لهن ألاعيب ومناورات، لا يعرفها ولا يقدر عليها الرجال.

وكان اليوم الثالث مساء الخميس، حين زفت العروس إلى عريسها جلست نجاة بجانب منصور في سيارته الخاصة المزينة بالأشرطة الملونة

والورود أحاطت بها النساء المشيعات من أهلها وزميلاتها وصديقاتها وانطلقت الزغاريد. كانت نجوى الأقرب إلى منصور، شيعته بنظرة خاصة تحمل معاني ودلالات، ودون إرادة منها مدت يدها تلمس خده الناعم الحليق، التفت هو إلى نجاة يغطي على فعلة نجوى، وجد أخرى تشاغلها بالكلام: موضوعه التهنيئة والتبريك، حمد الله أنها لم تفطن إلى نجوى حين لمست خده، انطلق منصور في أول رتل الزفّة، ترك أثرا في نفس نجوى وحسرة، يعرف أنها لن تنساها، وأنها ملاحقته ولو طال الزمن، كما لاحقته فلانة. في سعادة غامرة وفرح دائم، وسرور لا ينقطع، عاش منصور شهرا كاملا مع نجاة: مدة أجازتها من المعهد بمناسبةزواجها، بعدها عادت هي إلى المعهد، وسافر هو إلى الشمال، حن إلى باولا تلك الشقراء الإيطالية المخلصة له والتي عشقته عشقا لم تعشقه امرأة من قبلها كما كانت تقول لمنصور، ومنصور لمس ذلك قولا صادقا ومشاعراً لم يحس بها من قبل نحو امرأة.

حدثته نفسه لماذا لا يتزوجها وقد وعدها ذلك من قبل؟ صحيح هو متزوج ومنذ شهر فقط من نجاة، وقبلها كان قد تزوج جلبهار في مصر، قصدا أن يكون زواجهما مسيارا وإذا به زواجا شرعيا بشهود ومسجل عن طريق المأذون في دائرة الأحوال المدنية، هكذا أرادته الأقدار عن غير قصد منها ولا منه .. إذاً هو متزوج باثنتين .. لا ضرر، من حقّه كمسلم أن يتزوج بأربعة نساء .. ستكون باولا الثالثة، وله الحق في الرابعة، وجد الرخصة الشرعية.

دخل على باولا في شقتها ليلا، كانت رحلته الداخلية قد تعطّلت أربع ساعات عن موعد الإقلاع، وصل متعبا، كانت المفاجأة بالنسبة لباولا، لم يشعرها كما هي عادته من قبل حين يصل إلى المطار الدولي، في غمرة فرحها به لم تسأله أو لم تجد فرصة لذلك فهي ارتمت في حضنه حينما ظهر عليها فجأة، وضل الاثنان في موقف عاطفي شديد الانفعال قرابة عشر دقائق، بعدها انفصلا وجلسا يتحدثان: قالت باولا: لماذا لم تشعرني بالهاتف كما كنت تفعل في كل مرة؟

ـ عشرات المرات هاتف ولا مجيب.

ـ كيف هذا؟ وأنا لم أخرج من البيت منذ ساعة الظهر.

ـ لا أعلم .. هل أخطأت في الرقم؟ ربما. أليس هو هذا؟ ومد لها وبكارت فيزت، هذا رقم الهاتف .. غريب لم اسمع له رنينا.

ـ ربما الهاتف لا يعمل.

ـ رفعت باولا السماعة .. هو ما قلت .. عليه اللعنة.

ـ ليس هذا المهم .. المهم أننا التقينا، ولم تكوني خارج المدينة كما في المرّة السابقة.

ـ يا حبيبي .. والتقينا بعد أكثر من شهرين كنت أحسبهم بالثواني.

ـ هذا يزيدك شوقا.

ـ وأنت ألم تشتق إليّ؟

ـ ولماذا جئت؟

ـ يا حبيبي .. أنت نبيل، وفارس شهم.

ـ وأنت المحبوبة التي لا أنساها.

قالت باولا الساعة الآن الثانية بعد منتصف الليل، لابد أنك لم تأكل شيئا، ماذا أقدم لك؟

ـ قدمي لي فراشا ليناً يا حبيبتي أنا متعب وفي حاجة إلى النوم.

كان منصور قد بيت النية على أن يعقد على باولا عقدا رسمًيا.

ـ طب نفسا يا حبيبي، وتعالى إلى فراشك خذ كفايتك من النوم لن أوقضك، حتى تستيقظ من تلقاء نفسك.

ونام منصور حتى الصباح نوما عميقاً هاديا لا تزعجه الأحلام، وتمددت باولا بجانبه وقد جافاها النوم، تسرح مع أحلامها والخيال.

في الصباح على مائدة الإفطار قال منصور:

اليوم يتم زواجنا.

ـ زواجنا ؟! وهل نحن غير متزوجين؟ .. ألم نتعاشر معاشرة الأزواج؟!!

ـ أقصد الزواج الرسمي .. زواجا مشهودًا عليه من قبل الناس.

ـ وما لنا والناس؟ إذا كان ما يحدث برضائنا.

الناس هم المجتمع، ونحن جزء منه، وزواج لا يعترف به المجتمع يعتبر خارجا عن عرفه.. المجتمع يعترف بالزواج الرسمي وبعقد وبشهادته.

ـ هذا لا يكون إلا في الكنيسة.

ـ أينما يكون .. فقط يكون بعلم الناس وبشهادتهم.

ـ يا حبيبي هذه أمنيتي.

ـ وأمنيتي أنا.

ـ ما يرضيك، أنا راضية عنه .. أنا بين يديك وطوع أمرك، نفسي وما أملك هو لك .. مرّ بها خاطر: أنها مغادرة الدنيا بعد سنتين كما أكد لها الأطباء .. فقالت ما أملك.

ـ أنا لا أريد إلا نفسك، ولا حاجة لي بما تملكين.

ـ لا أقصد شيئاً يا حبيبي: بما أملك .. أنا نفسي أغلى من كل شيء وعمرنا طويل أن شاء الله.

ـ أرجو أن يكون عمرك أطول من عمري فاذا كانت الأخرى فلن أبقى في هذه البلاد بعدك يوما واحداً.

ـ لا تقل هذا، ودعنا من الخوض في الغيب، الأعمار بيد الله، نفذ ما تريد وكيفما تريد.

ـ اليوم بل من الآن، ولن ننام في فراش واحد بعد اليوم إلاّ ونحن متزوجان، زواجا مشهودا عليه معترفا به ومسجلا في الأحوال المدنية.

ـ حالا أمهلني وقتا قصيرا لأخبر راعي الكنيسة.

قال في نفسه: «اللي في القلب في القلب يا كنيسة» عجّلي أنا في انتظارك، بعد دقائق عادت إليه فرحة، قالت: منصور .. على مسافة كيلو متر واحد من هنا تقع الكنيسة، وأخبرني راعيها أنه في انتظارنا:

- هيا إليه وإلى الكنيسة حالا...

- لنخرج الآن.

- لنحقق رغبتك.

- أليست هي رغبتك؟!

- بل أمنيتي الغالية يا أغلى عليّ من روحي.

وذهب وإياها إلى الكنيسة، وتم زواجهما برعاية البابا في المنطقة، وشهد الشهود، وأعلن زواج منصور من باولا، وعادت وإياه إلى بيتها والفرح يغمرهما والسعادة ترفرف عليهما والحب يملأ قلوبهما.

نسي منصور أو تناسى: أن زواج المسلم بالمشركة: نصرانية أو يهودية لا يجوز إلاّ بشرط إسلامها، والإسلام له شروط، وربما أعزى ذلك الذي فعله إلى النية، والأعمال بالنيات كما يتردد في أقوال الناس، لكن النوايا لا تفيد في أحكام الشرع.

كان منصور عندما يخلد إلى نفسه يمرّ به خاطر .. يقول في نفسه، أنا متزوج من ثلاث ويعدّدهن: جلبهار المصرية التي اتفقت معها على زواج مسيار لكن الأقدار أرادته شرعيا بمأذون وشهود وسجل في دائرة الأحوال المدنية، زواجا رسميا معترفا به من المجتمع وفي السجل المدني ونجاة من بلادي، زواجا لا لبس فيه ولا نية مبيتة، والآن من باولا المسيحية الكاثوليكية، زواجا في الكنيسة، ومن الكنيسة شيء في نفسي، ولا أدري هويّة هذا الزواج: سري؟ لا هو معلن، متعة؟ كان هذا من

قبل، مسياراً؟ لم أتكلّم في هذا مع باولا، عرفي؟ هنا لا يعترفون بالعرفي، شرعي؟ هنا محل الشك .. إذاً فزواجنا أنا وباولا مجهول الهوية، هو زواج والسلام، ثم يأتي على خاطره خاطر آخر: لماذا تتزوج الرابعة؟ وهذا من حقي .. ساعتها تكون زيجاتي، ثلاث منها شرعية لا غبار عليها، وواحدة مشكوك فيها .. هنا تكون الأغلبية المريحة لعلّ ترتاح نفسي.

تقطع عليه باولا خواطره، كانت في إحدى الغرف، ظهرت عليه كطاووس تتبختر في ثوب من الحرير الخالص بأكمام واسعة تغطي اليدين، وله ذيل تسحبه على البساط حيث يجلس منصور في البهو الواسع وقد وضعت على رأسها تاجاً مرصعا بأحجار كريمة وللثوب حزام من الذهب الخالص وفي رجليها حذاء واطي القدم مشغول بالحرير والزخارف والنقوش، لباس أعجبها في أحد المحلات الراقية في مدينة مراش المغربية فاشترته ذات مرة حين كانت في زيارة للمغرب، فاجأت به منصور، وهو غافل يفكر في الزوجة الرابعة، انتبه فجأة وهي تقترب منه، قال: ما هذا؟! أميرة أندولسية مرت من بلاد المغرب، وجاءت إلى هنا؟! ما هذه الروعة، هذا الثوب الجميل، الذي بدّل قوامك وأخفى التفاصيل فأظهر الإغراء، وحرّك الكوامن، طابت النفس به، وسرّ العين .. يا لها من مفاجأة، ويا لك من فينوس للجمال يرفل في أثواب من المغرب.

ضحكت باولا وامتلأت زهوا، ومالت على منصور تقبّله وتقول: هذه قبلات الفرح بمناسبة عقد زواجنا في الكنيسة معمدًا من الراعي (البابا).

أشم فيها رائحة البخور الكنسي وعطور البابا.

هذا ما أردته أنت ياحبيبي .. وكنت عند إرادتك.

أنا أردت ما يريده المجتمع، ونحن بالناس والناس بنا، الأعراف قوانين ودساتير غير مكتوبة.

وها نحن نفذنا ما يريده المجتمع، وطبقنا العرف: دستور الجماعة.

هات مزيدا من القبلات المعطرة بالأجواء المسيحية الكاثوليكية الكنسية، والمعمدَّة من الراعي ، أطال الله عمره.

تضحك باولا وتقول:

أنت تمزج الجد بالهزل، وتضيف منصور: أنا أريد أن أسالك ما معنى الكاثوليكية؟، أنا أعرف أن مسيحية كما قالت لي أمي، ولكن لا أفهم معنى الكاثوليكية.

وهل أنا أعرف أكثر مما تعرفين وأنا المسلم؟ إنما أقول لك عن الكاثوليكية ما علمته من أحد النصارى، هي مذهب من مذاهب المسيحية التي تنسب إلى المسيح عيسى ابن مريم.. مذاهب معروفة أشهرهم: الكاثوليكية والارذوكسية والبروتستانت ومذاهب أخرى غيرها وكلها تعود إلى المسيحية دين عيسى: اليسوع عندكم.

هذا ما لا أعرفه من قبل، عرفته منك وأنت ما هو مذهبك؟. كاثوليك أم. بروتستانت؟

أنا ليس لي أيّاً من هذه المذاهب.. أنا لست مسيحيّاً . أنا مسلم،

ومذهبي مذهب مالك.

وأنا أريد أن يكون مذهبي هو مذهبك، لا أريد أن أخالفك في شيء.

لابد أن تكوني مسلمة إن أردت ذلك.

أنا مسلمة من الآن، ما دمت أنت مسلم.

في هذه الحالة، سنغيّر كل شيء، تعلنين أنت أسلامك وتنطقين بالشهادتين أمام شيخ: رجل يفقه الدين، ونعيد مراسم زواجنا مرة أخرى، أمام الشيخ في نفس الوقت، ولا علاقة لنا بالكنيسة ولا بالراعي، كل شيء يتم في عشر دقائق.

من الآن من فضلك، أين هو الشيخ؟

سنسأل إذا كان في هذه المدينة جامع للمسلمين لابد أن يكون فيه شيخ، نقصده ويتم كل شيء بيسر.

جامع؟ ذلك المكان الذي يؤدي فيه المسلمون الصلاة من يوم الجمعة، كما يؤدي المسيحيون الصلاة في الكنيسة أيام الآحاد؟ يوجد في هذه المدينة أنا أعرف أين يقع، هو قريب من كنيسة القديس أنجلو في وسط المدينة.

نعم هو المكان الذي يؤدي فيه المسلمون الصلاة من يوم الجمعة، لنذهب إليه.

ـ الآن يا حبيبي أن أردت.

ـ الآن نذهب لنعرف أين يقع الجامع، ثم نسأل القيم متى يوجد

الشيخ ونخبره بطلبنا ونحدد موعداً بالخصوص.

ـ هيا بنا أنا أعرف موقع الجامع.

ويذهب منصور وباولا إلى وسط المدينة للوقوف على الجامع تحديدا وللسؤال عن الشيخ وتحديد موعداً لتعلن باولا إسلامها ثم ليعقد لهما الشيخ عقدًا شرعياً للزواج.

تهيئت باولا للخروج مع منصور، وهي في حالة من الفرح والحب لمنصور لا توصف، وبهيئتها التي هي عليها، ذلك الثوب الباذخ، والتاج الفخم، وكل ما كانت تلبسه من مكملات الزينة من حلي ومكياج.

قال منصور: لا ليس بهذه الهيئة المتبرجة، وإنما عليك أن تنزعي كل ما عليك الآن، وان تلبسي لباسا يسترك من رأسك إلى أخمص قدميك، فقط وجهك ويديك بعد الرسغين تضل مكشوفة، وإن سترت حتى اليدين أوجب، ومن الوجه يجب أن تزيلي المساحيق.

ـ كيف أليست هذه زينة؟ ولك أنت!

ـلي وحدي عندما أكون في داري، وليس للأجانب يتفرجون عليها في الشارع والأماكن العامة.

ـ أنا أجهل مثل هذه الأشياء، وعليك أعتمد يجب أن ترشدني إلى ما هو خطأ في الإسلام لأتجنبه.

ـ في الإسلام محرمات ومباحات لابد أن تقاطعي ما هو محرم، ولك المباح، فيه التوسعة والتيسير، وسأبين لك كل شيء.

وخرج منصور وباولا بعد أن نزعت ما كانت تلبسه واستبدلت لباساً أخر ساعدها منصور فيه من حيث شكله وطريقة لبسه، لباس يسترها ولا يظهر منها فتنة ولا إغراء، كانت به سعيدة راضية، رغم غرابته حين ظهرت تعاينه في المرأة، إذ أن منصوراختار لها من ثيابهاما كان واسعا فضفاضا يصل إلى الرجلين.

وغامقاً غير زاهٍ، ولفق معه بعض الشالات وضع واحدا حول رقبتها وآخر ألقاه فوق رأسها، ليس لهما علاقة بلون الفستان ولا بشكله، ولا موضة فكانت تضحك من شكلها فيه، وتقول لمنصور: هكذا يريد الإسلام؟

ـ الإسلام يريد الستر وعدم التبرج.

ـ مرحبا بالستر والإسلام، أنا معك على طول هيا إلى الشيخ.

ـ إلى الجامع أولا، ثم السؤال عن الشيخ، بعدها نحدد موعدا لعقد الزواج.

أفعل ما يطلبه الإسلام، أنا مسلمة وسأفعل ما يؤمر به.

قصد منصور وباولا معه في سيارتها التي لم تقدر أن تقودها وهي بتلك الملابس المعوقة للحركة، فأخذ يقود السيارة، وصلا إلى الجامع سأل عن القيم، وجده خارج المسجد قرب السور المحيط به يجلس على كرسي ويحتسي شاياً أخضر، سلّم عليه، رتب معه كل شيء: غدا بعد صلاة الجمعة، يكون عقد القران، تنطق باولا بالشهادتين أولا لتصبح

مسلمة ثم يتم عقد القران، ويزفها منصور في سيارتها إلى شقتها، وبذلك تكون حلالا عليه كما قال لها.

قالت: غدا نصبح أزواجا؟! واليوم؟ ألم نكن نحن أزواجًا من سنة مضت، ثم من أسبوع تزوجنا في الكنيسة وعمدّنا الراعي، وكان ذلك من تدبيرك وكنت أنا طوع أمرك في كل شيء ؟ والآن نحن لسنا أزواجا؟!

الآن نحن أجانب، أنت أجنبية بالنسبة لي وأنا أجنبي لا يصح لي أن أقربك حتى جلوسنا مع بعض يعتبر خلوة ينهى عنها الإسلام.

وفي النوم، ألا ننام في غرفة واحدة؟!

هذا محظور في الإسلام، من المحرمات.

وغدا عندما يكون زواجنا شرعياً وكما قال به الإسلام ماذا نفعل؟

غدا يكون حلال محللا، زوج وزوجة وكل ما بينهما مباح.

ويتم كل شيء بسهولة وسرعة عند الشيخ.

في أقل من عشر دقائق، وسأدفع لك مهرا.

ـ ماذا تدفع لي؟

ـ مهرا: مبلغا من المال نتفق عليه.

ـ بكم تقدّره؟

حسب الاتفاق من دولار إلى مليون دولار، والناس تقول أقلكن مهراً أكثركن بركة.

ـ أنا أريد أن أكون أكثرهن بركة.

- سأدفع لك مهرك: دولارا واحدا.

- تدفع أو لا تدفع، المهم أن نكون زوجين لا نفترق.

وننام في غرفة واحدة، عندما يتم زواجنا شرعياً عند الشيخ.

بعد صلاة الجمعة في ذلك الجامع الذي يتقاطر عليه المسلمون في تلك المدينة من مدن الشمال الإيطالي ومن القرى والبلدات الصغيرة بجوارها، وبين صلاة الجمعة الجامعة وصلاة العصر، تم زواج منصور وباولا بعد أن نطقت بالشهادتين، كما لقّنها الشيخ.

عاد منصور وباولا إلى بيتها، ومارسا حياتهماكزوجين مسلمين، كانت باولا سعيدة راضية، تفيض فرحًا، وكان منصور في غاية السرور حيث أهتدت إلى الطريق المستقيم، فأسلمت على يديه باولا وأصبحت زوجة مسلمة حلالا عليه، ضلاّ ينعمان مع بعضهما بالحياة الرغدة والعيش الكريم، تنقلا بين كثير من مدن الشمال الإيطالي: جنفيا، وتورينوميلانو وبوقا وليفورنا، وعلى الأدرياتيك ريمني وفنيسيا البندقية على رأسه في الشمال.

وفي مدينتهما: باولا ومنصور: كانت إقامتهما بين شقتها الفاخرة. والفيلا ذات الحديقة الواسعة في حي راقي خارج المدينة التي تملكها أمها، وآلت إلى باولا بحكم الورث، شهران كاملان ومنصور غائب عن زوجته نجاة، التي تركها بعد شهر واحد من زواجهما، قائلا لها: عندي ارتباطات بخصوص أعمالي التجارية لمدة أسبوع أو عشرة أيام على أكثر تقدير وأعود إن شاء الله.

طلبت منه نجاة أن يترك لها عناوينه في البلاد المسافر اليها وهاتفه الذي ستتصل به عليه، أفادها أن لا عنوان ثابت له فهو يتنقل بين مصانع كثيرة في بلدان مختلفة، وليس له رقم هاتف ثابت، إنما هو الذي سيتصل بها عند الضرورة.. وقال أنا على كل حال لا أغيب أكثر من عشرة أيام.

جن جنون نجاة، حين مرت المدة التي حدّدها منصور ولم تتصل بخبر منه. عاشت في دوّامة من الهواجس والأفكار، كلها تدور في الدائرة الأسوأ. هاجس يقول لها: مريض ودخل المستشفى، في المستشفى يمكنه الاتصال.. لماذا لم يتصل، هل هو غائب عن الوعي؟ لعلّه ألم به مرض خطير لا يستطيع معه حراكا، أو أنه في (الكوما): الانعاش الفائق؟ هاجس آخر يقول لها: من يدري، ربما التفت عليه إحداهن، وما أكثرهن كما تسمع في حكايات الناس وأخبارهم، ومنصور بشخصيته الجذابة الساحرة عرضة لهن، هي نفسها وقعت في غرامه بسبب جاذبيته وسحره وشخصيته الآسرة. ومن قال أنه لم يتزوج؟ هو رجل مزاجيًّا ومزواجاً، وسبق أن أخبرها عن زواجه بجلبهار زواجا مسياراً ثم تخلّ عنها لعلّه وجد من تزوجها على شكل آخر من أشكال الزواج: عرفي أو متعة أو حتى في السر؟ استبعدت المرض فهو صحيح معافى لا يشك من علّة، وفي ريعان الشباب، انحسر هاجسها في المرأة، هو تعشقه النساء وفي الشمال كما تسمع هناك المرأة حرّة تفعل ما تشاء: تتزوج بإرادتها، تعشق وتمارس الحياة الجنسية مع من تحب، وتعاشر الرجل الذي يعجبها معاشرة الأزواج، لا يقيدها المجتمع بشيء اسمه العيب

أو يراقبها ويحجر عليها حريتها. منصور، قالت نجاة في نفسها: هو الآن سادر في غيه مع إحداهن ونسى أن عنده زوجة تنتظره، بفارغ الصبر، والآن مرت الأيام العشرة التي قال إنه سيغيبها على أكثر تقدير ولم يأت ولا أتى منه هاتف ولا خبر.

أما منصور فقد سافر مع باولا إلى سويسرا عن طريق البر بواسطة سيارتها الفخمة التي كانا يتناوبان على قيادتها طوال الطريق من مدينتها في وسط الشمال الإيطالي وحتى بيرن عاصمة سويسرا في الوسط الغربي.

اخترقا جبال الألب عبر أنفاق تمتد إلى عشرات الكيلومترات فكانت جديدة على منصور، هناك في أرقى الفنادق أقامت باولا ومنصور أسبوعاً كاملا بدآ به شهر العسل، الذي سيتوزع بين جنيف، وبازل وأخيرا لوقانو في طريق العودة، شهر كانت فيه السعادة ضلا وارفا يظللهما لحظات ودقائق، وساعات وأيام.

ذات مرة كان منصور يستقبل أحد معارفه من بلاده طالب يحضّر دراسة عالية في مجال الهندسة النووية، جاء يزوره حين علم أن منصور موجود في بيرن .. الطالب كان يدرس في جامعة معروفة في بركسل عاصمة بلجيكا على مقربة من الحدود السويسرية، جاء ليلتقي بمنصور صاحبه لمدة ساعات ثم يعود، منصور أصر على أن يتناول معه طعام الغذاء في أحد المطاعم خارج الفندق .. ربما لا يريده أن يرى زوجته .. باولا .. لذلك خرج وإياه إلى شارع قريب وضلا هناك حتى رحل الطالب عايداً إلى بركسل وجاء منصور يبحث عن باولا فوجدها بصحبة شابة أمريكية

جميلة، كانت قد تعرفت عليها أثناء غياب منصور مع صاحبه، استأنست الأمريكية بالإيطالية باولا، إذ وجدتها تتكلم الإنجليزية بطلاقة ، وقد كانت الاثنتان تجلسان في صالة مغلقة دافية تسقط عليها أشعة الشمس من خلال جدرانها الزجاجية الأربعة، بعد ان كانتا في حوض السباحة ذي المياه الساخنة والمغطى بغطاء من بلاستيك مفتوح على الحديقة - حوض السباحة - وتدفئه الشمس حين ينقشع السحاب.

جاء منصور بقامته المهيبة، ولباسه المهندم، وحضور شخصيته وجد باولا في حديث مع الأمريكية التي تعرفت عليها منذ ساعة، نقر على الزجاج الخارجي، فزعت الأمريكية، استفسرت منتبهة بإشارة من عينيها عمن يكون هذا الرجل، قالت باولا: هذا زوجي وأشارت إليه أنها قادمة بعد أن تخرج من فضاء السباحة واستمرت تواصل الحديث مع الأمريكية، سألت الأمريكية من قبيل الفضول: أرى الرجل ذا ملامح شرقية أليس كذلك؟

- نعم هو زوجي منصور من شمال أفريقيا وقد تزوجنا منذ ثلاثة أسابيع ونحن الآن في شهر العسل، بعده سنعود إلى بيتنا في الوسط من الشمال الإيطالي.

قالت الأمريكية: أنا أيضا متزوجة من رجل من أصول قريبة من الشرق، هو يوناني مغترب في أمريكيا منذ خمسين سنة، من كبار رجال الأعمال في سان فرنسيسكو في الغرب الأمريكي، يملك أسطولا بحريا ينقل القمح إلى روسيا البيضاء، وفنلندا ودول إسكندنافيا، وله شركة

كبيرة تعمل في الزراعة والتسويق الزراعي، فهو يملك أيضا آلاف الهكتارات لزراعة القمح في ولاية تكساس.

قالت باولا: هل هو معك الآن؟

ـ موجود معي إلا أنه في شغل شاغل، كل وقته في صالة رجال الأعمال في الفندق، يتابع أعماله من خلال الحاسوب ويستعين بموظفين في الفندق.

ـ أنت لست في إجازة؟

ـ أنا في إجازة دائمة وهو في شغل طوال الوقت، ولا ينام في الليل إلا أربع ساعات، بعد أن يطمئن على كل مكاتبه في كل من سان فرنسيسكو وتكساس وله فروع في كل من النرويج وفي أسلو ولفربول في وفي بريطانيا تتابع البواخر.

ـ قلت مغترب في أمريكا منذ خمسين سنة؟!

ـ نعم هو الآن تجاوز السبعين من العمر ولا زال يعمل كشاب في الثلاثين لا يمل من العمل، ويقول دائما العمل حياتي وسعادتي.

ـ هنيئًا لك به من رجل أعمال ناجح.

ـ لعلك لاحظت الفرق بين عمري وعمره؟!

ـ الفرق واضح، إذا صح ما قلته أنا لم أره، لكن هناك شيوخ في نشاط الشباب.

ـ من حيث النشاط، هو نشط جدا، ورجل أعمال ناجح، لكنه لا

يريح نفسه من العمل طوال اليوم، وهو ثري جدّاً.

لعلّ له أولاد يريد أن يوفر لهم حياة كريمة.

لا أولاد له، هو تزوج قبلي من أسبانية كاثوليكية ولمّا لم تنجب منه انفصلت عنه، ثم تزوج بإنجليزية (بروتستانت) وطلقها، والآن تزوج بي منذ سنتين أنا في عمر حفيدته لو أنجب وأنجب ولده أو بنته.

وأنت ألا تحبين الأولاد؟

سيان عندي، أنجبت أو لم أنجب .. هو غير آبه بالأولاد، يقول: مالي هو أولادي. وأنت ألم تنجبي؟

قلت لك تزوجت منذ ثلاثة أسابيع فقط، وأحب الأولاد كثيرا وقد وعدني زوجي، إن أنجب منه طفلا وطفلة.

ـ يظهر أن زوجك ما زال شابّاً؟

ـ هو في ريعان الشباب لا يكبرني الا بخمس سنوات هو الآن في الثانية والثلاثين من العمر، زوجي طيب ودود وصاحب مروءة وشهامة وأنا أحبه كثيرا وهو يحبني.

ـ هنيئا لك، وأرى أيضا: أنه وسيم وجذاب، لقد ريته معك في الصباح في صالة الإفطار، وأنيق كما يبدو في ملبسه.

ـ هو محط أنظار النساء، لكنه مخلص لي صادق وفي وإنسان حنون.

ـ لقد أطلنا الحديث وزوجك لابد ينتظرك على الغداء.

ـ لا هو أخذ طعام الغداء مع صاحب له خارج الفندق، أخبرني قبل

قليل، لكنه ينتظرني على الشاي، نحن دايما نجلس بعد الغداء في التراس المقابل للشمس في البار الذي يقع في الطابق العاشر، وأنا أعرض عليك أن تشاركينا الشاي بعد الغداء إن لم يكن عندك مانعا.

ـ وأنا أيضا أسكن في الجناح الشرقي من الفندق في الطابق التاسع، سأوافيكم هناك بعد الغداء، إلى اللقاء.

ـ اتفقنا وإلى اللقاء.

طلبت باولا غداءها في الجناح، واستراحت قليلا في الفراش، كان منصور يشاهد برنامجا تلفزيونيا عن الأحياء البرية في أدغال أفريقيا السوداء. بعد نهاية البرنامج، التفت منصور إلى باولا قائلا لها هيا إلى جلسة الشاي إن لم تكوني ترغبي في مزيد من الراحة.

ـ لا أنا أخذت كفايتي من الاستلقاء، هيا بنا، وذكرتني عندي موعد مع صاحبة جديدة هناك في التراس لنشرب الشاي معاً.

ـ من هي هذه الصاحبة الجديدة؟ يظهر أنك لم تستفيدي من درسك مع جوفانا، يا باولا أنت طيبةوسرعان ما تثقين في النساء، إن في النساء أفاعي ذوات خطر.

ـ لا هذه شابة طيبة في سني أو أكبر مني قليلا، هي من أمريكا جاءت مع زوجها هي في إجازة وراحة وهو في عمل، رجل قالت إنه يكبرها بأربعين سنة تقريباً.

ـ لا بأس ما دمت أنت التي عرضت عليها أن تشرب معنا الشاي،

ولا توسعي معها علاقاتك كثيرا، ولا تعطيها كل أسرارك، أنتم النساء لا تحتفظون بأسراركن، ولا راحة لكن إلا حين تتخلصون منها.

هي شابة طيبة .. لقد جلست معها في استراحة المسبح قرابة ساعة كانت مؤدبة وفرحت كثيرا حين وجدتني أتكلم الإنجليزية مثلها تقريبا، وليس بها طمع في مال كما هو حال جوفانا، هي غنية بمالها وزوجها من أثرياء العالم.

- لعلها كما تقولين، وفي الناس الطيب والخبيث، والحكم على الناس دون معرفة رجم بالغيب، لا بأس ما دمت مرتاحة لها، وتؤنسك حينما أخرج أنا في بعض المرات .. هيا نسبقها ما دامت هي في ضيافتنا.

جلس منصور وزوجته باولا في التراس الذي يقابل أشعة الشمس الدافية بعد العصر، ولم يطلبا شيئاً من البار القريب انتظارا للسيدة الأمريكية، جاءت شابة جميلة في عمر باولا تقريبا، كانت تلبس (جين): سروالا وسترة وتربط حول رقبتها إشارب حريري خفيف من لون الجين وتنتعل كعبا متوسط العلو وفي يدها حقيبة صغيرة من جلد ثعبان، قامت باولا ترحب بها وقام منصور، سلم عليها وسلمت من بعيد، ليس مصافحة باليد وإنما إشارة بانحناءة خفيفة من منصور .. وهو فارع الطول .. وإماءة منها برأسها، ثم جلسوا جميعا، والأمريكية ومنصور كل منهما يتهيّب الآخر باعتبارها لأول مرة يجلسان معا. أما باولا فأخذت تكسر حاجز الكلفة والتهيب وتقدم صاحبتها لزوجها،

قائلة: ميري صاحبتي التي حدثتك عنها وقد جلسنا مع بعض في ضحى اليوم حين خرجنا من حمام السباحة.

أومأ منصور برأسه وهو جالس يرحب بها ويبسط وجهه قائلا: أهلا بصاحبتك الشابة الجميلة، والتي يبدو أنها في عمرك أو أصغر منك بأعوام قليلة وهنيئا لك بصحبتها.

قالت الأمريكية: لا أعتقد أنني أصغر من السيدة باولا، أنا من مواليد ... عمري الآن سبع وعشرون سنة.

باولا: إذاً نحن في عمر واحد وأنا من مواليد ... وعمري أيضا سبع وعشرون سنة. منصور يقول: وأنا أكبركم سنا، أنا من مواليد ... وعمري الآن خمس وثلاثون سنة.

كانت جلسة فيها تبسّط واستئناس من جانب الأمريكية، وحميمية واحتفاء من جانب باولا بظيفتها التي ارتاحت لها ولمست منها كل لطف ومودة، أما منصور فضل محايدا، يرقب الموقف بحذر، ويحرس على ألا يبدو منه شيئاً تجاه الأمريكية، كنظرة فاحصة متأملة لجمالها وشبابها، أو لفتة تنم عن إعجاب، أو كلمة تدل على استحسان أو صواب تعليقا على ما تقوله وما تبديه من آراء - وهي كانت متحدثة عن علم وثقافة ومعرفة - كان يجامل زوجته وصاحبتها بالصمت والرزانة والهدوء والرضا التام، لا يضحك إلا تبسماً ولا يتكلم إلا عندما يجيب عن سؤال، أما زوجته فقد كانت فرحة بصاحبتها، تبجلها وتقدرها وتعجب بجمالها وثقافتها، وتثني عليها أمام زوجها: جمالا

وأخلاقا ومعرفة حتى أحرجتها.

التفتت الأمريكية ميري إلى منصور قائلة:

- السيدة باولا زوجتك امرأة فاضلة خلوقة، وطيبة إلى درجة قد تفسد عليها طيبتها، مع آخرين حياتها في المستقبل.

- هي هكذا دائما، تربت على الفضيلة، وحسن النوايا في الناس جميعا، طيبة كما قلت إلى درجة قد تجني عليها في حياتها.

قالت باولا: أنا أفترض في الناس جميعا الخير والحب والمودة ولا شيء سوى ذلك.

ميري: والناس ليسوا سواسية: فيهم الأشرار وأصحاب النوايا السيئة ومنهم النهازون للفرص، وفيهم الخبيث والطيب.

منصور: قلت صوابا، الناس ليسوا سواء.

باولا: أنا لن ألتقي ان شاء الله إلا بالصالحين منهم.

منصور: وماذا كان حالك مع جوفانا زميلتك في الدراسة وصديقة عمرك كما كنت تقولين؟

- تلك كانت غلطتي التي لن تتكرر.

- أرجو ذلك.

قالت ميري: ماذا فعلت بك هذه التي قال عنها زوجك كانت صديقتك.؟

- تلك حكاية طويلة: أبتزتني وشرعت في خيانتي.

ـ كيف هي صديقتك وهي بهذا الخلق السيئ؟

ـ كانت ذات ملمس ناعم.

تلك هي الأفعى: الملمس الناعم والسم الزعاف.

منصور: أصبت الوصف والله: كانت حية رقطاء.

وباولا حسنة النوايا. تثق في الناس جميعا.

باولا: خسرت هي .. خرجت مطرودة تشيعها اللعنات.

ميري: لكنها كادت أن تصيبك في مقتل كما ذكرت، شروعها في خيانتك.

تلتفت باولا إلى منصور وتقول: ومنصور شاهد على ذلك..

يلوذ منصور بالصمت وهو محرج، يخاف أن تفصح باولا عن كل شيء، لكن باولا أدركت سبق لسانها، فقالت لولا منصور منعني منها لأنشبت فيها أظافري

ميري: كما قلت لك يا باولا أنت إنسانة طيبة تفترضين حسن النية في الجميع وهذا ليس بصواب، الدنيا مليئة بالأشرار وأهل السوء.

قال منصور: اسمعي إلى ما تقوله ميري: إنها صديقة نصوح، وأرى فيها كل الخير لك، وأنت مرتاحة لها فلتكن صديقتك، ولكما لغتكما المشتركة وهذا عامل آخر يقربكما أكثر.. أنت يا باولا طيبة والله قيض لك الطيب.

ميري: أشكرك على هذا الثناء والضن الحسن وسوف لا تجد مني باولا إلا ما يسرها. وهنيئا لك بها زوجة جميلة ومخلصة ودودة.

باولا: وأنا أشكرك بدوري .. أنت يا ميري رائعة جميلة.

ـ وأنت الست جميلة؟!

ـ أنت أجمل مني.

ـ ليحكم بيننا نمصور.

ـ أنتما كل واحدة أجمل من الأخرى.

ميري: ربما تخلصت من الإحراج؟!

ـ أنصفت والله وحكمت فعدلت.

ميري: أنتما زوجان مثاليان، ومتماثلان أيضا، هي: الجمال والطيبة وأنت: الشهامة والرجولة والوسامة والفطنة والخلق الكريم، مرة أخرى هنيئاً لكما. يتكلم منصور فيقول:

وأنت يا ميري لماذا لا نرى زوجك في صحبتك؟ منذ ثلاثة أيام وأنا أراك وحدك، حتى في المطعم كنت بمفردك وأمس رأيتك في البار جالسة في ركن منه وبهذا اللباس (الجين) إن لم تخني الذاكرة.

ما قلته حقا .. وهذا الجين - أنت قوي الملاحظة .. أفضله على كل لباس.

ـ هو: لباس شبابي حر أو متحرر من كل قيود المكملات، كما في حال الفساتين والبدلات وغيرها التي تتطلب التنسيق والموضة وما إليها.

ـ أنا هكذا في هذا اللباس أشعر بالحرية وعدم التقيد بالواجب واللازم وما في معناه.

قالت باولا: هو جميل عليك وأنت بهذا القوام الرشيق.

ـ لعل هذا ما لم يلاحظه منصور.

ـ من قال ذلك؟ لاحظت أنك خجولة في مرة سابقة وأنك لا تحبين الإطراء، هذا من جهة ومن جهة أخرى حتى لا أثير غيرة باولا. ضحكوا جميعاً.

ميري: ليس هناك .. من امرأة لا تحب إطراءً من رجل، أما من ناحية باولا فهي: أختي وصديقتي من الآن ولا أضن أنها تغير مني عليك فأنت زوج صاحبتي وأنا لن أكون خائنة كصاحبتها التي حدثتني عنها.

عرف منصور: أن زوجته حدثتها بحكاية جوفانا معه فأصبح في دائرة اتهام بالنسبة لميري، ولكنه لم يستبعد أن يكون في دائرة اهتمامها أيضاً، فهي ميري لاحظ عليها اختلاس النظر اليه، وأنها تبحث عن شيء فيه ولا تتبيّنه: سر جاذبيته منذ أن جلست معها تبحث عنه، ولم تهتدي إليه، لأنها في وجود زوجته التي أصبحت صديقتها في وقت وجيز، لا تحقق فيه النظر طويلا، وتضل دائما تتوجس من مراقبة باولا لها ولو من طرف خفي، وباولا في الحقيقة خالية البال من كل ما تفكر فيه ميري، فهي - باولا - طيبة وتفترض الطيبة في الناس جميعا، وهي في هذا الحال غرّة وساذجة.

قال منصور: سيدة ميري، هل زوجك مشغول عنك دائما؟

ـ نعم هو مشغول طوال الوقت، لا ينفك عن العمل في ملاحقة أعماله، المتعددة في أنحاء العالم من أمريكا إلى روسيا ومابينهما أوربا بكاملها، وله أعمال تتعلق بالنقل البحري مع الشرق الأقصى: الصين

واليابان وفي أفريقيا والشرق الأوسط.

ـ ولك حق عليه ما دمت زوجته.

ـ هو في الحقيقة كريم معي، لا يبخل علي بالمال مهما كان المبلغ.

ـ وهل المال كل شيء في حياة الإنسان؟ خاصة وأنت الشابة المقبلة على الحياة، ولك هذا الفراغ الذي لا يسدّه المال.؟

ـ في الحقيقة فراغ قاتل، وانا في حالات كثيرة أضيق ذرعا بحياتي الفارغة ولكن ألوذ بالصبر، أنا لا تعجبني حياة زوجي وهو يبالغ في ملاحقة العمل ويقضي فيه ثلاثة أرباع اليوم، وليس له منه فكاكا إلا حين الطعام والنوم ثم هو ثري جدا ويحسب من أكبر أثريا العالم ولا ولد له.

قالت: باولا: لبعض الناس مذاهب يعشقونها ويبالغون.

ميري: هو ما قلت أنا مثلا كما لاحظ منصور أعشق من اللباس الجين الأزرق ولا أهتم بالمال إلا بما يكفي للحياة المتوسطة. لا أحب البذخ والرفاهية الزايدة عن الحد.

منصور: خير الأمور الوسط.. والثراء المبالغ فيه كما قلت وخاصة لمن ليس له ولد، يعتبر غير صواب إن لم يكن عدم حكمة.

ـ العمل مطلوب من كل إنسان قادر، والحياة لا تستقيم إلا بالعمل الشريف، الذي يسهم في التنمية والدخل القومي، ولخزينة الدولة فيه نصيب عايد من الضرائب والأداءات الأخرى، حسب النظم التي تتخذها كل دولة والعمل واجب انساني وقومي، قالت ميري.

قال منصور: هذا صواب، على ألا تكون المبالغة، كما يفعل زوجك، فهو يحرم نفسه من متع الحياة المباحة، وكما قلت هو قد تجاوز السبعين من العمر، وهذه سن الراحة والهدوء، وكان عليه أن يتقاعد منذ عشر سنوات، ويخرج في سياحات حول العالم، يتعرف على الشعوب والبلدان ويأخذ حظه من الرفاهية ولذايذ العيش وهو القادر ماديّا.

ـ للناس في ما يعشقون مذاهب كما قالت باولا، وهو عشقه العمل.

ـ العمل في حدود، والساعات محدودة، ولفترة من العمر قبل سن التقاعد...

قال منصور.

ميري: هو يعمل ست عشرة ساعة في اليوم وأحيانا أكثر من ذلك.

باولا: يعمل ثمانية ساعات له وثمانية أخرى نيابة عنك.

ميري: طلبت منه أن أساعده في بعض الأعمال وخاصة في أعمال السكرتارية.

لكنه رفض قال أنت سكرتيرة خاصة لي حين أكون في البيت، ونحن لا نعيش في البيت إلا ثلاثة أو أربعة أيام في الشهر حين نكون في سان فرنسيسكو وبقية الأيام في الفنادق، كل مرة في بلد من أمريكا إلى الصين واليابان ومن البرازيل إلى فنلنده والنرويج وغيرها من بلاد الدنيا، نحن على سفر دائما.

قال منصور: هذا بالنسبة لك سياحة وترفيه، ومشقة وإرهاق له في هذا العمر.

صحيح ما تقول، لكنه يقول لي دائما: إن راحتي في العمل وتحقيق النجاحات في المشاريع، وله مشاريع منوعة من التجارة إلى النقل البحري وإلى الزراعة والتسويق الزراعي وحتى المضاربات في البورصة، هو رجل أعمال ممتاز.

تقطع سياق الحديث: باولا فتقول: منصور علينا أن نستعد أولا: الذهاب إلى المطعم ثم بعد ذلك إلى السهرة في ملهى الفجر في الدور العلوي من الفندق، هناك الليلة برنامج حافل.

- ومعنا صديقتك السيدة ميري.

- بالطبع هي لن تفارقنا ما دمنا في هذا الفندق.

- أنا شاكرة لكما دعوتكما لي، ولو لم تفعلوا لفرضت عليكم وجودي فرضا، أنتم من هذه الساعة جماعتي التي لن أفارقها.

منصور: إذا افتقدك زوجك، ألا يكون هناك حرج؟

لا حرج، هو إذا لم يجدني في الجناح يذهب إلى المطعم يأخذ وجبته ويعود ، يضل في اتصالات مع مكاتبه في الشرق الأقصى، الصين واليابان وماليزيا وأندونسيا، حين يكون الليل هنا وعندهم النهار، فينجز نصيباً من العمل ثم يهجع قبيل الفجر بقليل.

باولا: وعندما تعودين بعده، ماذا تفعلين؟

أرتدي ملابس النوم، وأنام في الغرفة الثانية حتى لا أزعجه فهو ينهض في الصباح الباكر ويذهب رأسا إلى العمل، ويتناول طعام

الإفطار في المكتب، أما أنا فلا أستيقض من النوم قبل الثانية عشرة.

منصور: كيف تقضين الفائض من الوقت وأنت لا تعملين؟

ـ أغلب وقتي أقضيه في القراءة، وأنا لا أدمن السهر ولا الشراب.

باولا: الليلة ستسهرين معنا ولا تشربي، نحن نسهر ولا نشرب.

ـ أنا الليلة ظيفة عليكما وسأفعل ما تفعلان.. لكن لماذا لا تشربان؟

ـ كنا ندمن السهر والشراب منذ أسبوع واحد مضى.

ـ والآن ماذا طرأ؟

ـ أقلعنا عنه فهو ضار بالصحة وخاصة لمن يدمنه.

وماذا في هذا من حرج؟

ـ والشراب حرام على المسلمين، الدين يحرمه يضيف منصور: ولحم الخنزير.

ميري: أنا هذا لا أقربه، لا أستثيغه، ويقال إنه غير صحي، والشراب لا أكثر منه.

منصور: لو أقلعت عنه أحسن، الشراب أيضا فيه ضرر.

انا لا أتعاطاه إلا على الوجبات، فقط في الحفلات، وفي بعض السهرات الخاصة، وفي الغالب مجاملة للرفاق والأصحاب.

باولا: عند أغلب الناس هو من الغذاء وخاصة النبيذ بأنواعه.

منصور: الشراب في البلاد الباردة يعتبر ضرورة.

ميري: في كل الأحوال: المسلمون سلموا من ضرره.

منصور: إذا التزموا، بعضهم لا ينتهون، هم عصاة حتى يقلعوا

باولا: هيا بنا، طال حديثنا عن الخمر الحرام.

منصور: نحن سنصعد إلى جناحنا لنغير ملابسنا.

باولا: فعلا لأننا سنذهب رأسا إلى الملهى بعد العشاء.

ميري: أما أنا فلن أغير هذا الجين الأزرق.

كانت صحبة ميري لباولا ومنصور لا تنقطع طيلة إقامتهما في بيرن، وعندما غادراها إلى جنيف، طلبت منهما عنوان الفندق الذي سينزلان فيه، علّها تلحق بهما، بعدما غادر منصوروباولا الفندق ودعتهما حتى ركبا السيارة ثم عادت قلقة فاقدة أنسهما والحديث معهما ضلت في بهو الفندق دقائق معدودة، ثم صعدت إلى جناحها، جلست قليلا في الصالون، هاتفت زوجها المنهمك في العمل خارج الفندق، قالت له: جون صاحبتي سافرت إلى جنيف، وأنا بعدها أشعر بالوحدة والفراغ. قال لها: ونحن مسافران غدا إلى هلسنكي لمدة أسبوع واحد، عندي هناك بعض الأعمال ثم نعود إلى زيورخ لمدة يومين بعدها سنرحل إلى نيروبي في أفريقيا هناك ستجدين فرجة جميلة.

جون ما رأيك ما دمت مسافرا إلى هلسنكي: أن الحق أنا بصاحبتي في جنيف حتى تعود إلى زيورخ هناك نلتقي وبعدها نرى ما سيكون؟

لا مانع، ما دمت ترتاحين مع صاحبتك وزوجها، هم أناس طيبون

على ما أرى .. احجزي جناحا بجانبيهما، وارسلي لي بعنوان الفندق لأسدد الفواتير - رحلة سعيدة.

باي جون قالتها فرحة وجلست تنتظر هاتف صاحبتها من جنيف، أخذت تقرأ رواية (عمال البحر) لفكتور هيجو تطرد الملل استرسلت في القراءة بشغف مع أحداث الرواية، حتى رن الهاتف، ردت على الطرف الآخر، كانت المتحدّثة باولا، كتبت منها عنوان الفندق، ثم قالت لها: أنا لاحقة بكما حالا، ستأخذني سيارة الفندق إليكما على جناح السرعة .. باولا رتبي لي الحجز، جناحا بجانبكما. هكذا طلب مني زوجي.

ستجدين كل شيء جاهزا، نحن أستقبالك، لا تتأخري.

على مائدة الطعام في الفندق الفخم اجتمع الثلاثة: باولا وزوجها منصور، وميري زوجة جون المسافر إلى هلسنكي.

ضل الثلاثة في حياة مشتركة طوال الوقت في السهرات وعلى مائدة الطعام، وفي الجولات الميدانية في معالم المدينة، لا يفترقون إلا حين أوقات الراحة والنوم، تعلقت باولا بميري كثيراً وتعلقت بهما ميري، وضل منصور يرقب الموقف على الحياد في الظاهر، وباطنا هو معجب بميري، هي شابة وجميلة فاقدة لكل اهتمام وحنان، ومودة وحب، كان يشفق عليها ويقدّر تضحياتها، يواسيها بينه وبين نفسه، وخاطره يقول له: لو تستطيع مساعدتها.

باولا أصبحت تحب ميري حبا كبيراً، تعلّق قلبها بها، وارتاحت إليها نفسها، بل أصبحت تؤثرها على نفسها، وتتمنى أن تضحى في

سبيلها بكل مرتخص وغال. باولا على بالها دائما مرضها الخطير، الذي تعلمه واتفق بشأنه الأطباء ومعاهد الأبحاث السرطانية ولا يعلمه زوجها منصور، هي تحب منصور حبا ملك عليها نفسها، وكم من مرة قالت له: أنت روحي، بل أنت أغلى من روحي، وروحي فداء لك .. الأطباء قالوا لها: لا تعيشي أكثر من سنتين، هذا قدر الله، وهي مؤمنة بقدره. جاء على خاطرها - باولا - لماذا لا تضحي في سبيل أغلى إنسان في الوجود: منصور زوجها الذي قالت له: روحي فداؤك .. تشجعه على أن يقترب من ميري وتشجع ميري أيضا على أن تتعلق بمنصور، وقد لاحظت عليها الاهتمام به باختلاسها النظرات إليه، والبشاشة في وجهه، وإطراءه في الثناء عليه في حديثه وهندامه وتأنقه، وذات مرة قالت - لباولا - زوجك ساحر وجذّاب، هو نموذج للرجل الذي تطمع إليه المرأة هنيئاً لك به - على سبيل أنها محظوظة - وكم من مرة سألتها عن حياتها معه تحوم حوله من بعيد. كانت باولا تقلّب هذه الأفكار في رأسها وهي متيقنة أن ميري معجبة بمنصور إلا صداقتها معها تمنعها أن تبوح، ومنصور لم تتأكد من ميله إلى ميري، هو شديد الاحتراس، ويخاف أن يجرح باولا، ولو بكلمة أو لفتة اهتمام بميري خارج نطاق الاحترام والتقدير.

قالت باولا في نفسها: أنا مفارقة الحياة بعد سنتين لامحالة، وسيضل منصور حبيبي في هذه الدنيا ما قدر له أن يعيش، عمرا طويلا إن شاء الله والأعمار بيد الله. لن أترك منصور لجوفانا تلك الحاقدة الساقطة

الطاعة وقد لَّمحت لي حين أشتد بيننا النزاع في ذلك اليوم: ستستحوذ عليه بعدي وهي فاعلة لا محالة أذا مكنتها الظروف، لا لن يكون هذا.. أنا لا أختار له بعدي إلاّ ميري: طيبة وعاقلة وجميلة وأرى أنها تبادلني حبا بحب، سأكافيها على مشاعرها الودودة نحوي، وسأمهد لها الطريق إلى منصور لابد من تشجيع كل منهما للاقتراب من الآخر، سأنزع من نفسي الغيرة، هي تستحق الأثرة، وحبيبي يستحقها، أنا أريد أن يهنأ بالاً بعدي ولا يفكر في جوفانا أو غيرها من النساء منصور يستحق كل خير وأنا من سيقدم له الخير: ميري هدية غالية أهديها إليه، سيذكرني بها مدى حياته، قرّرت باولا هذا القرار ولم يبق إلا أن تبدأ في تمهيد الطريق بين ميري ومنصور خطوة خطوة.

قضت باولا ومنصور الأسبوع الأول من شهر العسل في بيرن، وحلّ الأسبوع الثاني الذي سيكون في جنيف كما في البرنامج، ذات صباح، وبعد طعام الإفطار، وكانت معهما ميري أخبراها أنهما ذاهبان إلى جنيف لقضاء اسبوع آخر، وتمنت لها باولا إقامة سعيدة حتى تعود إلى بلادها، أضافت: كنت أتمنى لو تسمح ظروفك وزوجك، لمرافقتنا إلى جنيف، لقد أصبحت جزءا منا، يصعب علينا فراقك، وأنت وحيدة وزوجك مشغول عنك.

قالت ميري: وأنا أيضاً أصبحت متعلقة بكما، وصحبتكما كانت راحة لي وسعادة لا توصف، أحسنتما إلي بهذه الرفقة الجميلة، وهذا الود والحميمية والاحتضان الأسري الذي غمرني منكم، سوف لن أنساكما

ما حييت، وستبقى هذه الأيام ذكرى جميلة في الذاكرة.

ودّعت باولا ومنصور: السيدة ميري، سلّم عليها منصور باليد، لأول مرة تلمس يده يدها، واحتضنتها باولا، وتبادلا القبلات على الوجنتين، ذرفت ميري دمعة سقطت في حجر باولا، تعبيرا عن مشاعر التعلق بها، وشعورا منها بالفقدان والغربة بعد رحيليهما الذي أوشك أن يأزف.

نظرت إليها باولا نظرة احتواء وشوق باغتها، فارتمت في حضنها مرّة أخرى وشهقت باولا وغمغمت: لا لن تبقي وحدك. أنت جزء منا، بدونك لن تهنأ أيامنا، هيا معنا حبيبتي ميري، سننتظرك حتى تجمعي حقيبتك.

قالت ميري: بعد أن خلصت نفسها من حضن باولا، وهي تكفف دموعها التي سالت على خدها، ليس الآن يا باولا، ولكن سأدبر أمري، وربما ألتحق بكما قبل الليل، والآن أنتما في طريق السلامة وإلى اللقاء.

تقدم منها منصور وقال: هوّنى عليك، نحن لن ننساك أبدا، وحدسي يقول لي أنك لاحقة بنا، سنجتمع حتما ربما قبل الليل.

وكانت لحظة الوداع فارقة غطّاها الشجن والأمل وقرب اللقاء.

أخرجت باولا كارت فيزت من حقيبتها يحمل عنوان الفندق الذي ستنزل فيه مع زوجها منصور ومدت به إلى ميري، وقالت هذا عنواننا وإلى اللقاء.

دست ميري الكارت في جيبها وفارقتهم تلوح بيدها وهما يحيينها حتى توارت وراء الباب الدوار في الفندق وانطلقت بهما السيارة صوب جنيف.

دخلت ميري الجناح، جلست برهة على الأريكة في الصالون الملحق بغرفة النوم، كانت قلقة تداهمها الكآبة ويستفزها الشوق إلى باولا ومنصور.

هاتفت زوجها جون في مكتبه حيث صالة رجال الأعمال في الفندق في الطابق الأرضي، قالت: عزيزي جون: صاحبتي سافرت إلى جنيف لتقضي أسبوعا آخر مع زوجها وأنا أحس بالغربة بعدها.

جون: وأنا مسافر اليوم بعد الظهر إلى باريس عندي أعمال مستعجلة، ما رأيك في أن أحجز لك جناحا حيث تقيم صاحبتك اسبوعا آخر حتى أهاتفك لتلحقي بي في باريس، هل عندك عنوان صاحبتك؟

ـ شكرا عزيزي جون، لا تشغل بالك سأهاتفها حالا وهي تحجز لي جناحا بجانبها. وسأبعث لك بعنوان الفند ق بعد ذلك.

ـ اتفقنا، وإن جد جديد، وربما أسافر إلى داكار سأخبرك لتلحقي بي هناك.

ـ رافقتك السلامة، اطمئن، وأتمنى لك النجاح.

حالما وضعت سماعة الهاتف، اتصلت ميري تخبر باولا بأنها قادمة وقبل الليل كما قالت لها من قبل.

كانت فرحة باولا بخبر قدوم ميري لا توصف، أسرعت فحجزت لها الجاح رقم 11 في الطابق الذي فيه جناحها رقم 12 وأخبرت منصور الذي قال معلقاً: هي قالت قبل الليل، هذه السيدة تعلقت بك يا باولا.

ـ وأنا تعلقت بها، فعلا هي سيدة طيبة ومحترمة، لطيفة ومثقفة وجميلة ما رأيك؟

ـ هي ما قلت، ومكسورة الخاطر فاقدة حنان زوجها واهتمامه بها، هي زوجته لكنه متزوج عليها ضرّة: أعماله ومشاريعه ونجاحاته: البزنس، وشابة في عمرها تريد أن تعيش الحياة، تأخذ منها نصيبها، كما أخذ هو نصيبه من قبل مع زوجتيه: المنفصلة والمطلقةكما أخبرت إن ميري ضحية الظلم الاجتماعي.

ـ أنا أصبحت أحب هذه السيدة أكثر من ذي قبل، يظهر أنها هي أيضاً تعلقت بنا.

ـ وأنا أحترمها وأقدرها: وأشفق عليها، هي محتاجة إلى من يأخذ بيدها ويؤنس وحدتها، ويطرد عنها السأم والملل، وهي لطيفة طيبة ومثقفة واجتماعية كما قلت.

ـ وقلت: حتى جميلة مالك لا تذكر جمالها؟ أليست جميلة؟

ـ نعم، وجميلة .. جمالها لزوجها الذي لا يقدره أور بما لا يراه، تحجبه عليه أعماله ونجاحاته في جميع المجالات، صحيح بعض الناس تستولي عليهم شهوة المال، وجمعه وتكديسه في الخزائن والمصارف، وهم لا يستفيدون منه إلا بمقدار ما يطعمون أو يلبسون، وأخيرا يتركونه للورثة.

والغريب أن زوج ميري لا وريث له، وهو من أكبر أثرياء العالم، ولا يشبع ويطلب المزيد.

تدخل شابة جميلة في مقتبل العمر تجر حقيبة صغيرة وتلبس جيناً أزرق، تسأل موظف الاستقبال عن حجز باسم جون ميري- يقلب الموظف عن الاسم في الحاسوب... يقول لها نعم الجناح رقم 11 ويمد لها بالمفتاح الإلكتروني في مغلف يحمل رقم الجناح، يخطفه منها عامل يرابط قرب الاستقبال ويتقدمها إلى الجناح، تنفحه بعض المال، فيخرج - تهاتف ميري باولا عن طريق الموصل الداخلي: آلو باولا، أنا ميري.

ـ أين أنت حبيبتي؟ وصلت.

ـ أنا في الجناح رقم (11).

مرحباً... وصلت بالسلامة، نحن في الجناح (12).

حالاً أكون عندكما.

تخاطب باولا منصور: ميري وصلت وهي قادمة إلينا الآن منصور يتلفع بروب فوق البيجامة ويستوي جالسا على الأريكة يدق باب الجناح، تخف باولا لاستقبالها على باب الجناح كانت القبلات الحارة متبادلة بين الصديقتين، تتقدمان نحو منصور الذي ينهض ويبتسم ابتسامة عريضة ودودة، وعلى وجهه علامات السرور والفرح، قائلا أهلاً بالوفية الواعدة بالقدوم قبل الليل، يضحك الجميع ويجلسون، تقول ميري: لم أطق صبرا عليكما، داهمتني وحشة بعد رحيلكما كدت أنفجر بكاء- تكلمت مع جون زوجي اقترح على أن ألحق بكما لأنه مسافر، وسنتواصل وإياه بالهاتف فيما يجد.

قالت باولا: حبيبتي وأنا أفتقدك وكنت أحدث عنك منصور طول

الطريق أنت أصبحت جزءاً منا يا ميري، ولن تفارقينا ما دام زوجك لاه في أعماله.

- هو لاه باستمرار - إذا سأبقى معكما باستمرار وضحكت

منصور: يقول وهو يضحك: على رؤوسنا دائماً صاحبة الجين الأزرق.

يضحكون جميعاً.... تقول ميرى لعلني قدركما أينما حللتم.

منصور: مرحبا بالقدر الجميل.

باولا: حدس يقول لى إنك معنا على طول، وكم نحن سعداء.

ميري: وأنا سعادتي بكما لا توصف.

منصور: أنت يا ميري نبيلة وجميلة وتحبك باولا.

- وأنت ألا تحبها؟! قالت باولا.

- أنا أحترمها وأقدرها ويعجبني جينها الأزرق.

الجميع يضحك... تقول ميري: أنتم أصبحتم أهلي، زوجي جون منحني الضوء الأخضر في أن أكون معكما متى شئت، ولن أفارقكما ما دام مشغولا، وأنا أعرف أنه بعد باريس سيكون في عاصمة أخرى من عواصم العالم، ولا أستغرب أن يهاتفني من الصين في يوم من الأيام.

- رفيقتنا وحبيبتنا المبجلة في كل حين وفي أي مكان، وأنت الأنس لنا، قال منصور.

ونعم الرفيق والحبيب تقول باولا.

يقطع حوارهم النادل جاء يدفع عربة تحمل سلال الفاكهة والورود

الواجب اليومي لكل جناح وفي كل الصباحات.

أسبوع أنقضى في جنيف، كان ثلاثتهم في رفقة، وصحبة صادقة لا تكدرها اختلافات ولا تقاطع في المشارب والأهواء، إنما يضللها الود والمحبة والأثرة والتقدير والاحترام، اتفقوا قبل نهاية الإقامة في جنيف أن تسافر ميري مع باولا ومنصور إلى لوقانو، في شرق سويسرا على الحدود الإيطالية لقضاء أسبوع آخر في فندق راق، حجزت فيه باولا جنحا واحداً كبيراً بثلاث غرف للنوم، وصالون وصالة طعام، وملحقاته، جناح كأنه فيلا مغلقة في ركن من الفندق.. هي - باولا- في المدة الأخيرة أصبحت تنام منفردة عن منصور، ذلك كان برغبة منها متعللة بأنها تستيقظ أكثر من مرة أثناء النوم، ولا تريد أن تزعج زوجها منصور- وفي الحقيقة هي كانت تباغتها نوبات المرض اللعين التي أصبحت تشتد ولا تريد أن يحس بها منصور تتألم من الوجع الشديد.

لم تعلق ميري على هذا التصرف الذي بدر من باولا ويظهر لها أن منصور يعرف سببا لذلك، لكن باولا لم تترك الأمر مبهما أو قابلا للتأويل من طرف ميري، قالت باولا: ما دمنا دائما مع بعض إلا في ساعات النوم، لماذا ننفصل، وأنت يا ميري في مكان ونحن في مكان، وليكن وجودنا في مكان واحد، والأنس لا يتم إلا في مكان واحد، أنا أرى هذا الرأي.

ميري: وما رأس السيد منصور؟

أنا أثق في صواب رأي باولا، ولأنها متعلقة بك وتحبك محبة صادقة فلا بأس من تصرفها هذا.

هذا يسعدني ويزيدني حباً وتعلقاً بكما، قالت ميري.

خرج منصور ذات صباح بعد تناول الإفطار مع باولا وميري، ليقابل عميلا له في تجارته مع إيطاليا جاء إليه من مدينة توريفوا الصناعية في الشمال من أجل صفقة تتعلق بالمعدات الحديدية. انفردت باولا بميري فجلستا في تراس الجناح.

جيء لهما بقهوة ساخنة، هنا تخلصت باولا من سر دفين لا يعلمه أحد إلا الأطباء في معاهد الأورام السرطانية، حتى منصور لا يعلم عن مرضها شيئاً، وإن ضلت ترن في أذنه جملة جوفانا حين تشاجرت مع باولا منذ ستة شهور مضت، تلك الجملة كانت- يا مريضة يا من تزحف نحو القبر- وكلام آخر ينعتها نعوتاً سيئة.

قالت باولا: ميري حبيبتي أريد أن أطلعك على سر لا يعلمه أحد غيرك، حتى منصور لا يدري به، وأرغب في أن تحتفظي به ولا تذيعيه.

خير إنشاء الله أولا، وثانياً أنا لا أفشي سرّاً أمني صاحبه عليه حتى من الأغراب، فما بالك أنت يا باولا وقد خصصتيني بحبك وصداقتك.

ميري: أنا مريضة، ومرضى خطير، بل هو قاتلي بعد حين ليس أكثر من سنة ونصف السنة، هذا ما أكده لي الأطباء بل أشهر الأطباء في معاهد الأورام السرطانية- أنا لا أخشى الموت، قدرنا المحتوم، هو سنة الله في خلقه، أنا أخشى على منصور بعدي... منصور يا ميري رجل شهم نبيل، يستحق أن يكافأ بكل مروءة وفضل، وأنا أخاف عليه من أخريات.

في خاطرها تحضر دائماً جوفانا الخائنة- وأنت يا ميري حبيبتي

أحسن من أستودعه عندك، هو يحبك أعرف هذا، وأنت ستحبينه في يوم من الأيام، أنت يا ميري نبيلة وشريفة، وصابرة محتسبة، والله سيجازيك على صفاتك الحميدة هذه، منصور لك وأنت له، هذا ما حدثني به حدسي، وأنا راضية كل الرضاء، بل أحب هذا من قلبي وفاء لمنصور ولك.

ـ لم أسمع في حياتي خبراً أسوأ من هذا الخبر، إن صح ما تقولين كيف أنت مريضة؟ من قال هذا؟ أنت واهمة يا باولا، أنا على يقين أنك واهمة، هذا المرض الذي تتحدثين عنه له علامات ظاهرة، ليس منها شيء عليك، لا تهذين بهذا القول مرة أخرى، من فضلك إن كنت تحبيني يا أغلى عليَّ من روحي.

أنا لست واهمة، أنا متأكدة، من أشهر أطباء هذا المرض. ومن التحليلات في المخابر المعملية في أكبر معاهد الأورام، أما قولك غير ظاهر شيء علي منه، فهذا صحيح، أنه ينهشني من الداخل، هو في القاولون وعندما يستفحل ستكون القاضية. وأنا كما قلت لك لا أخاف ولا أخاف الموت، إن خوفي على منصور، هو وديعتي عندك، تزوجيه يا ميري، إن شئت الآن، أنا أبارك هذا الزواج، وإن كانت كبيرة عليك تزوجيه بعد أن أغادر الدنيا، وأنا راضية كل الرضاء.

الآن أصبحت تهذي يا باولا، كيف تسمح لك نفسك أن تحدثك هذا الحديث؟ هل أنا عديمة ضمير، أو نهازة للفرص؟ ومع من؟... صديقتي التي أحبها كنفسي آخذ منها زوجها العزيز عليها والتي تحبه

أكثر من نفسها، تفكر فيه بعد الموت، منتهى الوفاء والإخلاص... أيعقل هذا يا باولا يصدر مني؟!

ـ قلت لك أنا راضية كل الرضاء، بل يسعدني هذا كل السعادة.

ـ هذا ما لا يكون، مهما كانت الظروف والأسباب، ليس زهداً في منصور، فهو رجل تتمناه كل امرأة، لكنها كبيرة عليَّ والله، سواء في حياتك أو بعد مماتك، بسبب هذا المرض الذي أرجو أن تكون، أنت واهمة والأطباء واهمون.

ـ سأتركك مع نفسك تفكرين، أنا فاجأتك برغبتي هذه، وكنت أتمنى أن تحقيقها لي في حياتي لتقر عيني، أنت لا تدرسين كم أنا حريصة على راحة منصور، وأريد أن أطمئن عليه وأنت خير من يقوم بهذا، وأعرف أنه يحبك، إن فعلت هذا تكوني قدمت لي إحسانا ومعرفا بحجم الدنيا.

ـ وأنا من الآن سأدعو لك الله بالشفاء، وأكبر فيك ثقتك في، ومحبتك وإخلاصك، وإنما فيما تدعوني إليه، هو شيء كبير علي، لا أقدر لا أقدر يا باولا، وأنت تعرفين يعود منصور من مشواره الذي قابل فيه وكيل شركة المعدات الحديدية وتمت الصفقة بسلام، يدخل فرحاً بنجاحه، وسعيداً بلقاء باولا وصاحبتها، وقد وجدهما مازالتا في التراس تتحدثان في أمر يهمه وهو غافل. قالت باولا مقدما سعيداً وعلامات النجاح ظاهرة على وجهك، ما وراءك؟

كل الخير... لكن الحظ في جوكما شيئاً غير عادي، وخاصة في وجه

ميري هناك نوع من القلق وتشتت الذهن، أنا لا أحب أن أرى هذا الوجه الصبوح تنقضُّ عليه الهواجس والأفكار فتمسح هذا الجمال الفريد، وإشراقة النفس الوضاءة التي عهدناها فيها دائماً... ما بالك صاحبة الجبين الأزرق؟

هل من أخبار عن جون العزيز؟

ـ لا شيء هي ميري تفكر كيف يكون حالها بعد رحيلنا إلى إيطاليا يعز عليها فراقنا قالت باولا.

ـ ومن قال إنها ستفارقنا؟ إلاّ إذا كانت الضرورة واستدعاها زوجها إلى حيث يكون، ربما في آسيا أو أمريكا الجنوبية.

ـ لن تفارقنا ولن يستدعيها زوجها، هي باقية معنا وستذهب معنا إلى إيطاليا.

وجدت ميري فرصة للكلام فستطرح وجهها وتفتعل الابتسامة لتخرج من أفكار تحاصرها بسبب ما عرضته عليها باولا قالت: صحيح أنا لم أرى إيطاليا من قبل، وخبرني جون عن كاتدرائية الدومو في ميلانو، قال إنها فريدة في معمارها، وعن العجيبة السابعة في إيطاليا برج بيزا (المايل)، وآثار رومانية قديمة في روما وغيرها من المدن، وعن البندقية وفينيسيا المدينة العائمة، فرصة ثمينة والله.

أنت معنا على طول يا ميري يا عزيزة علينا فلا تفكري في الانفصال قالت: باولا.

ـ وكيف إذا استدعاها جون؟ قال منصور.

لا يفعل، هو تستدعيه المشاريع والصفقات فلا يستدعى ميري قالت: باولا.

ميري: هو أخبرني أنه ذهب إلى شنقهار في الصين، قال إنها مدينة الصناعة والتجارة، وقد بعث شركة كبرى عابرة للقارات، سيكون لها نشاط تجاري وصناعي، وهو رئيس مجلس إدارة هذه الشركة وقال إنه سيغيب شهرين.

ومن شنقهان إلى ريدوجانيرو في البرازيل، هكذا هو جون طائر منك دائماً يا ميري قالت: باولا. لكنه زوجها وإن طار اليوم فسيحط في يوم من الأيام قال منصور.

ـ حينما يبلغ الهرم!

مست الكلمة التي نطقت بها باولا: ميري، لم تظهر شيئاً قالت: هو زوجي على كل محال.

قال منصور: المهم ميري حبيبتنا راحلة معنا إلى إيطاليا: وهناك سيكون حالها أحسن مما أراها عليه اليوم.

وستبقى معنا في دارنا على طول منصور: أرجو ذلك... هي بكل تبجيل وإكرام ما بقيت معنا.

ـ لن أنفصل عنكما أنتم أصبحتم أهلي وزوجي، ونعم الأهل.

ستجدييننا كما تضنين قال منصور.

باولا يا صاحبة الجين الأزرق، منصور ما رأيك؟ أصبحت أفكر في ارتداء الجين.

تصبحين أجمل.

وأفتن أليس كذلك؟

ـ وأنت جميلة وفاتنة الآن قالت ميري.

ـ دعيها تجرب، هي جميلة وفاتنة كما قالت، ربما تفتننا أكثر.

ـ وأنت مفتون بها الآن يا سيد منصور لم أر زوجا يحب زوجته مثلك.

ـ لكن الأزرق يفتني أكثر - الكلمة مبطنة- وباولا تكون فيه أجمل كانت باولا تتابع الحوار بن منصور وميري وتستمتع به، سرها أن تطري ميري منصور بقولها: لم أر زوجا يحب زوجته مثلك وعندما لمح منصور إلى ميري إذا قال: الأزرق يفتني أكثر من أول لقاء باولا ومنصور مع ميري كان منصور معجب وكانت ميري مأخوذة بجاذبية منصور وسحره الرجولي إلى حد الإعجاب وتحبه في صمت ولولا احتواء باولا لها من البداية: احترمتها وقدرتها ولم تبو منها غيرة على زوجها، بل قربتها وقالت لها صراحة أنت صديقتي وحبيبة من الآن وآثرتها على نفسها، لولا ذلك الاحتواء، كانت ميري حامت حول منصور وصرحت له بإعجابها الشديد، وما بعد الإعجاب إلا إظهار الهوى والعاطفة التي تجبر صاحبها على التصريح، وربما الارتماء في الأحضان، لكنها- ميري- العاقلة الرصينة، قابلت مودة باولا وحبها

بالوفاء ورد الجميل فضغطت على مشاعرها وأحاسيسها نحو منصور، وكتمت الهوى في نفسها وضلت صديقة للزوجين وتحب منصور من بعيد وفي صمت وحذر.

والآن: وفي لحظة بوح بالسر من جهة، وما يعتمل في نفس باولا من شفقه على منصور وعلى ميري من جهة أخرى، ها هي باولا: تصرح لميري بمرضها الخطير الذي لا يتركها للدنيا ولمنصور بعد سنة ونصف السنة كما قال الأطباء، وتطلب منها في الوقت أن لا تترك منصور بعدها لأحد، وأن تتزوجه- ميري- وهي راضية بقضاء الله وقدره، وستكون في غاية السعادة إذا وافقت ميري على الزواج من منصور، بل طلبت منها أن يكون في حياتها ليطمئن قلبها.

رحل منصور وباولا ورحلت معهما ميري إلى إيطاليا بعد قضاء ثلاثة أسابيع في سويسرا، بين بيرن وجنيف ولوقانو، وقد ألغت باولا الأسبوع المقرر قضاؤها في بازل، إذ لمست من ميري لهفتها تلك مشاهدة ما في إيطاليا من معالم، وهي التي لم تزرها من قبل، ومن ناحية أخرى، أمّلت باولا في أن تغير ميري رائها بخصوص رفضها الزواج من منصور، ولعلها تجد في إيطاليا المناخ الذي يختلف عن بقية مناخات أوربا الوسطى والشمالية فتقرر البقاء فيها. ومن ثمة ستوافق على الزواج من منصور، ولو بعد أن تغادر باولا الدنيا، هنا يهنا بال باولا وتكون قد ضفرت في طريقهم إلى مدينة باولا حيث شقتها الفاخرة في تلك العمارة العصرية التي تملكها والدتها المتوفاة، والتي آلت ملكيتها بالكامل إلى

باولا، في الطريق وبعد أن اجتازو الحدود السويسرية ومنطقة جبال الألب الخلابة، إذا ما زالت الثلوج تغطى قمم الجبال العالية، فالوقت ما زال في بداية شهر فبراير، وهم يدخلون نفقا ويخرجون من آخر، عبر تلك الجبال، كانت ميري مشدوهة من روعة المنظر الذي تراه من قبل، فأبدت كل إعجابها بهذا الجزء من الأرض بين إيطاليا وسويسرا، وتحدثت مع باولا ومنصور في الطبيعة الفريدة في هذا العالم الساحر، وتمنت لو كانت لها إقامة في هذا المكان.

قالت لها باولا: سترين سحرا آخر للطبيعة وجمالا لا مثيل له، ذلك في بحيرة (كومو) التي تحتضنها جبال الألب الشرقية بقممها العالية المتوجة بالثلوج، وتشرق عليها الشمس الدافئة من الجنوب والشرق ومن فوق، والبحيرة منبسطة في سهل واسع تحيط به الخضرة من كل جانب، لله دره من منظر بديع يسحرني كلما حللت فيه، وهذا منصور يخبرك عنه، يا له من إبداع من صنع الخالق.

ـ صحيح ما تقوله باولا، إنها (براديزو) ونطقها بالإيطالية، وتعني الجنة، هي جنة الله في أرضه. قال منصور:

ـ سنمر بها لا شك، أليس كذلك يا باولا؟ قالت ميري.

ليس مرورا فقط إنها إقامة لمدة ثلاثة أيام في فندق جميل بقع على البحيرة، وقد حجزت جناحا لنا نحن الثلاثة، ستكون رحلتك هذه استثنائية يا ميري وستتحدثين بها كذكرى عزيزة وإجازة قصيرة تقضيها مع حبيبتك باولا التي تتمنى لك كل سعادة ولمنصور أيضاً، كان في

كلامها رمز فطنت له ميري.

وكم أنا شاكرة لكما، أنت ومنصور وسعيدة، أتمنى لكما كل خير وسعادة، يا أعز صديقة وحبيب، تستدرك عفوا قصدي حبيبة وصديق.

- ولماذا الاعتذار؟ ألا يجدر أن يكون منصور حبيباً أيضاً؟ قالت باولا.

ميري: هو حبيب لباولا كزوج ولميري حبيب كأخ.

منصور: أنا في هذه المسألة، لا أصنف نفسى، أنا على الحياد.

- أنت الرجل والحبيب والصديق والأخ لنا، أنا وميري قالت باولا.

ميري: ونعم الرجل أنت يا منصور.

كان منصور يقود السيارة طول الطريق من لوقانو وحتى كومو، حيث البحيرة التي يقع على ضفتها الغربية الفندق الكبير الذي حجزت فيه باولا جناحا ملكيا يضمهما الثلاثة.

انبهرت ميري بموقع البحيرة الشهيرة التي يأتي إليها الزوار من أنحاء العالم، ويملك على ضفافها الأثرياء الدارات والقصور قالت: فعلا هذا المكان هو جنة الله في أرضه كما قال منصور. ولي رغبة الإقامة فيه بصفة دائمة.

باولا: في إمكانك أن تشتري فيلا جميلة على أحد سفوح هذه المرتفعات التي تحيط بالبحيرة، وجون أعتقد لا يمانع.

- جون لا يرفض لي طلبا، وسأشترى قصراً في هذا المرج الجميل على ضفاف البحيرة، ولا تنسوا أن تزوروني.

ـ أي زيارة؟ أنت معنا حيثما كنا، ألم نتفق أننا لن نفترق؟! قالت باولا.

ـ ولن نفترق، ستكون إقامتنا في مكان واحد عندي أو عندكم.

منصور: يظهر أنك نسيت الاتفاق.

لن أنسى، أنتما أهل، أنا منكم ولكم.

أثلج صدر باولا قول ميري: أنا منكم ولكم، أضافت هي حياتنا سنقضيها متمنية تحقيق أمنيتها: زواج ميري بمنصور وعارفة أنها المفارقة- باولا- عن قريب.

من اليوم الأول لإقامتهم في الفندق، هاتفت باولا أحد سماسرة العقارات في مدينتها كانت تتعامل معه من قبل، طلبت منه أن يبحث لها عن فيلا كبيرة، أو قصرا على ضعاف البحيرة، أجابها أنها تحت يده: فيلا بدورين وتراس واسع بمساحة سطح الفيلا، تشرف على ضفة البحيرة من الغرب، تقابل الشمس، وتقع على تلة تضم مساحة كبيرة من الأرض مسورة: هي حديقة واسعة للفيلا، وللفيلا طريق خاص بها يتفرع من الطريق الرئيسي الذي يحاذى البحيرة، وأن مالكها ثري ألماني غادر الحياة، والورثة سيبيعونها بالمزاد، وعليها، قال: السمسار لباولا أن يأتي إليها يوم الأحد لتعاين الفيلا وتحضر المزاد.

أخبرت باولا ميري بفحوى المكالمة مع السمسار، بحضور منصور الذي قال: يجب اغتنام هذه الفرصة، وعليك يا ميري أن تخبري جون بالأمر، ليكون على علم، ولا شك سيفرح كثيراً عندما يزورك في هذه الإقامة الفخمة كما قالت باولا.

باولا: وهل لجون وقت يزور فيه ميري، وهو كل يوم في زيارة عاصمة من عواصم البلاد في العالم أو في مرفأ من مرافئ، يتابع أسطوله البحري، أو يراقب مشاريعه التجارية والصناعية؟!

ميري: صحيح ما تقولينه يا باولا: جون متزوج (البزنس) التجارة والصناعة، والشركات القابضة، والعملاقة العابرة للقارات.

سيعبر بدورة الحياة، دون أن يمتع نفسه بنعيمها، ولن يكون له عمر آخر ينعم فيه برغد العيش.

ميري، ولم يعد له متسع من الوقت، هو الآن تجاوز الثمانين.

وقد أنعم الله عليه بالمال الوفير والزوجة الجميلة، ولكن... قال منصور.

ميري: هكذا هو طالب المال، يرغب في المزيد.

ـ طالب المال وطالب العلم: اثنان لا يشبعان. قال منصور.

ـ سيندم حين لا ينفع الندم، وهو على طرف العمر، قالت باولا.

اشترت ميري تلك الفيلا القصر، فعلا هي قصر صغير وتحفة معمارية فريدة، وفي موقع متميز، كان صاحبها الأول قد اختاره بعد طول معاينة واختيار... كانت الفيلا مؤثثة أثاثاً فاخراً من طراز القرن التاسع عشر، سلّمتها ميري بمعرفة باولا إلى مقاول دهانات وديكور من أجل تجديدها، وسافر الثلاثة إلى مدينة باولا، هناك في تلك الشقة البالغة الفخامة والتي هي عبارة عن فيلا معلقة في الطابق العاشر من العمارة العصرية المبطنة بالبلور العاكس، في ذلك المكان واصلوا حياتهم

المشتركة زوج وزوجة، ورفيقة تعشق في صمت، والمعشوق رجل يداري عشقه ويكبت رغبته فيها، حفاظا على مشاعر زوجته ووفاء لها، وهو لا يعلم أنها عرّاب الزواج بينه وبين ميري، وكانت ترغب أن يتم هذا الزواج في حياتها إذ تعرف أنها مغادرة الدنيا بعد حين، لكنها تأمل أن يتم بعد وفاتها، فهي باولا تحب منصور حبا لا مثيل له من قبل.

عاد منصور إلى بلاده إلى أثر سماعه بخبر وفاة والدته، أخبر باولا بذلك وباولا أخبرت ميري، كانت منهما التعزية وكان منه الصبر وعزيمة الرجال، كانت العودة إلى بلاده واجبة والمبرر مقبول، سافر جوّاً من مدينة باولا في رحلة داخلية ومن المطار الدولي كانت رحلته إلى بلاده جنوب البحر، في وداعه كانت باولا وميري، وعدهما بالعودة قريبا حالما يقوم بواجب تقبل التعازي في والدته وشد أزر أخته الوحيدة.

قصد بيت صهره مبروك زوج أخته فالمأتم كان هناك. وصل بعد ثلاثة أيام من وفاة أمه، وجد المعزين والأقارب، أما أغلب معارفه وأصدقائه، فلم ير منهم إلا القليل، حيث قام البعض بواجب العزاء يوم الدفن في المقبرة والآخرون جاءوا إلى محل المأتم عند صهره، قبل أن يحضر.

سأل عن زوجته نجاة عندما لم يجدها، أخبرته أخته أنها لم تحضر إلا يوم الدفن، وأنها أثناء مرض المرحومة لم تزرها إلا مرات قليلة... أسرها في نفسه، جاءت حين سمعت به وصل، ذهبت إلى مكان المأتم لتعزيه في والدته، ولترى إذا ما كان يرغب في العودة إلى بيته سيما وأن صباح اليوم التالي: هو فرق المرحومة- مدت له يدها تعزيه، التقت يده

بيدها باردة وفي جبهته تجهم ينم عن غضب، عرفت أن أخته شحنته عنها، لم تمكث إلا ساعة من زمان ثم غادرت المكان، في اليوم التالي عادت لتتأكد من نوايا زوجها نحوها وماذا يبيت من أمر- اختلت به جانبا- أخذت تلومه عن غيبته الطويلة، وعدم اتصاله بها... رد هو لها اللوم بخصوص تقصيرها في مأتم أمه وفي مرضها، ثم أنها لم تحضر في المأتم إلا يوماً واحداً، وأنها زوجة لا يعتمد عليها، وتحب نفسها ومآخذ أخرى كان قد سجلها عليها من قبل وغيرها أخبرته أخته، ضلت تدافع عن نفسها، دون أن يعذرها في شيء، وأخيرا قال لها: إن أردت سراحا فتعالى أسرحك سراحا جميلاً.

قالت: وما الذي يدفعك إلى ذلك؟ هل أنا المخطئة؟ أم أنت!

- وفيما أخطأت أنا؟

- اسال نفسك، ألم تغب عن زوجة في شهر العسل؟ لعلك لم تعرف كم شعر غبت؟ ثلاثة شهور كاملة، ألست مخطئ بعد هذا ولا خبر منك ولا اتصال، هل أنا أمة ؟؟؟ عندك تحبسها وتذهب.

- أنت تحاسبين رجلاً تعرفي أنه يسافر من أجل العمل.

- أنا أحاسب رجلا عليه أن يعرف واجباته الزوجية والاجتماعية؟

- وأنا لا أريد امرأة تحاسبني وهي تعرف ظروفي وتنكر.

- نفخ فيها الشيطان من روحه وتنمرت، قالت:

- طلقني يا رجل.

ـ فلك سراحا جميلاً.

ـ لا أريده جميلا، أريده طلاقا لا رجعة فيه.

ـ هو بالثلاثة.

ـ حسنا فعلت.

ـ غدا نتقابل في المحكمة الشرعية.

لا داعي أن نتقابل مرة أخرى، ابعث بورقة الطلاق، وأنت في حل من جميع الحقوق.

لابد من الإقرار بهذا أما القاضي.

نلتقي غداً في المحكمة.

تم طلاق نجاة ومنصور بسرعة ويسر كما تم زواجهما، وذهب كل في حال سبيله.

كانت نجوي صديقه نجاة تتسقط أخبار منصور، وتنتظر اليوم الذي تسمع فيه بانفصالهما سواء بالمغاضبة أو بالطلاق لترمى بشباكها في طريق منصور، فالرجل ملك قلبها وسلب إرادتها حين رأته أول مرة عندما أشارت عليه نجاة يوم الكسوة وتمكن حبه منها عندما زفت نجاة إليه.

ضلّت ترصده، وقد زفت صديقتها إليه، لكنه سرعان ما رحل، وكان له شأن آخر مع باولا التي تزوجها وعاش معها ناسيًا نفسه، هو هكذا يكون فقط في الزمان والمكان الذي هو فيه، وينفصل تماما عما عداه.

نجاة زوجته المتوسطة بين الأولى في مصر والثالثة في الشمال،

ضلت تدرس شخصية منصور ونفسيته، وتحلل سلوكه وتصرفاته، فهي- نجاه- أستاذ الفلسفة وعلم النفس المتخصصة، وخلصت إلى أن الرجل يتوفر على بهيمية عالية وحب للذات- عاشق روحه كما يقال شعبيّاً، وأن حياته وعالمه وأهله هم من يحيطون به، هو يعيش اللحظة، أو واجب اللحظة، بكل كيانه ومشاعره وينسى ما عدا ذلك، لذلك قررت أن تنفصل عنه قبل أن تنجب منه، فيصعب الأمر بعد ذلك اجتماعيا عليها وعلى أولادها وحتى نفسيا، فلما كانت المبادرة منه بشأن الطلاق لم تفوت الفرصة وتم بيسر ورضاء.

انتظرت نجوى الظروف، فلما واتتها رمت بشباكها وصلت تنتظر. كان ذات يوم يخرج من صيدلية تبيع الدواء البشري في الحي الذي تسكن فيه، رأته عن بعد تبعته حتى وصل سيارته وهم أن يجلس وراء المقود وينطلق، وإذا بامرأة شابه في يدها قرطاس به أشياء، تقف عليه وتحييه، تذكر اسمه وتبالغ في الترحيب، انتصب واقفا يرد تحيتها ويستفسر دون أن يسألها من تكون.

أنا نجوى... نسيتني يا منصور؟! نجوى صديقة نجاة وكنت قد سلمت عليك يوم زفتها، حينما انطلقت بها في سيارتك لا تلوى على شيء، كانت ساعتها هي كل شيء عندك، ولم تلتفت إلى من حولك... قبل أن أنسى ماذا أقول: مبروك، أو آسفة لطلاقكما؟

- قولي مبروك تكفي.

- هل أنت جاد في قولك هذا؟!

ـ ولماذا لا أكون جادا؟

ـ لعله ماء وملح انتهى كما يقولون.

ـ هذا وارد، وأنت هل تزوجت؟

ـ من تراك لا تتزوج، وتضل تنتظر.

ـ الدور؟

ـ طبعا... هي تنتظر دورها إذا كان من تنتظره يعلم بها.

ـ ومن قال لم يأت دورك؟

ـ يوم المني.

ـ ألم تكون مخطوبة؟ أو أعتقد متزوجة كما أخبرتني نجاة.

ـ قلت لك من تنتظرك لا تفوت فرصتها ولو كانت متزوجة.

ـ هنا تخرج عن العرف الاجتماعي وشرع الدين.

ـ من تعشقك تخرج عن كل الحدود.

ـ وما لنا والخروج عن الحدود، ما دمت لا متزوجة ولا مخطوبة؟

ـ هي كلمة منك.

ـ اعتبريني قلتها.

ـ لو لم تكن في الشارع لدوَّت زعرودة الفرحة أجادّاً تتكلم.

ـ لم أعرف الهزل في مثل هذا الشأن.

ـ أنا هذه الليلة لن أنام، ستحلق بي أحلامي السعيدة بعيداً في دنيا

ملأها الورود، متى نلتقي يا منصور، قل لي يا من عذبتني ليالي وأياماً.

هاتفيني... هذا رقمي مد لها بكارت يحمل العنوان ورقم الهاتف

– في أي وقت تشائين.

ـ حتى في الليل؟

ـ في الليل يحلو السهر.

ـ سيطير نومك وعقلك.

ـ عقلي طار من الآن، أنت فاتنة وجريئة يا نجوى.

ـ لو تعلم كم أنت سالب لعقول العذارى ومالك لقلوبهن بسحر الرجولة والشباب (توزع العذابات الفضيعة على النساء متزوجات وغير متزوجات.

ـ ياه هل أنا على هذه الدرجة من التأثير فيهن، أو هي مبالغات منك، لأنك ربما تكون معجبة.

ـ معجبة؟! أنا عاشقة متيمة، يكاد يقتلني الهيام بك يا رجل وتقول معجبة؟ بدايتي كانت إعجابا ثم حبا وغراما، ألا تحس بي؟؟؟

ـ الآن عرفت.

ـ أنت تعرف من قبل لكنك تكابر، أو ربما كنت خائفا.

ـ ممن أخاف؟

ـ من نجاة.

ـ لا أخاف من الأنثى.

ـ ليس صحيحا، لم أعهد فيك الجرأة.

وهل أجرؤ وفي حضن زوجتي عروسا في ليلة زفافها ألاحق أخرى؟

ـ بعدما لم تسأل.

ـ سافرت.

ـ متى ؟ بعد شهر.

ـ هل كنت تحسبين الأيام؟

ـ بل الساعات والدقائق، وأنت لا تدري.

ـ الآن علم.

ـ نفذ ما قطعته على نفسك من عهد، منذ قليل.

ـ ومن إدراك لا أفعل؟

ـ يخّيل إلى أنك تراوغ.

ـ كنت دائما صادق النية.

ـ اتبعها بالفعل.

ـ سيحدث متى نلتقي وأين؟

ـ هنا في هذا المكان.

ـ في الشارع؟!، ومتى؟

ـ السادسة مساء.

ـ قريبا من الليل؟!

ـ الليل ستار العيوب.

ـ وهل سنفعل الخطيئة؟

ـ فعلها آدم وحواء.

ـ بتدبير من الشيطان.

ـ وهل مات الشيطان؟ مع السلامة لا تنس السادسة في المكان.

لم تطق نجاة صبرا على منصور بعد ما طلقها، راجعت نفسها: كنت غبية حيث فرطت في رجل تتمناه كل النساء... وكنت معبأة بشحنة عالية من التحدي وقوة العزم، على أن أكون ندا له في اللامبالاة والاستخفاف، وأني مساوية له طولا وعرضا في الأحاسيس المشاعر وأن لا يهمنى أن كان مازال يحبني أم لا، وأنني قادرة على نسيانه وأعماله كما أهملني ونسي حبيباً له، فالسن بالسن والعين بالعين، وما هو إلا رجل كباقي الرجال، هو رجل مغرور ونزق طائش... لا أنا المغرورة والساذجة الغبية.

كيف سمحت لنفسي أن أتحداه أو أطلب منه الطلاق بصريح العبارة، وهو الرجل وكل الرجال يتحسسون من هذه الكلمة عندما تنطق بها المرأة في وجوههم، إنها كلمة طعنة في رجولة الرجل، ثم أليس أنا التي درست شخصية منصور وحللت سلوكه؟ فتبين لي بهيمته الزايدة، وأنه قريب من انفصام الشخصية، أو هو الشخصية العابثة التي لا تفرق أحيانا بين الجد والهزل، المعقول واللامعقول، ألا يكون الرجل

سادياً ومازوشيا في نفس الوقت؟! هو يعذب نفسه ويعذب الآخرين: يهرب من امرأة فيتركها للعذابات الفضيعة، ويرتمي في أحضان أخرى ثم يهرب إلى أخرى، أليس في هذا عذاب لنفسه أيضاً، رجل لا يستقر على حال يعيش في الزمان والمكان الذي هو فيه، كيف سمحت لنفسي وتركت هذا الرجل في حالة هذا؟ حالة نفسية عليها هذا الرجل جديرة بالاهتمام والعلاج، وأنا عالمة علم النفس والفلسفة.

وهذه رسالتي في الحياة- وأما من هذه الحالة التي تستحق الدراسة والعلاج، وهو زوجي كم كنت جاهلة وغبية ونزقة طائشة!! لا بد من المراجعة الدقيقة والصحيحة وتصويب الخطأ... لكن كيف وقد طلقني طلاقاً لا رجعة فيه وبطلب مني وقالها هو بالثلاثة، ألا يكون هذا لغواً؟ لا أعتقد... الذين أفتوا قالوا: اللفظة جامعة ولا تحل المرأة بعدها إلا بعد طلاقها من آخر. يا للمأزق الذي لا خروج منه.

تذكرت وهي تحاور نفسها: صاحبتها وزميلتها التي كانت تدرس معها في نفس المعهد ونفس التخصص ليلى تلك التي نابت عنها في إلقاء المحاضرات حين تغيبت نجاة عن المعهد شهرا كاملا وزميلتها هذه كانت معجبة بمنصور وتعرف- نجاة- أنها تحبه لكنها لم تفصح احتراما لمشاعر زميلتها كان ذلك عندما التقت به مرة مع نجاة أيام الخطوبة، فلما تزوج بنجاة، فطمت نفسها عن ذلك الحب.

قالت نجاة في نفسها: لماذا لا أشجع ليلى على أن تتزوج منصور؟ فهي التي تستحقه، ولأقطع خط الرجعة على نجوى تلك السافلة التي

تقول إنها صديقتي المخلصة، وهي التي كادت أن تخطفه مني في أيام عرسي، ولا بد هي الآن تحوم حوله حين علمت بطلاقي منه، هي تحسدني وتنافسني فيه حينما كان زوجي، ولا شك هي اليوم ترمى في طريقة بشباكها، أعرف أنها لئيمة سافلة لا تتورع أن تفعل أي شيئاً في سبيل أن تلتف حوله وتوقعه بشتى الوسائل بعد ذلك اللقاء بين منصور ونجوى على الساعة السادسة قرب الليل، ركباً معاً السيارة وغابا في ظلماته، حين رجوعهما من مشوار قصير، علم منصور من نجوى أنها تزوجت من زميل لها فى وزارة الشئون الاجتماعية، وأنها تنوى الانفصال عنه.

قال لها: وأنا طلقت نجاة.

ـ سمعت ذلك، منذ أن طلقتها بالثلاثة.

ـ يظهر أنك متابعة وحريصة على التفاصيل؟

ـ وهل يغرب عن بالك أن أنسى شأنا يتعلق بك. ؟

ـ وما غرضك من ذلك؟

ـ ألا تعرف؟ أم تتغابا؟

ـ لا هذا ولا ذاك، أريد أن أعرف.

ـ لماذا لا تتزوجني؟

ـ أنت متزوجة.

ـ وهل صعب الطلاق؟ وبالثلاثة.

ـ هل يوجد ما يدعو إلى ذلك؟

ـ أحبك يا رجل، أو أنك تتهرب؟

ـ لا... لكن لابد من دراسة الموضوع، وبعد أن تكون مطلقة.

ـ اعتبرني من الآن مطلقة، هل الطلاق قضية.

ـ الطلاق حلال... وأبغض الحلال إلى الله الطلاق.

ـ والحب أليس حلالاً ومباحاً وأجمل شيء في الحياة؟

ـ عندما لا يكون على حساب القيم الاجتماعية والأعراف والدين.

تزوجني يا رجل... استحي أو ارفق أو حتى أشفق على امرأة تحبك ولا تصبر عليك.

ـ يا نجوى، حتى لا يكون زواجي بك غير مدروس، ويكون مصيره كزواجي من نجاة، لابد من التروى ودراسة الموضوع مني ومنك، ولا ننساق وراء العاطفة والهوى، الهوى مهلك والتسرع في أمر كهذا لا تحمد عواقبه.

ـ ادرس وتروى كما تشاء، أما أنا فمن الآن سأطلق نفسي.

ـ هل العصمة في يدك؟ أين عقلك يا نجوى؟ الرجل هو الذي يطلق.

ـ اعتبره طلق وبالثلاثة كما طلقت أنت.

ـ وهل أنتِ الرجل؟

ـ أنا المرأة التي تعرف كيف تسوى أمرها.

ـ هذا أمر آخر، فقط أنصحك لا تتسرعي... تريثي.

- إلى أن تخطفك أخرى؟! ساعتها ينفعنى التريث.

- أنا أنصح فقط، أما إن كان لك رأي آخر فلا تحجيراً عليك.

- وفر نصائحك على نفسك، واعقل أنت، يا سالب العقول.

- احترت في أمركم، واحدة تقول: سالب للعقول وأخرى تقول سارق للقلوب، وثالثة لا أدري ما تقول.

- أنت القلوب محطمها. والنفوس مدمرها، والنساء لاعب بهن كما تشاء، أنت رجل قاسي القلب، سادي النزعة تتلذذ بالعذابات التي تمارسها عليهن.

- وصلنا يا نجوى، أين تريدين النزول؟ أضاف: غابت نجاة وظهرت نجوى.

- جناس في الأسماء واختلاف في الموضوع.

- هناك مقاربات على كل حال.

- قف هنا أنزل، وبيننا الهاتف.

سارعت نجاة تقترح على زميلتها ليلي أن تتزوج منصور، وهي تعلم طلاق نجاة، أخبرتها نجاة نفسها وكانت تحدثها دائماً عما يحدث بينهما من مشكلات واختلاف في الرأي وأشياء كثيرة لا يلتقيان فيها، فمنصور رغم أنه جامعي خريج كلية الاقتصاد والتجارة، إلا انه محدود الثقافة والاطلاع، فهو عدا ثقافة السياحة والسفر، ومشاهدة الشعوب والبلدان، لا يحفل بالكتاب كثيرا ولا بالبحوث والدراسات، ثقافته

مسموعة ومشاهدة فقط.

قالت نجاة: تخاطب ليلى وهما يجلسان في صالة هيئة التدريس منفردتين في ركن منها: منصور يا ليلي ضاع مني نتيجة جهلي وغبائي، وأنت جديرة به بعدي، أنا أعرف أنك تحبينه حتى قبل أن يتم زواجنا لكنك آثرتني به دون نفسك ولم تنافسيني فيه، كما نافستني صديقتي المنافقة نجوى، وأنا أحفظ لك هذا الجميل، أما الآن وقد استحالت العودة إليه بالنسبة لي، فأنا أرشحك أنت وأبارك زواجك منه، قبل أن تلتف عليه نجوى، وأنت تعرفين أساليبها المغرية وجرأتها، بل وقاحتها وسقوطها تحت أقدام من تريد الإيقاع به، ومنصور عاطفي ومندفع، لا يقاوم إغراءاتها ومما تبديه من صنوف الغواية والهوى فلا يلبث أن يقع في فخاخها، فتحرمك منه وأنت المتعلقة به كما أعلم حتى الآن.

- هي كما قلت حية رقطاء، ناعمة الملمس لها سم زعاف، تتسلل في غفلة إلى فراش الرجل وتنشب نابها القاتل، ويا خوفي على منصور منها، لابد أن نحميه منها أنا وأنت يا نجاة، هو زوجك السابق، ولكني أحبُّه يا نجاة، وأنت عالمة وشاهده بذلك، أنا صاحبتك التي انسحبت من طريقك وتركته لك أثرة ومحبّة خالصة لك، أما الآن فأنت التي تساعديني على تحقيق أمنيتي، وأنت أيضاً تعرفين لماذا رفضت الزواج من كثيرين.

لا عليك سأعمل المستحيل من أجلك يا ليلي ولو عضّيت على جراحي في سبيلك، سأتصل به ولن أكابر، ولو رجوته رجاءً من أجلك هو عاطفي ومشفق ويعشق من يسمع عنها تحبه وتهواه.

وأنا سأتعرض له بطريقتي الخاصة، لكني خجولة لا أستطيع الحديث معه، هو مهيب كما تعلمين بشخصيته المؤثرة الساحرة.

إن جمالك يشفع لك، فلا تحتاجين إلى كلام، الرزانة والعقل نوع من الجمال والكمال، والكلام أيضاً.

ـ ذاك يوم المني حين يتم مشروعنا هذا يا نجاة.

سيتم أنا واثقة من هذا وسنزيح من طريقه نجوى السافلة.

حين نزلت نجوى قالت: بيننا الهاتف، وفي نيتها مواصلة العلاقة المحرمّة، لكنه حين علم أنها متزوجة قرر قطع تلك العلاقة، كما قام بإيقاف هاتفه في البيت الذي تعرف رقمه، وضلت هي في اليوم التالي تطلب الرقم ولا من مجيب، أكثر من مرة تعيد الرقم، وتتأكد من صحته، ولا من يرد على الطرف الثاني، قالت في نفسها: أما أنه تعَمَّد عدم الرد، أو أنه أوقف الهاتف عن الخدمة عمداً أيضاً، حتى لا يكلمها... إنها إهانة! والمرأة لا تسكت عن الإهانة أبداً، هي المرأة لا تتسامح ولا تتجاوز ولا تصفح أو تغفر عمّن يهينها، وردة فعلها تكون قوية تشفي الغليل، لا تعرف بيته ولا مكتبه لكنها لا تعدم الوسيلة التي تمكّنها من ذلك، قرّ قرارها أن تنتقم منه إذا ثبتت لها أنه قصد إهانتها فعلا أو زهد فيها بعد ما قضى وطره، لن يهدأ لها بال حتى تعرف السبب، حامت حول مضانه، لا تعرف الحي الذي يسكنه منصور، لكنها تعرف السوق، هو له مكتب بالقرب من السوق، معلومة فلت بها لسانه ذات مرة، حين كانت تهاتفه قبل أن تخرج معه في سيارته قرب الليل، قصدت ذلك السوق،

سألت عن وكالة صاحبها فلابد هي مكتبه، أنبأها أحدهم عن حسن نية بالعنوان، جاءت إلى المكان تحاذر العيون، وترصد الأجواء والمعالم، وتتّبين العلامات الدالة لترسم صورة ذهنية علّها تحتاج إلى رجعة مرّة أخرى في حالة لم تجد صاحبها... لم تجده، الوكالة مقفلة، سألت جارا له، قال: أمس كان هنا، اليوم لم يفتح بابه، لعله سافر، هو كثير السفر، قالت للرجل أعرف، ربما يأتي أخبره يا عمى من فضلك أنني سألت عنه.

ـ من أقول له يا بنتي؟

ـ نجوى.... هو قريبي، سيتّصل بي حين تخبره.

ضلت تعاود الاتصال بالرقم الميّت وتتّردد على مكتب الوكالة دون طائل، لا الهاتف يرد ولا المكتب فتح، وفي كل مرة تسأل جاره– عمها فلان– فيجيبها: بأنه لم يفتح وأغلب الضن أنه سافر، وتعود حانقة تبيّت الانتقام لكرامتها المهانة وتزداد إصرارا على ملاحقته أينما كان.

هناك على الطرف الآخر نجاة وليلى وتعملان في التدبير ورسم الخطط للاتصال بمنصور بأي شكل وعلى أية صورة من أجل غاية واحدة ليس إلا، هي أن يتزوج منصور ليلى وبهذا تحقق أمنيتها، فرحة عمرها الكبرى وشفاء روحها وقلبها من عشق أرّقها سنوات وهي تنتظر بفارغ الصبر، وبالنسبة لنجاة لتفوّت على نجوى صديقتها الخائنة فرحة الاقتران به وحرمانها منه، ومكافأة لصديقتها وزميلتها المخلصة.

وهكذا أضحت اللعبة سجالا بين نجوى من جهة ونجاة وليلى من جهة أخرى ومنصور غافلا لا يدري ما يدور بسببه من صراع.

ليلى تعرضت لمنصور حين علمت أنه يتردد على مقهى معروف.

معلومة زودتها بها نجاة- انتظرته قرب باب الدخول إلى المقهى وهي تتظاهر بأنها مارّة عفوا من هناك، لفتت نظره رماها بلحظ خاطف، اغتنمت الفرصة قالت في حياء وتلعثم: كيف حالك يا منصور.

رد بسرعة وكفّ عن الدخول قائلا مرحباً، عفوا نسيت الاسم اغفر لي، ذاكرتي الضعيفة أحياناً.

ـ أنا ليلى زميلة نجاة لعلها حدثتك عني، أنا كنت قد نبت عنها في محاضراتها حين كانت مريضة.

ـ آه الآن تذكرّت أنت ليلى زميلتها في المعهد وفي نفس التخصص، هي حدثتني عنك كثيراً وكانت ممتنة منك وتحبك.

ـ وهي تحبك... لكن آسفة لما حدث بينكما أخيراً.

ـ هو القدر أراد ذلك، ولا رادّا للقدر.

ـ وما كان يجب أن يكون فراقي على ذلك النحو

ـ ذاك ما حدث... أعتقد أن وضعنا وقوفا هنا والناس داخلون خارجون وضعا ليس صحيحا. وتحركا من مكانهما يمشيان.

ـ هو ما قلت... والدنيا على اتساعها صغيرة، من قال أننا سنلتقي.

في الأمثال: الجبال لا تلتقي، كل رابض في مكانه لا يتزحزح.

والتقينا أخيراً بعد طول عذاب.

ـ عذاب! كيف كان العذاب؟ من الذي تعذب؟؟

ـ أنا تعبت كثيرا يا منصور... كنت أحبك منذ اليوم الذي أحبتك فيه نجاة، لكني انسحبت مفسحة لها الطريق، ورفضت كل من تقدم لخطبتي بعد ذلك، وضل طيفك في خيالي لا يفارقني.

ـ وما زلت على عهدك السابق؟ أقصد على حالك الأول.

ـ ولن أغير أبداً، وسأظل على المبدأ إلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا.

ـ وهل أنا أنسحب من ساحة فيها امرأة تحبني؟! أنا لا أعرف الخذلان ولا أترك من يتعشّم في، أنا أحب في اللحظة، وأنت يا ليلي حب طرق قلبي الآن وبعنف.

ـ أصحيح ما تقول؟! هل تتزوجني؟؟

أنا جاد فيما أقول، أنت الآن حبيبتي، قلبي يخفق لمن تعشقه، ويبادلها حبا بحب وإخلاصا بإخلاص.. ليلي سنتزوج.

ـ كم أنت شهم ونبيل يا منصور، أنت رجل استثناء بين الرجال، أنت ذو مروءة ونخوة ورجولة فارقة، هنيأً لمن تعيش معك العمر.

ـ أنت ستعيشين عمرك معي... صدقيني لن تفارقيني حتى لو طلبت الطلاق بالثلاثة كما فعلت نجاة صاحبتك الغبية.

ـ هي قالتها بنفسها- غبية- لكنها نادمة، وحتى لا أنسي: هي التي دفعتنى إليك بعد أن كنت متهيبة خجولة خائفة أن ترفضني، وهي من ناحية أخرى تعلم مقدار حبي لك وعشقي.

تم زواج منصور وليلي بيسر وبساطة غير معهودة في زواج بنت بكر

في الحي من قبل، هي لم تطلب شيئاً لا مهراً ولا اتباعا لمراسم الزواج المعروفة: من كسوة وحنة وغيرها، دخل بها لما تم عقد القران بشهود ومأذون وإقامة مادية لعدد محدود من الحاضرين من أجواره وأقرباء لها من بعيد، دخل بها في فيلا كان قد اشتراها في حي جديد، بعد أن باع بيته الأول الذي يقع في وسط المدينة وبثمن عال، أثثت الفيلا بأثاثات عصرية وجهزها بجميع لوازمها خلال يومين فقط، كانت فرحة ليلى لا توصف وهي تحقق أمنية تحلم بها منذ سنتين تقريبا، هي المدة التي قضاها متقطعة مع نجاة، قرر منصور أن تكون ليلي أم الولد وآخر الزوجات، كان يقول لها ذلك فكانت تكبر فيه هذه الخصوصية التي خصها بها دون نجاة، وهي لا تعلم أنه متزوج من جلبهار وآخريات دونها عقد قدمت ليلى لمنصور خدمة مميّزة، نظمت حياته، النوم في وقت محدد والوجبات في أوقاتها، والطعام مشكلا ومنوعا حسب مواصفات الغذاء الجيد، حتى الرياضة رتبت له أوقاتها، الملابس اختارتها بذوق وتنسيق وألوان تلائمه، النظافة في البيت كانت مثالية، أوجدت له جوّاً بيتيّاً لا يفضله على آخر. حقّاً بأنه تزوج فعلا امرأة تفهم أوصول الحياة، وتعرف ماذا يريد الرجل من المرأة وفي البيت، فعلا كانت امرأة نموذجية في كل شيء، هي لا تستعين بخدم، تصنع كل شيء بنفسها وتشرف على كل شيء، لا تقدم له إلا طيباً ومفيداً لحياته، جعلته يقلع عن التدخين عن طيب خاطر، وأن يحب القراءة، وفّرت له مكتبة أغلبها في الأدب تناسب ميوله، شغلت فراغه بالاطلاع على الثقافات والمعرفة المنوعة، ورغّبته

أن يستمع إلى الموسيقى، تعلم منها أشياء كلها تفيد العقل والجسم.

هناك أخرى لها علاقة قائمة بليلى وسابقة بمنصور هي: نجاة، فقد طرأ على حياتها تبدّلا وتغييراً مستغربا وغير مألوف في وسطها العلمي والثقافي، وهي أستاذة الفلسفة وعلم النفس. تزوجت نجاة من رجل يكبرها بنصف عمرها، كانت هي في الخامسة والثلاثين، وكان في السبعين، رجل أمي يمتهن بيع الكيروسين والفحم في زنقة داخلية تتفرع من شارع في الحي الذي تسكنه، لم يفهم الناس تصرفها هذا، وعدوه خروجا عن المألوف، وفعلاً شاذاً لا تقوم به مثلها، وهي العالمة المثقفة الواعية، كانت لها نظرة أخرى لا يدركها الناس، هي تدرس نفسية الناس، وتطبق ما درسته في الأكاديمية من علوم الفلسفة، مجالها دراسة الناس نفسيّاً وانثربولوجيا، ولعلها تريد تقديم بحث في السلوك والقدرات والتفكير في مجال التضاد.

نجاة تناست ما حدث بينها وبين منصور، وعدته أمرا وقعاً وانتهي، هي وقفت وقفة الند للند عندما اختلفت مع منصور، وطلبت الطلاق وهذا حقها، أجابها هو وسرحها سراحاً جميلاً وانتهى كل شيء، صحيح هي ندمت على نزقها وطيشها وتسرعها واتخاذ قرارها وهي في حالة غضب شديد، لكنها بعد ذلك تحملت مسئوليتها.

عاشت الأمر الواقع ورضيت به، لكنها أرضت نفسها حينما عرضت على ليلى صاحبتها أن تتزوج منصور، ووافقت ليلى بلا تردد

ووعدت هي – نجاة– أن تسعى في سبيل إتمام ذلك المشروع قطعاً لخط الرجعة على نجوى صديقتها التي طعنتها من خلفها حين نافستها على حب منصور، وبعد ذلك حين نصبت له الفخاخ وفعلت معه الفعل.

وها هي نجاة تزور ليلى صاحبتها وزميلتها في المعهد بعد أن تزوجت منصور، وتزوجت نجاة من العجوز بائع الفحم والكيروسين. هي الدنيا فيها عجائب ومفارقات، تناقض وتضاد، جائز ولا يجوز، سلب وإيجاب، مضحكات ومبكيات، مآسٍ ونكبات، أفراح ومسرات، سعادة وشقاء في الحياة: درواسا وكوميديا وتراجيديا، جانب مظلم وآخر مضء.

يجتمع الثلاثة ليلى ونجاة ومنصور في فضاء واحد هو غالباً صالون الفيلا الكبير: فيلة منصور وليلى، أو في الجنينة عند المساء والصباحات الدافية في الشتاء، وعلى حوض السباحة في الصيف، ويأخذ الحديث مناحي شتى، أحيانا تتحدث ليلى ونجاة عن أحوال المعهد وفي المناهج والمحاضرات حين يكون منصور يتحدّث في الهاتف وغالباً، يشغله الهاتف عنهما إما لمتابعة أعماله التجارية، أو في حديث هاتف باللغة الإنجليزية مع باولا أو ميري وراء البحر، ويشترك معهما في حوار عن الشأن العام، أو تستمعان إليه في حديث يصف فيه بعض البلاد التي زارها أو شعوبها والمشاهدات فيها، من معالم حضارية عصرية أو آثار وعن الطبيعة والجغرافيا له أحاديث أخرى.

وهما أيضاً ليلى زوجته، ونجاة مطلقته، تخبرانه عما يدور في المجتمع

المحلي من أخبار، من هنا وهناك، تتعلق بالمعارف والأجوار، وما يجد من معلومات في الحي والمحيط.

يتبادلون الأحاديث كأنهم أصدقاء أو معارف، ولا مجال بينهم لعتاب أو لوم، أو نبش للماضي أو الحاضر بخصوص حياتهم الزوجية سابقاً أو لاحقا، يتجنبون دائماً الخوض في مثل هذه المواضيع لحساسيتها بالنسبة لجميع الأطراف ذات يوم سأل منصور عن حسن نية قال:

كيف حال الشين؟ يقصد زوج نجاة، والشين كنيته.

فسرتها نجاة على غير ما يعنيها منصور: أي أنه يقلّل من قيمته وينعته بصفة هي عكس الزين.

قالت: نجاة وتبدّل وجهها فظهرت عليها علامات الغضب:

سيد الرجال.. ثم هو اسمه: ضو الشين.

ماذا قلت أنا؟ الشين.

لتعلم أن اسمه: ضو بمعنى الضياء، والشين الكنية من أسماء الأضداد.

تدخلت ليلى حينما شعرت بتوتر الموقف قالت: صحيح: الشين من أسماء الأضواء التي تستعمل للدلالة على العكس، وضوء في المفهوم المحلي بمعنى الضياء، أصابت نجاة.

وأخطأت أنا... مردودة على يا ستي، أنا أسمع على الرجل كل خير، هو كما قيل: رجل عفيف زاهد وصاحب دين عادت نجاة إلى

حالها الطبيعي فطرحت وجهها وقالت: أنا آسفة أتسرع أحيانا في أحكامي وتفسيراتي للقول، وأنت تعرف هذا فيّ من قبل، لا مؤاخذة يا ليلي، اغفرها لي يا منصور.

قالت ليلى: تدفع لترطيب الجو وعودة الحديث إلى مساره الهادي الحميم:

- وأنت قلت يا منصور: الرجل زاهد وعفيف ومتدين.

- هذا ما سمعته عنه، وألسنة الناس أقلام البارئ كما يقولون.

- هو ما قاله عنه الناس: رجل يتعفف عما في أيديهم، زاهد في زخرف الدنيا ونعيمها، يتغدى كسرة خبز ولا يبالي، ويتعش حبات تمر وماء، يلبس ما يجد من نظيف اللباس ويذهب للصلاة في الجامع، يصوم الخميس والاثنين من كل أسبوع، طيب المعشر كريم يجود بما عنده ولا يخوض في أغراض الناس، هو ضياء كما اسمه وهو الزين وليس الشين، قالت نجاة.

ونعم الرجل: قال منصور، وأضاف ومهنته شريفة: التجارة، وقدما لها رسول الله (ﷺ)، يكفى بها معاشه ويقنع.

هنيئاً لك برجل كهذا يا نجاة، وبارك لك في عمره قالت: ليلى.

- هو زوجي وأبي والحمد لله.

زاد الله الخير من حمده وشكره، هكذا نجاة حامدة شاكرة، قال منصور.

- شكرا لك، لا تواخذني يا منصور. أنت تعرف طباعي.

ـ لا عليك، وأنا أيضا لا أعرف الإساءة لأحد، أنت شاهدة وليلى.

ليلى تقول: ونعم الرجل زوجي. نضيف نجاة: وزوجي سابقا. يضحك الجمع ويتبدل الجو، وتمسك نجاة بخيط الحديث في شأن آخر لم يخطر لمنصور ولا لليلي على بال، قالت نجاة:

وماذا عن تلك السافلة الحقيرة، كلبة الكلاب نجوى؟ توجه الكلام لمنصور وتنتظر الجواب.

أعوذ بالله، قال منصور، وأضاف لصدقه، تافهة حقيرة كما وصفتها، وأنت تعرفينها ماذا فعلت ليلة زفافنا.. وقحة.

سمعت أنها لاحقتك بعد طلاقنا.. قالت نجاة.

ولم تضفر بشيء، رخيصة لا تحترم نفسها.

ليلى تقول:

هي سيرتها ليست خافية على أحد، كم من واحد ربطت معه علاقات مشبوهة، وكم من واحد زهد فيها بعد السقوط.

قلت حقاً قال: منصور... استدرك فلتة لسانه. أضاف: أخبرني صاحب لي أنها فعلت معه الفعل.

نجاة: ومع غيره... ونظرت إلى ليلى نظرة ذات معنى.

ليلى: الناس لا يسلم أحد من أحد، ورجم بالغيب وضن بعضه إثم.

منصور: ما لنا والخوض في سيرة الغائب مما يُعَدُّ غيبة.

نجاة: حتى وأن كنا على حق؟

منصور: وكيف إثبات الحق في مثل هذا الحال؟

ليلى: دعنا من سيرتها، هي أصبحت معروفة في شارعهم وفاضت سمعتها السيئة خارجه.

نجاة: كما قالت ليلى دعنا منها هي لا تستحق أن نذكرها على اللسان.

كان نبش سيرة نجوى التي بدأت بها نجاة مجرد تنبيه لمنصور أو بمعنى أنهما ليلي ونجاة سمعتا بملاحقه نجوى لمنصور، وتحذيرا منهما له على ألا يجاريها فيما تنوي.

لم تكف نجوى عن ملاحقة منصور بالسؤال عنه في كل مكان، وكل شخص من معارفه، والمتعاملين معه في التجارة عن طريق التوكيلات. حتى عثرت على أحد الأشخاص في السوق، قال لها: كان معي منصور منذ ساعة مضت، وهو راجع لي بعد ساعة بشأن معاملة تخصه، من أقول له إذا جاء؟

أنا قريبته: بنت خاله سيأتي إلى بيتنا حينما يسمع أنني جئت أسال عنه، قد يضن أن خاله مريض ويأتي دون أبطاء، خرجت من عند الرجل ولم تبتعد كثيراً رابطت في محل يبيع الملابس تقلّب وتعاين بعض الفساتين، وعينها على محل الرجل على بعد خطوات منها.

جاء منصور خالي البال من وجود نجوى في المحيط، دخل عند

الرجل، كانت هي تراقب بعين حذرة حتى رأته يدخل، بادره الرجل قائلا: كانت شابة من دقائق تسأل عنك قالت: إنها بنت خالك، وطلبت مني أن أبلغك.

قال منصور: عرفتها... لابد أن خالي مريض وإلا لما جاءت وهي تعرف أنني سأزورهم في المساء.

قال الرجل: هي قالت هذا، وخرجت من عندي منذ دقائق فقط لعلها مازالت قريباً من هنا.

أنهى منصور معاملته مع الرجل على عجل وخرج يلتفت يميناً وشماله، وخلفه ومن أمامه يتوجس أنها ستفاجئه.

هي كانت ترصده بحرس شديد حتى لا يفلت منها في زحام السوق، وما أن وضع رجله خارج محل الرجل حتى مسكت به من طرف سترته وقالت: وين يغدى الذئب من مزرق الشمس، مثل شعبي متداول، يعني: لا يقدر الذئب على التخفي عن ضوء النهار، فالشمس كاشفته، ولو لاذ بظلام الليل، فالليل يعقبه النهار وينكشف الذئب لا محالة في يوم من الأيام.

ـ ها أنت قد قبضت على ماذا تبغيه مني؟

ـ ألا تعرف ما أبغيه منك؟! لماذا هربت؟

هي ظروفي أجبرتنى على سفرة مستعجلة إلى خارج البلاد.

وبالأمس فقط جئت فقط لجأ إلى الكذب ولو إلى حين.

ـ كنت أظن أنك هربت عندما عرضت عليك أن تتزوجني.

ـ هذا أمر لا يهرب منه الرجل، لكن يجد له العذر.

ـ وما عذرك؟

ـ ألا تعرفين؟ وأنت متزوجة، هل يستقيم الحال؟

ـ وقلت لك لا أعدم وسيلة للطلاق.

ـ ولماذا وأنت متزوجة وانا متزوج؟ هل نهدم قيم المجتمع؟!

ـ أي مجتمع يا رجل؟ أنا أعشقك، ولا أطيق حياتي مع زوجي.

ـ وهذا هو هدم القيم، والتعدي على العرف، وعدم الالتزام بالخلق الكريم، والاستخفاف بالفضيلة والحق والعدل والشرع الحقيقي.

ـ وما فعلناه تلك الليلة ماذا تسميه؟!

ـ نزق وطيش، وغياب وعي، وحرام نرجو من الله المغفرة.

ـ الآن عاد إليك رشدك؟! لماذا كنت طائشا ليلتها أو لم تفكر في الحرام! الآن فقط عرفت الله.

ـ يا امرأة لماذا الإصرار على المعاصي، بل الكبائر منها؟

ـ لذلك قلت لك تزوجني.

ـ اعقلي يا نجوى- كم مرة قلت لك أنت متزوجة، وما تفكرين فيه

خطأ في حق زوجك، وحرام علي وعليك.

- ومن ستتزوج بعد نجاة؟

في هذا الوقت لا أفكر في الزواج.

- إلى متى؟

- إلى أن يقدر الله، سأنتظر سنة أو سنتين بعد ذلك يكون الأمر.

- ستجدني من المنتظرين... ومطلقة.

- تصرين على ما يبغضه الله.

- وأنت ألم تطلق نجاة؟

- هي طلبته.

- وأنا أطلب منك أن تتزوجني، ولن أطلب منك بعد ذلك الطلاق.

أيام وتسمع أنه تزوج من ليلى، يجن جنونها وتأكلها نار الغيرة والحسد، يدفعها الشيطان المحرض على الثأر والانتقام، تخرج نمرة شرسة تبحث عن منصور في كل مكان، لم تجده إلا بعد يومين، هدأت قليلا وراجعت نفسها، قررت أن تأخذه باللين لا في مواجهة مباشرة، قد تخسر فيها معركتها معه. عندما التقت به أظهرت المهادنة واللين، قالت وهي تبتسم في خبث وخديعة ومكر:

وأخيراً تزوجت (الدبة)- كانت ليلى عبلة الجسم ليس في إسراف كانت ممتلئة في شكل محبّب - ماذا أغراك فيها؟! طن من اللحم تجره

وهي تمشى؟

هي غير متزوجة، أضاف: وامرأة فاضلة.

شعرت بأنه يهينها حين قال: غير متزوجة، وأهانها عندما أضاف: وامرأة فاضلة، قبلتها على مضض إهانة صريحة لا لبس فيها... لا تريد أن تنهي المواجهة على نحو تظهر فيه هي الخاسرة، لا تقبل الهزيمة وفي جولة سريعة، الأمر الذي يريده هو، هيهات له ذلك، لا بد أن تناوره لتسقطه بالقاضية ساعتها يشفى لها الغليل.

قالت: أولا من قال لك أنها لم تتزوج؟ أجبني ثم أقول لك الثانية.

ـ لم تتزوج؟! طبعا هي عذراء.

هذه تحتاج إلى سفرة قصيرة خارج الوطن، وفي مدينة قريبة من الحدود، وبعملية بسيطة تستغرق عشر دقائق ومائة دينار، تعود كما كانت عذراء، تذهب في الصباح وتعود قبل المساء إلى بيتها، وكأنها كانت تلقي محاضرة على طالباتها في المعهد.

هات الثانية.

هي لم تقم بإجراء هذه العملية إلا قبل يوم من دخولها على مغفل مثلك، وبعد أن يكون خليلها: فلان وفلان وفلان وضلت تعدد له أسماء وهمية من بنات خيالها التي أوحي بها، الشيطان كل واحد قد شبع منها وشبعت منه.

لم يتمالك منصور نفسه من غضبه أعمت بصيرته وأفقدته وعيه وعقله، فلطمها لطمة أطارت من عينيها الشرر، ثم تلفظ في وجهها بأقذع الألفاظ، من قبيل يا عاهرة ومشتقاتها معنى وليس لفظاً، ألفاظا بردت غضبه، ومحقتها محقاً من الأرض، ضلت ترن في أذنها وتستحي أن تسمعها بينها وبين نفسها، ألفاظ يترفع عنها القلم، هي قاموس من الشتائم المحلية يحفظها منصور، ولم يتلفّظ بها من قبل، كان المكان في الشارع، والناس شهود، وكانت هي تريد أن تصرعه بالقاضية، لكنه سبقها فصرعها بضربة واحدة اختزل فيها كل النقاط.

توارت عن أنظار الناس تجر الخيبة والقهر والعهر، وذهب منصور في حال سبيله، لكنها ألقت في نفسه شكا ضل يقلق وينغص عليه حياته مع ليلى، وقتا طويلا إلى أن تأكد من براءتها على كل الوجوه، وبعد معاشرة ومصارحة، ودلائل وقرائن، وإثباتات ثابتة، ومعائشة عرف من خلالها سيرة زوجته ليلى الطاهرة، التي رمتها تلك الساقطة في مستنقع الرذيلة والقهر بالبهتان، وهي- ليلي- منه براء.

انسحبت تلك المرأة التي أصرت على مطاردة منصور من حياته، بعد أن تيقنت من قوة الرجل وشجاعته وانحيازه إلى الحق ودفاعه عنه، وأن هذه الخاصية فيه: قوة الشخصية والشدة والعنف: مساوية لجاذبيته الرجولية وسحره، وأن لا مطمع فيه بعد تلك الوقفة التي وقفها يدافع عن زوجته، وأنها لا تنال منه بعد أن لطمها تلك اللطمة التي قضت

على آمالها فيه، وأنه لن يلين لها أو تغريه بشيء مهما فعلت من أفاعيل، فالرجل ليس كما كانت تضن يغريه ويأسره الجمال، الرجل - منصور - من صنف آخر لم تعرفه من قبل.

وهبت رياح الصبا من الشمال تحمل الحنين إلى باولا، هذه المرة ليست كسابقاتها، يسافر منصور دون علم وخبر، ولا حتى عنوان يتركه، أو هاتف أو إلى أي بلد هو ذاهب، أخبر... زوجته ليل: أنه مسافر سفرة قد تطول من أجل ملاحقة أعماله التجارية في إيطاليا، وترك لها هاتفه، ثم أوصاها أن لا تتصل به إلا بعد يومين، فهو في هذا الموعد لا يكون في محل الهاتف.

تحوطا من أن تتصل فطلب باولا أو ميري على الخط- فلما وصل إلى بيت زوجته باولا ومعها بالطبع صديقتها الحبيبة ميري التي أصبحت لا تفارقها، طلب من باولا ألا ترد على الهاتف حين يظهر (كود) الطالب على الشاشة، وتعلم أنه من بلاده، وهي تعرفه بالضرورة- كان في ذلك الوقت قد تطورت تقنيات الهواتف السلكية فأصبحت تظهر الأرقام على شاشة صغيرة في الجهاز.

في المطار الداخلي: المحلي، وجد باولا وميري في استقباله، لا حرج في أن تقبل الزوجة زوجها وتحتضنه، تقدمت باولا من منصور وهو يحمل حقيبة يده الصغيرة فقط- هو لا يصحب حقائب كبيرة يحمل فيها ملابسه، إذ الملابس الخاصة به من كل شكل ولون تملأ شقة باولا-

تقدمن منه هي الأولى فقبلته وعانقته، ثم تأخرت منه لتتقدم ميري منه، فتقبله ويقبلها قبلات الصداقة والود، فكانت هذه أول مرة يلامس خدها الناعم، ويتنسمّ عطرها الشذى فيحس بنشوة تغمره من الداخل ويضمه شعور بالزهو والفرح الجميل، بلغة مشتركة بينهم الثلاثة (الإنجليزية) ضلوا يتبادلون كلمات الترحيب، والحمد على السلامة، والسؤال الخفيف عن الحال والصحة، وهم يخرجون من ردهات الاستقبال الواسعة في المطار، ويتقدمون نحو السيارة الفخمة الرابضة في الأماكن الخاصة بسيارات المستقبلين، تقدمت ميري من سيارة (كادلاك) من آخر طراز، ذهبية اللون ومن الحجم الكبير، لمست على مفتاحها الالكتروني، فانفتحت الأبواب أشارت إلى منصور بأن يأخذ مقعده في الأمام بجانبها، وجلست باولا خلفه وتسلمت هي مقعد السيارة، وانطلقت بهم في الطريق، وصلوا إلى العمارة الكبيرة، دخلوا إلى الكهف تحت العمارة، نزلوا جميعا وضعت ميري السيارة في المحل المخصص لها، قفلت السيارة أوتوماتيكيا، واقتربت من منصور تنور وجهها بسمة ساحرة، قالت: تفضل مفتاح سيارتك، بهت الرجل من المفاجأة، لكنه أدرك نفسه فالموقف من جانبه لا يجب أن يظهر منه الفرح، أو أية استفسار، وتذكر مثلاً شعبياً (لا يفرح بالهدية إلا ولد الرعية) أخذ منها المفتاح، قال: شكراً يظهر أنها قادمة من سان فرانسيسكو.

هي قالت: أوصى بها إلي جون كهدية بمناسبة عيد زواجنا الخامس،

وأنا بدوري أهديها إليك.

لكن الهدية لا تهدى ولا تباع، ولا تقدر بثمن.

أنا لم أقدّر ثمنها، فهو مدفوع على كل حال، ولم أبعها ولم أهديها.

تنازلت عنها لإنسان عزيز هو أنت، وأنت الرجل الذي يقودها حين نخرج للنزهات، والزيارات للمدن والمنتجعات السياحية، فقد وضعت أنا وباولا برنامجا لذلك يستغرق شهرا نجوب فيه إيطاليا من الألب في الشمال وحتى القرم وسيشليا في الجنوب.

تكلمت باولا: لقد وعدنا ميري من قبل أن نقوم وإياها برحلة سياحية في جميع ربوع إيطاليا ومعالمها الأثرية والسياحية، وأنت الذي اقترح هذا أنسيت؟

- لا لم أنس ستكون رحلة جميلة حقا، خاصة وأن الصيف بدأ يطل وفيه يحلو السفر.

ولسهر قالت: باولا - ضحكوا جميعاً فكانت (قفشة) غطت على الموقف الذي شعر فيه منصور بنوع من الإحراج.

حكاية السيارة الهدية والرحلة السياحية، كان من تخطيط وتدبير باولا، كخطوة في سبيل التقارب أكثر بين ميري ومنصور، وكانت قد روّضتها على تقبل الاقتران بمنصور، بعد جدال طويل بينهما، كانت فيه باولا واقعية تؤمن بالقضاء والقدر، وأن الحياة لا تتوقف، وستضل

مستمرة يأخذ كل إنسان منها نصيبه المقدر، واشترطت ميري أن يتم هذا بعد مغادرة باولا الدنيا لا قدر الله، ووافقت باولا مقتنعة بأنها حصلت على نصف النجاح، لكنها كانت تأمل أن يتم مشروعها الذي خطّطت له في حياتها، لترى حبيبها يتقبل منها أغلى هدية تقدمها له.

حتى الآن لم تفاتح باولا منصور لا برغبتها في أن يتزوج ميري ولا بمرضها الخطير الذي يقربها كل يوم إلى القبر.

في ذلك اليوم لم تبق ميري طويلا بعد العشاء كعادتها عندما كانت لوحدها مع باولا، أخذت من مكتبة صغيرة ملحقة بالصالون كتابا لبرانديلي مترجما إلى الإنجليزية، أستأذنت وهي تبتسم قائلة سأنشغل ساعة قبل النوم مع هذا الكاتب الرائع.... تصبحون على خير.

بعد وقت قليل دخل منصور وباولا جناحهما وانشغلا في حديث الفرحة والغياب، قررت باولا أن تفاتح منصور بنيتها الصادقة المخلصة بشأن زواجه من ميري الذي هو أمنيتها قبل أن تغادر الدنيا، وكذلك بخصوص مرضها الذي لا يعلمه حتى تلك الساعة، قلّبت الأمر... الظرف غير مناسب في تلك الليلة... سيظل منصور يجافيه بما فيه النوم حتى الصباح مفجوعًا من الأمرين: زواجه من ميري ومرض باولا الخطير... أرجأت الموضوع إلى الصباح.

وقف منصور ينظر إلى الخارج من خلال الزجاج، بعيداً قليلاً عن باولا وميري، وهما مازالتا جالستين إلى مائدة الإفطار، أسرت باولا إلى

ميري، أن الظروف غير مناسبة البارحة، فلم أخبر منصور بشيء، أما الآن فستكون المصارحة وعندي إحساس بإقناعه.

قالت ميري:

سأنسحب، حتى لا يكون الإحراج... ترفقي بالرجل، سينزعج جدّاً من خبر مرضك.

سأنجح في إقناعه بحول الله في موضوع الزواج، أما عن المرض فهذا قدر، ولا اعتراض له عليه، هو رجل واقعي ومؤمن بقدر الله.

قالت ميري على مسمع من منصور: باولا أنا سأختلي بهذا الكتاب ساعة من زمان في غرفتي... اسمح لي سيدي منصور.

- لا عليك وأنا وباولا سنجلس في (التراس) حتى تأتي نهضت باولا وقالت لمنصور:

تعالَ هنا نجلس في الصالون، نسمات الصباح مازلت باردة، هنا أفضل حتى تخرج ميري لنفكر في جولة قصيرة خارج المدينة حتى ساعة الظهر.

جلست وجلس منصور وهو منتعش رائق البال فرحاً مستبشرا كعادته حين يكون مع باولا، كانت أمامه قهوة. رشفت باولا من فنجانها، ثم نظرت في وجه منصور جادة، قالت:

منصور أصغ إلي بانتباه، وتفهم ملياً كل كلمة أنطق بها، كن واقعيّاً أولا: ولا تنزعج ربما في الأمر ما يزعج.

لكن عهدي بك أنك رجلا قدريٌّ وتؤمن بقضاء الله وقدره والحياة أفراح وأطراح، مرة سعادة أحيانا، وأحيانا أخرى مشقة وأحزانا، وعلينا تقبلها وبما تأتي.

ماذا في الأمر؟ كيف لا أنزعج وأنت تقولين هذا الكلام ألا أوضحت يا امرأة، يخيل إلي أنني سأسمع شرّاً مستطيرا.

- ما ستسمعه ربما يزعج في جانب منه، لكنه يفرح في جانب آخر.

- عجلي بما عندك من أخبار يا باولا لم أعد أطيق صبرا من فضلك.

- اسمع حبيبى: أنت يجب أن تتزوج ميري.

- هذه لا تفرح، بل تزعج.

- كيف لا تفرح؟! أن تتزوج امرأة تحبها وتحبك... لا تفرح؟!

- تحبني، لعل ذلك صحيحا، لكني لا أحب أخرى في وجود باولا.

- في هذه ربما يكون لك الحق... لكن ماذا يكون الحال في غياب باولا؟

- غياب باولا؟ ماذا تقولين؟ أتنوي الفراق؟! هذا لن يكون أبداً، مستحيل أن تزهد في باولا وتفارقني.

- صبرك علي... حتى لو كان الفراق بغير إرادتها؟

- ماذا تعنين؟ لماذا تلغزين الكلام؟

- ألا تؤمن بقضاء الله وقدره؟

- هل تفكرين في الانتحار؟! أتريدين الموت.

- الموت يريدنا ولا نريده، مفروض علينا، وحين يأتي لا نستطيع رده.

- هذا صحيح- لكن لماذا نتحدث في موضوع الموت، وأمامنا فسحة في الحياة؟ الموت سيقع في يوم من الأيام، لنتركه ليومه.

- عليك إذا أن تسمع منى وكن شجاعا متقبلًا للأمر برباطة جأش ومؤمنا صابرا، ولا تنزعج، أنا نفسي مرتاحة للأمر.

- ماذا في الأمر يا باولا أفصحي لا تزعجيني، ماذا دهاك؟

- قلت الحق، ماذا دهاني... هي فعلا داهية أصابتني منذ أكثر من سنة ولم أخبرك والآن جاء الوقت الذي أبين لك فيه كل شيء: أنا مريضة يا منصور، ومرض خطير. ورم سرطاني ينهشني من الداخل، وأيامي معك معدودة. اصفر وجه منصور واضطرب اضطرابا شديداً، ونكس رأسه في الأرض قائلا: لا تزيدي.

صمت بينهما قليلا من الوقت، كسرته باولا وهي تبتسم في وجه منصور قائلة:

حبيبي ما بك؟ عهدي بك رجل شجاع واقعي، تعرف أن الموت أمر محتوم، ولابد منه في يوم من الأيام، هو لا يتأخر ولا يتقدم عن موعده، وكما في الحياة مسرات فيها أحزان، ولو عددت المتضادات في الحياة لما انتهت، الحياة نتقبلها بخيرها وشرها، إذا كنا مؤمنين بالله،

القضاء والقدر جزء من الإيمان.

نعم ما تقولينه صحيح، لكن الأمر بالنسبة لي نزل على كالصاعق، ليس بالأمر الهين هذا الذي أخبرتني به.

وأنا أخبرني به الأطباء منذ أكثر من سنتين، وكنت أخفية عنك، لكن الآن الأيام اقتربت من النهاية، وأنا أخبرتك لتكون على علم، ومن أجل أن أبرر زواجك من ميري الذي أعرف أنك سترفضه دونما أسباب والآن ها أنت عرفت السبب.

وهذا الذي لا قدرة لي على قبوله، ليس زهداً فيها أو أنها بها عيب، هي ودودة وتحبك وتحترمني، لكن الأمر مرفوض بالنسبة لي وأنت حاضرة، أنت وحدك في القلب يا باولا.

ـ ولنفرض أنني غبت؟

ـ لا غيبك الله... ولماذا تغيبين؟

ـ قلت لك أيامي معدودة يا حبيب، وأنا راضية بما قدر لي. أنا لن أعيش أكثر من ستة أشهر أخرى.

ـ لا تقولي هذا... أنا لا أصدق ما يقوله الأطباء.

ـ أنا أعرف أن الأمر ليس بهين عليك، وتتمنى أن يكون قلته لك غير صحيح، لكن هذا شيء والحقيقة شيء آخر، طاوعني حبيبي في ما عرضته عليك... تزوج ميري... ساعتها تكون أحسنت لي، وأكون راضية عنك،

أنا أريد أن أطمئن عليك، وميري تستحقك وأنت تستحقها.

ـ لا تعيدي الحديث في هذا الموضوع الآن يا باولا من فضلك، أنا مصدوم من الخبر السيئ الذي سمعته منك، وليس مناسباً الحديث فيه قبل أوانه.

ـ نتكلم فيه مرة أخرى، أليس كذلك؟

نعم، الآن اتركيني لوحدي، ما زلت تحت تأثير الصدمة ولم أستوعب كل ما تقولينه لي، فراقك ليس بالأمر الهين يا باولا.

أنا داخلة عند ميري وأنت فكر فيما قلته لك بخصوصها بترو وحكمة، وكن كما عهدتك عاقلا واقعياً يؤمن بالقدر. دخلت باولا على ميري وفي وجهها علامات الرضاء والاطمئنان.

بادرتها ميري متسائلة:

ـ كيف تقبل الأمر؟ أرجو أنه لم ينزعج لكن في وجهك شيء آخر.

وجهي فيه أمل في أن يوافق على الزواج منك، وهذه أمنيتي كما تعلمين، لكنه لم يقطع برأي ولم يشأ أن نناقشه.

وهو ما زال تحت تأثير صدمة خبر مرضي الخطير الذي نزل عليه كالصاعقة وطلب مني أن أتركه لوحده.

ـ الآن يجب أن نذهب إليه لعله هدأ، ونهون عليه الأمر، وأنت بالذات يا باولا، حينما يجدك في معنويات عاليه تزول عنه الكآبة

والضيق، علينا أن تكون بجانبه ليستأنس بنا ويطرد الهم قالت ميري.

هيا بنا، نعم الرأي وأنت يا ميري لا تظهري له شيئاً من الأسف على ما بي من علة، ولا تذكرى إلا ما يسر ويفرح، بل تبسطي معه بشيء من حديث الطرافة والفكاهة.

لابد أن نخرجه من الجو الذي هو فيه، وأرى أن نقصد جميعاً مقهى الشمس القريب لنبدل المكان ونرى حركة الشارع والوجوه، جزء من بانوراما الحياة.

جاءت باولا تتبعها ميري إلى حيث يجلس منصور في صالون جانبي صغير قرب المكتبة، قالت ميري:

صباح الخير منصور، نست أنها صبحت عليه بالخير حين جلسوا جميعاً على مائدة الإفطار قبل أن تدخل غرفتها ومعها الكتاب.

رد تحيتها وطرح وجهه، ثم قال تفضلوا اجلسوا جلست باولا بجانبه وميري قبالته ومازال في يدها الكتاب، وقد طوت الصفحة التي انتهت عندها القراءة.

قال يفتعل تغيير الجو الذي وجدته فيه: لعل برانديلو سحرك كما سحر غيرك من قرَّائه؟

ـ كاتب رائع، من أعظم كتاب إيطاليا، وحكمي هذا لا ينصفه فأنا اقرأه مترجماً، لكن من يقرأه في الأصل، أقصد النص في لغة برانديلو ـ

لابد يكون قد قرأ نصا في غاية الروعة. باولا تقول:

هو من أكبر الكتاب المعاصرين في العالم.

ميري: لا شك في هذا، مفكر كبير، وكاتب في أسلوبه سحر.

منصور: لو خرجنا إلى مقهى أو حانة أشعر بأني في حاجة ربما إلى الشراب، لكنه محرم علينا أنا وباولا قد أقلعنا عنه يوم زواجنا، هل هناك من شيء آخر يا باولا يخرجني من ثقل الحزن الذي أنا فيه؟

ولماذا الحزن؟ أما زلت تحت تأثير ما أخبرتك عنه منذ قليل؟ أين عزيمة الرجال؟ هون عليك، الأمر لا يستحق كل هذا، ثم ماذا نحن فاعلون أمام إرادة الله، وهل الموت إلا قدر محتوم، يطالني ويطالك وميري وكل البشر الذي يدب الآن على الأرض؟ عش أنت وأنا وكل الناس للساعة التي نحن فيها، دع حزنا لا يفيد في شيء يا حبيبي وهيا إلى مقهى الشمس، وهناك سيتبدل الحال قالت باولا.

خرجوا جميعاً وجلوسا في ركن من مقهى الشمس، جاء (القرسون) طلبوا قهوة ساخنة (كابتشينو)، أمهله منصور برهة ثم قال هل عندكم سجائر؟

قريباً من هنا سأحضر لك السجائر.

ميري قالت: لم أرك تدخن من قبل!

باولا: ولا مدخنا منذ ثلاث سنوات إلى الآن.

ولم أعرف في حياتي التدخين من قبل، قال منصور.

لا بأس لعلها تخرجك مما أنت فيه، أو تجد فيه تله يزيل هذه الكآبة من على وجهك الذي لم يكن عهدنا به هكذا.

قالت ميري:

باولا، ولا تكثر نحن نراقبك ولا نسمح لك بأكثر من واحدة أو اثنتين.

ميري: لا أنا أسمح له بثلاثة ولا يزيد.

أنا تحت أمركما قال منصور.

جاء القرسون بعلبة سجائر (مالبورو) وضعها على الطاولة وانصرف.

قالت ميري: هل أنت تدخن هذا النوع من السجائر؟

منصور: أنا لا أعرف جميع السجائر من قبل، وهل هناك فيها اختلاف؟

هي أنواع كثيرة، لكن لا بأس بهذه، هي ما يدخنه الشباب.

ومازلنا شباب والحمد لله، وتبتسم في وجه ميري ابتسامة خفيفة.

فرحت باولا وصفقت بيديها تصفيقا خافتا، ورفعت أصبعها الإبهام تشجعه، كأنها تقول له: صح هكذا أريدك.

فطنت ميري إلى أن منصور يحتاج إلى أن يشعل السيجارة، هو لا يحمل (ولاعة) ولا كبريتا في جيبه قبل الآن، نادت ميري القرسون بالإشارة، جاء طلبت منه ولاعة، كانت في جيبه حاضرة وإنّه يسعف

بها المدخنين بطلب منهم أو تطوعا منه حين يكون قريبا ويرى مدخنا يسحب علبة دخان من جيبه.

أشعل القرسون لمنصور سيجارته، وانتظر لعل أحدى السيدتين تريد أن يشعل لها سيجارة، تجرأت ميري فأخذت العلبة من أمام منصور وسحبت واحدة، ولعها لها القرسون.

نظر إليه منصور تبسم مستغرباً:

باولا تنبّه ميري: حزاري من بعض التقليد.

التقليد يصبح عادة قالت ميري.

والعادة تتحكم في صاحبها.

منصور يقول: وخير عادة أن لا يكون للإنسان عادة.

يسحب منصور نفسا من السيجارة المشتعلة: يأخذ شهيقا ويكتمه، ثم يرسله زفيرا، لكن مركبات التبغ تلامس الحنجرة والقصبة الهوائية: فتكون دخيلة غير معتادة. يفاجئه سعال حاد متتابع حتى كاد يشرق، تجحض عيناه وتدمع، ينظر في وجه باولا وميري ليرى ردة فعلهما تقول ميري: أنت لم تعتادها بند، وتنقصك التجربة أنا عارفه من قبل مؤثر التدخين لا تكتم الدخان وتبلعه، وحاول أن تخرجه من خياشيمك، أنفثه هكذا من الفم، وأخرجت الدخان من خياشيمها فصار ضبابا خفيفا في الهواء.

قال منصور: أكانت لك تجربة سابقة مع الدخان؟

كنّا ونحن طالبات وطلبة في الجامعة، نتعامل معه على سبيل التجربة وتقليد بعضنا البعض، بعضنا أقلع عنه قبل أن يتمكن منه، وبعض لم يقاومه فأصبح مدمناً.

تقول باولا: أرجو ألا يتمكن منك يا منصور: إنه آفة إن داوم صاحبها قتلته.

لذلك تكتب بعض الشركات المنتجة للسجاير على العلبة: الدخان ضار بالصحة، قالت ميري:

والمفروض أن تكتب هذه الشركات المنتجة: عبارة الدخان يقتل، قالت باولا.

وما لنا نحن وضرره حتى يقتلنا؟ سنقتل رغبتنا فيه من الآن، أنا لن أكمل هذه السيجارة، وإن كان للموت أجل.

ضحكت باولا وقالت، الآن أنت مؤمن بالقدر، وقد ذكرها بما تقوله له دائماً حين تذكر مرضها، ومن جهة أخرى أنت صاحب عزم، ودعها وهي السيجارة الأولى ولا أسف عليها. أما أنا فأكمل سيجارتي، فهي لا تضرني بالطريقة التي أتعامل بها معها وأنا أشجع من منصور، قالت ميري.

وقت قصير في الحديث عن السيجارة وما خلقته من جو أبعدهم عن جو كان مخيماً عليهم، وخاصة منصور حين صارحته باولا بمرضها،

وضل صامتاً لا يتكلم ولا يرغب في من يكلمه، إلى درجة أن طلب من باولا أن تتركه يخلو بنفسه، وذهبت هي إلى ميري في غرفتها، ثم كان خروجهم إلى المقهى، وطلبهم (للكبتشينو)، ثم كانت السيجارة، كل ذلك غير الحال، وأخرج منصور من حزنه الذي كان ينوء تحت ثقله، وهذا ما كانت ترومه ميري من دعوتهم للخروج إلى أي مكان غير المكان.

بعد خروجهم من المقهى، اقترحت باولا أن يقصدوا منتزها على بعد ميئات الأمتار سيرا على الأقدام، كرياضة للمشي وتفرجاً على المرئيات في الطريق، من جماد وشجرة وبشر، وفي المنتزه مشاهدات أخرى تسر العين وتروح عن النفس، وهناك أيضاً يكون الحديث حرّاً لا يتصنته أحد، والحركة والجلوس كما يحلو لهم على مقاعد من رخام، والسمع تملأه زقزقة العصافير، فتطرب القلب وتبهج الروح. سار الجميع في شارع طويل يوازي الشارع الذي يقع فيه المقهى، بعد أن عرجوا عليه بواسطة طرقة صغيرة تفصل بين الشارعين، على طول الطريق كانت هناك أشجار مزروعة على الجانبين، متساوية بينها المسافات ومقلمة بشكل موحد، ولها أحواض مربعة الشكل معدة بعناية ومطلية بالجير الأبيض، كذلك كانت سوق الأشجار مطلية إلى النصف.

كان سير الجماعة في الطريق على الرصيف متوسطاً، لا سريعاً ولا متمهلا، مشية قالت ميري- وهي ترتدي الجين الأزرق- صحيَّة، أما باولا فكانت ترتدي: جيب (تنورة- قونه) كلمات تستعمل في اللغة

العربية وهي غير عربية، هي من المفردات الوافدة والمستوطنة، جاءت عبر الغزوات والزحوف والاحتلال والاستعمار- غزو ثقافي- وفوق الجيب كانت باولا تلبس قميصا خفيفا لبني اللون، ومنصور يرتدي بدله صيفية كاملة مع قميص أبيض محررا من رباط للعنق، وكل منهم ينتعل صندلا واطي القدم ويساعد على المشي. في الحديقة جلسوا على مقعد رخامي واحد قبالة نافورة صغيرة تنثر الماء مع ضجة خفيفة تسمع من قريب، وحول النافورة مجموعة كراسي من الرخام المثبت بقواعد أسمنتية تناثرت هنا وهناك احتلت بعضها عجايز بعضهن يصحبن نوعا من الكلاب صغيرة الحجم (مانين) في رقابها قلايد تمسك بها تلك العجايز، وبعض متحررات من كل عائق إلا من حقائب يد صغيرة هي من لوازم المرأة في جمع أطوار العمر، وهناك أخريات يصحبن عصاً من الخيزران يتوكين عليها عند النهوض، وتساعدهن أثناء المشي، وكلهن تسربن من عمارات قريبة من المنتزه، يأتين في الصباح ويعدن عند الظهر، عادة يوميه اعتدن من عليها صيفا وشتاء، هي رياضتهن ونزهتهن معاً فيما تبقى لهن من الحياة. بعد ساعة من الجلوس في ذلك المنتزه الصغير الذي أنشئ خصيصاً لسكان ذلك الحي- عمارات متوسطة الارتفاع- تسكنها طبقة متوسطة في المجتمع، منها الموظفون في الدولة والشركات، وتجار وأصحاب مهن وحرف مختلفة وآخرون من المتقاعدين.

بعد تلك الجلسة في ذلك المنتزه، وسيرا على الأقدام ذهابا وإيابا

وتلك الأحاديث البعيدة عن جو الكآبة والحزن والتفكير في مرض باولا الخطير، الذي كان مسيطرا على منصور، تبدل حاله نوعاً إلى أحسن، فأصبح يحاور كل من باولا وميري، ويشاركهما في واجب الرفقة، مشاركة وجدانية، حتى في الضحك والتعليقات الساخرة، وملاحظتهن لتصرفات تلك العجايز، وهن يتعاملن مع كلابهم الصغيرة، أو تلك التي تنهض بصعوبة تتوكأ على عصا، أو التي تقرأ في رواية بين يديها، وماذا في الرواية من وصف لحياة الشباب مثلا، أو مغامرات الشابات اليافعات، والنساء الناضجات، وعقلاء الرجال، والتضحيات والغرايب وحتى الفضائح والمفارقات، وما في الروايات من خيالات مجنَّحة، كان جوا بعيداً عن الأحزان والشعور النفسي بالإحباط الممزوج بالشفقة والأسف على شباب باولا التي ستفارق الحياة بعد شهور شعور خيم على نفس منصور حين أن سمع من باولا ذلك الخبر الذي صدمه صدمة لم يفق منها إلا بعد أن غادرته باولا بطلب منه، وحين عاد إلى رشده وآمن بقضاء الله وقدرهن.

تلك الجولة القصيرة، أو الخرجة من شقة باولا والجلوس في المقهى، ثم بعدها السير على الأقدام إلى موقع المنتزه والعودة منه إلى الشقة قبل الظهر، وتلك الدقائق التي عاشها الجميع مع السيجارة فعلاً وتعليقا فيه تحذيراً من باولا، وتحدى من ميري، وإصرار من منصور على مقاطعتها إلى الأبد، كل ذلك كان من الجرعات المسكنة لما شعر به

منصور من حزن عميق على مأساة باولا وفراقها الوشيك لهذه الدنيا التي يقول عنها دائماً: أنها فانية شهران كاملان وزاد عليهما منصور خمسة عشر يوما قضاها مع باولا وميري، يتنقلون بين شقة باولا في المدينة وفيلة وفيلتها الواسعة في الضواحي وبين فيلة ميري أو قصرها الصغير الذي اشترته على ضعاف بحيرة كومو، بعد أن أجريت عليه إصلاحات شاملة وتم تأثيثه وتجهيزه بجميع اللوازم.

كان منصور قد أخبر زوجته ليلى قبل سفره: أنه سيغيب شهرين تزيد أو تنقص أياما حسب الظروف، لكنه حين علم بمرض باولا، قرر أن يمدد بقاؤه مع باولا ليشد من أزرها ويملأ عليها الدنيا بوجوده، فهي عندما يكون منصور معها، تقبل على الحياة بعزم، وتنسى مرضها ونهاية حياتها التي قررها الأطباء ومعاهد الأورام والتحاليل، وتعيش في سعادة وسرور، لا يخالطه ولا تشوبه شائبة ولا أفكار سوداء، تضحك كثير، وتغترف من نعيم الحياة كثيراً، وترمى وراء ظهرها شبح الموت ولا تفكر فيه. وفي ضحى أحد الأيام والجماعة: باولا وميري ومنصور في تراس الشقة الواسع في جلسة حميمية دافيئة يحتسون القهوة بعد الإفطار... رن الهاتف قريبا منهم داخل الشقة في ركن من المكتبة، دخلت باولا لترد طالعها الكود... من بلاد منصور... عادت وأشارت إلى منصور بالرد على الهاتف.

دخل على عجل، وقدر أحس في لحظة شعور بوجود خبر سيء،

هكذا الاحتمالات السيئة تسبق إلى الخاطر المفرحات والعادية.

قال: آلو ردت عليه ليلى زوجته بصوت تخنقه العبرات والدموع، ولم يفهم منها إلاّ تمولها: نجاة ماتت.

كيف ماتت؟ قالها دون أن يعي ما يقول، فهو قد وجه السؤال في صيغة إنكار وسذاجة، اهتز كيانه، ولم يصدق أن نجاة ماتت فعلا، وعهده بها قبل أن يسافر لا تشكو علة، وهي ما زالت في ريعان شبابها، وكانت راضية على زواجها بالحاج ضو الشين الذي يكبرها بأربعين سنة، وراضية من جهة أخرى على زواج منصور من ليلي التي كانت هي عرّابه، وكانت قبل يوم واحد من سفر منصور في بيته مع ليلي وهي في صحة وعافية، تستشرف المستقبل وتحدث عن مشاريع ستقوم بها وكأنها ستعيش لعشرات السنوات القادمة، حتى إنها فكرت في بعث مدرسة خاصة تقوم فيها بالتدريس هي وبعض زميلاتها ومنهم ليلى، وناقشت في ذلك اليوم المشروع مع ليلي باستفاضة وأشركا معهما منصور في استشارته في جدواه الاقتصادية.

أعاد منصور السؤال على ليلي التي كانت تخنقها العبرات: كيف ماتت؟

الآن لا أستطيع الإجابة، عندما تأتي ستعلم كل شيء وضع السماعة وجلس على أقرب كرسي وجده، وضل صامتا حائراً في الأمر.

استبطأت كل من ميري وباولا منصور في الداخل، دخلت ميري

لترى ماذا حدث، وجدت منصور: جالسا في صمت مريب، يمسك برأسه بين راحتيه وينظر في الأرض.

مالك منصور؟ هل من خبر سيئ لا قدر الله؟

هز رأسه: إشارة: أي نعم، دخلت في الأثناء باولا، وجدته على تلك الحال انزعجت وقالت: مالك حبيب هل حدث مكروه، ضل صامتاً، ردت عليها ميري: نعم قال: إنه سمع خبرا سيئاً.

ماذا؟ قل لي حبيبي، هل مات أحد من الأسرة؟

تكلم فقال: نعم ماتت زوجتي.

ـ أنت لم تقل من قبل أنك متزوج!

ـ كنت متزوجا بها منذ سنوات، هي مطلقة، لكنها كانت سيدة وفية ولم أر منها إلا خيرا، ثم إن الموت لا نحبه لأحد، نكرهه وهو حق علينا.

ـ وما العمل الآن؟ هل ستسافر؟

ـ حالا لو وجدت رحلة اليوم من هنا ومن المطار الدولي إلى بلادي.

ميري تقول: سأبحث لك حالا، هناك مكتب لخدمات السفر قريبا من هنا سأتصل به وأرتب لك السفر على أول رحلة، وتخرج للقيام بالمهمة.

ضلت باولا مع منصور تهون عليه، الأمر وتقوى عزمه بكلمات التعازي والصبر على المكروه، ثم خطر على بالها سؤال ليس في محله لكنه ألحّ فلت به لسانها قالت:

ـ هل السيدة عندها أطفال؟

ـ لا هي لم تنجب، وتم طلاقنا بعد شهر واحد من زواجنا.

ـ هذا مما يخفف المصيبة رحمها الله.

ـ وأمها مازالت على قيد الحياة، وهي الآن ملتاعة ولا من يقوي عزمها ويشاركها أحزانها فى بنتها الوحيدة.

ـ هل كنت تحبها؟

ـ ولماذا تزوجتها؟ أغيرة من الأموات؟!

ـ سامحني حبيب، هذه أسئلة ليس هذا وقتها؟

وتدخل ميري وفي يدها التذاكر... قالت: أنت محضوض، بعد ساعة الإقلاع من هنا، وانتظار ساعة في المطار الدولي ثم الإقلاع من هناك إلى بلدك، الوصول بعد ساعة ونصف.

شكراً يا ميري على هذه المساعدة، كنت لا أقوى على إنجاز هذه المهمة وأنا على هذه الحال.

هذا واجب علي، أنا وباولا بالنسبة لنا أنت بمثابة الزوج والأخ الكريم.

أنتما أكرم، وأنا مدين لكما قبل شيء، وعودتي قريبا إنشاء الله، حالما أقوم بواجب قبول التعازي والحضور في هذا الوقت العصيب بالنسبة لوالدة زوجتي سابقا واجب لابد منه، فهي وحيدتها كما قلت لباولا، والوقوف بجانب تلك السيد الملتاعة من الشهامة والمروءة والخلق الكريم.

ميري: هذا معهود منك، رافقتك السلامة والآن هيا إلى المطار حان الوقت.

يخرج منصور وليس في يده شيء عدا حقيبته الصغيرة التي جاء بها، ترافقه ميري وباولا إلى المطار المحلي، فودعانه وتعودان.

يصل منصور إلى بلاده قبل العصر، ومن المطار رأسا يذهب إلى بيت والدة نجاة حيث يقام المعزي، يجد جماعة قليلة من أقارب نجاة الأباعد يتقبلون التعازي جلوسا على مقاعد أرضية (منادير) وسط خيمة متواضعة يعزيهم ويقبل التعازي منهم، يدخل إلى البيت بعد أن يستأذن من عجوز: يظهر أنها قريبة والدة نجاة، كانت تقف خارج البيت، في الدخول إلى (المربوعة) أين توجد والدة نجاة طريحة الفراش من وقع الصدمة- طلب منصور من العجوز أن تدخله عليها ليعزيها ويشد من عزمها.

دخل منصور على والدة نجاة وكانت العجوز قد أخبرتها، جلست المسكينة بصعوبة، وهي تلهج باسمه: منصور يا كبدي ضاعت مني ومنك نجاة، انحنى منصور يعانقها والدموع منه تسقط في حجرها، وهو يغمغم بكلمات التعازي المعروفة، ثم انتصب وخرج خجلا من نساء كن يحطن بالعجوز المفجوعة أم نجاة، لم يتبين واحدة منهن، فالموقف لا يسمح بذلك لكنه قدر بينه وبين نفسه أنهن من زميلاتها ـ نجاة ـ في المعهد ومعارفها وبعض القريبات، وربما حتى من جارات الحاجة أم نجاة وكانت ليلى زوجته موجودة.

ضل في بيت العزاء حتى خرج بقية المعزين الذين جاءوا في الليل لمؤانسة أهل الميت، وتبديد الوحشة عنهم كما جرت به العادة، بعدها عاد وزوجته إلى بيته، ليعرف منها بعد ذلك: أن نجاة كانت قد انتحرت، بأن ابتلعت كمية كبيرة من أقراص الأسبرين وكان زوجها من حضها التعس في تلك الليلة عند أخيه في منطقة خارج المدينة: ضل منصور يتأسف لما أقدمت عليه نجاة وهي الأستاذة صاحبة العقل والمعرفة وفهم الحياة، وأنها كانت مؤمنة تؤدي واجباتها الدينية، وليس متطرفة ولا ملحدة.

قالت ليلى زوجة منصور: وجدنا فوق مكتبها رسالة معنونة باسمك، مكتوب عليها ملاحظة: لا يفتحها إلا صاحبها.

أين هي هاتها.

كانت ليل تحرس عليها أشد الحرس، وضعتها داخل كتاب في المكتبة، خرجت فأحضرتها ومدت يدها بها إلى منصور.

قرأ فيها الآتي: منصور: سامحني على ما أقدمت عليه، كان ذلك بسبب ضغط نفسي لا يحتمل، نتيجة ندمي وحسرتي على التفريط فيك، كنت أحسب نفسي ندا لك عندما قبلت التحدي وقلت لك طلقتي، وإمعانا في التهور، طلبت الطلاق بالثلاثة، وكنت أنت الرجل الغيور على كرامته فقابلت التحدي بالتحدي، هو الرجل الشهم لا يقبل الزهد فيه من المرأة ثم قرأ: تركت مبلغا من المال في البنك ليس بالمبلغ الكبير، هو مناصفة بين زوجي وأمي وأوصيك أن تكفلهما، زوجي يا منصور

رجل عفيف وشريف ومن أولياء الله الصالحين، لا تفوتك دعواته، ارعاه وقدم له ما استطعت من مساعدة سامحني وأوصيك بليلي.

أعاد منصور قراءة الرسالة بصوت مسموع على ليلى فأجهش وأجهشت بالبكاء، وترحم عليها رحمة واسعة.

نفذ منصور وصية نجاة كما في نصها، قسم مالها بين والدتها وزوجها، طلب من أم نجاة أن تعيش معه فأبت، ضل يرعاها في كل ما تحتاجه، تشاورا مع زوجته أن يستضيف زوج نجاة استضافة دائمة، فهو رجل مسن، ويحتاج إلى رعاية كاملة في جميع شؤونه وافقته زوجته، جاء الرجل يعيش معهما عن طيب خاطر، وكان قد أصابه الوهن وتخلى عن مهنته- بيع الكيروسين والفحم- وتخلت عنه فقد، انتهى عهدها وأضحى الناس لا يطلبونها، عاش الرجل العجوز في كنف منصور معززا مكرما لا ينقصه شيء، وكان طول يومه يقضيه في مسجد قريب من بيت منصور يعمل فيه قيماً متطوعاً ويعود بعد صلاة العشاء ليجد الرعاية والترحيب من منصور وزوجته ليلى، التي كانت تعامله كوالدها تعطف عليه وترحب به.

ومرت الأيام، هي الحياة والعمر، أيام تمضي، وأيام تقبل، وما حاضر إلا يوم واحد: اليوم الذي يعيشه الإنسان، أصبحت الأحزان تتناقص كل يوم، والذكرى تبتعد- ذكرى الفقد- ويحل النسيان وكل يوم يزداد، والنسيان نعم من نعمة الله علينا، كالصبر على المصائب

والملمات، ولولا نعمة النسيان لعاش المكلوم في ضنك، ولما استقامت الحياة لكل من فقد عزيزا لديه.

بعد أكثر من شهر ضاق منصور بحياته الراكدة في مكان واحد، وحنّ إلى السفر، لابد له من تغيير المحيط، وتبديل الجو الذي عاشه بعد وفاة نجاة الفاجعة، التي كان لها تأثير كبير على نفسيته المرحة المتعودة على البهجة والسرور، والمعاش الطيب اللذيذ، والانطلاق والانشراح يعانق الحياة ويغترف من متعها وملذاتها معنويا وماديّاً كما تعود من قبل.

طاف عقله بمحطات من أيامه السابقة، برزت له ذكريات جميلة حين غرب مرتين، كانت إحداهما سلبية، والأخرى ثرية بمغامرة سارة هي أولى تجاربه مع المرأة، ثم ذكر جلبهار حين شرق، هو رجل يضيق بوجه الحياة الكالح المجدب، خلق عصفوراً يغرد على أفنان الأشجار في الغابات الضليلة المزهرة، وبين جداول المياه الصافية، لم يألف الأحزان من قبل، والده مات وهو صغير لا يعرفه، وأمه غادرت الدنيا بعد ما بلغت من العمر عتيا، فهي كما يقول الناس: عاشت عمرها وزادت، تأثر لفراقها أياما ثم طواها النسيان.

ذات الليلة كان في حديث مع زوجته، قالت له:

ـ منصور عندما دخلت يوم كنت تعزي والده نجاة، هل لاحظت بين الجالسات واحدة كانت جالسة على يميني، كانت سافرة ومتبرجة كأنها في حفلة عرس .

ـ وذاك موقف ألاحظ فيه أمراة بعينها أو غيرها، سافرة أو متبرجة!

ـ كانت بارزة بين الجميع بخلاعتها وعدم احترامها لمشاعر أهل الميت، كأنها جاءت لغرض آخر غير واجب العزاء.

ـ لابد أن تكون نجوى!

ـ هي بذاتها.

أعرف أنها لا تفوّت هذه الفرصة من جهة. هي شامتة – ولا شماتة في الإسلام – ومن وجهة أخرى..

ـ تبحث عنك... تعرف أنك لن تغيب عن مأتم نجاة رغم طلاقها منك... وأنها لابد أن تراك وتتكلم معك، وأنت لا تقدر أن تغاضبها في مثل هذا الموقف.

هيهات لها ذلك: أو الله لو فعلتها للطمتها لطمة أشد من سابقتها.

ـ هي كادت أن تتبعك عندما خرجت لكنها أحجمت ربما يكون فعلها مفضوحاً أمام النساء، وليس هي فقط كانت أخرى تحدثت معي– وهي لا تعرفني– عنك قالت: يقال أن مطلق نجاة، كان رجلا وسيما جذابا ساحرا تعشقه النساء، يأسرهن بقامته وأناقته وشبابه، وهي – نجاة– انتحرت حسرة عليه.

يا للرجال من النساء! أصبح الأمر معكوسا: المرأة تطارد الرجل.

هكذا كان نصر بن سيار في عصره.

ذاك رجل في عهد ابن الخطاب، دفع الضريبة، نفاه الفاروق خارج المدينة.

وغير هذه التي لا تعرفني أنني زوجتك وغير نجوى كثيرات يتهامس حين دخلت ولا يتكالحن همسا حولك.

- عفانا الله منهن، كما عفانا من نجوى وفلانة.

- ذكرتني... جاءت فلانة ومعها زهرة، حاولن التعرف عليَّ، لم أعطهم وجهاً، لقد حذرتني منهما نجاة- الله يرحمها- أن يعملن لي عملاً.

أعوذ بالله... تلك التي قلت صاحبتها: زهرة الفتانة، عدوتها وليست صاحبتها، وهما كل واحدة أسوأ من الأخرى.

لم يبقى لك يا منصور بعد الآن إلا أن تهرب، ولا تبقى هنا يوما واحدا، وإن كان هذا على حساب ليلى: مسكينة ومظلومة، هذا قدرها... أين يكون المفر يا منصور؟ إلى باولا وميري؟.... لا يليق لم يمض على مفارقتهما أسبوعان، سيكون موقفي مستهجنا، هم في عرفهم لا يتركون الحزن إلا بعد فترة من الزمن، سأهرب إلى وجهة أخرى... إلى جلبهار، وإن كنت انقطعت عنها أكثر من سنتين، لا هي قالت لي: مرحبا بك في كل وقت والبيت بيتك وهي زوجتي بشرع الله، كما في العقد الذي قرره الشيخ عقداً شرعياً كامل الشروط وكنا أردناه زواجا سيارا، فصار غير ما أردنا. في هذه المرة صارح منصور زوجته، قال لها:

ـ أنا في حاجة إلى راحة نفسية وجسدية أيضاً، لذا أنا مسافر وتحديدا إلى مصر لقضاء أيام، ثم أعود لعلى أتخلص من هذا الإرهاق الذي ألمّ بي في هذه الأيام.

ـ وأنا لا أنشد إلا راحتك يا حبيب تذهب وتعوج لي بالسلامة.

ـ سوف لن تطول غيبتي، وأنت أعرفك صابرة، وأصيلة وبنت ناس، تقدري ظرفي وتتجاوزي عن تقصيري في حقك، وأنا ممتن منك وأكبر فيك روح التضحية هذه.

تسافر بالسلامة وترجع، وتجدني أنا ليلى زوجتك الوفية التي لا تنشد إلا راحتك إنشاء الله.

سافر منصور إلى القاهرة، دون خبر منه إلى جلبهار بالقدوم. ومن المطار إلى فيلا جلبهار التى لا تتواجد فيها دائما، هو يعرف ذلك، لكنه يعرف أن القيمة دائماً موجودة باستمرار.

دخل من الباب الكبير وجد البواب، تذكره عم عوضين، تقدمه نحو الفيلا، وجد أم شحاتة، رحبت به تلهج بالثناء عليه وتبارك مقدمه، جلس حين كان يجلس منذ سنتين في الصالون الكبير، سارعت أم شحاتة تخبر جلبهار قائلة لها: عندنا في الفيلا ضيف عزيز لم نره منذ سنتين.

ـ من؟ قالت جلبهار مبهوتة ومر بخاطرها سريعا: منصور ومن يكون الضيف العزيز؟! منصور، قلبي قال هو.

ـ هو يا ستي – منصور أمامي جالسا في الصالون، أنا لا أكذب عيني.

ـ أنا قادمة حالا، مسافة السكة قولي له.

وجاءت جلبهار، وكان العناق الحار الذي لا يزيل شوق سنتين كاملتين غابهما منصور عن جلبهار، وها هو زوج حبيب غاب وعاد بعد طول غياب وكانت الفرحة بالدنيا كما كانت تقول جلبهار، هو زوج شرعي تصرف كما يتصرف الزوج في بيته، ثلاثة أيام حتى رتبت جلبهار ما يلزم لرحلة طويلة استمرت شهرا كاملا مبرمجا بلداً بلداً ويوماً يوماً في كل من الفيوم، وفي غيرها من المدن من شمال البلاد المصرية إلى جنوبها، عاشتها أياماً سعيدة وفي أرقى الفنادق والشاليهات، ذهبت ومنصور إلى سوهاج والمنيا، أسيوط والأقصر، ثم عادا إلى القاهرة ومنها إلى مدن القنال: السويس والإسماعيلية، وبور فؤاد وبور سعيد، ومن هذه إلى المنصورة ودمياط ورشيد وأبو قير والإسكندرية، ومن مدن الدلتا: دمنهور وبنها وطنطا، وأخيراً قد بدأت تباشير الصيف، وذهبا إلى الساحل الشمالي حيث ينتقل أغلب مكان المدن المصرية من الطبقة المتوسطة وما فوقها إلى شقق وشاليهات على طول الساحل، وآخر محطة كانت مطروح في فندق فخم.

ضحي يوم كان منصور يجلس في تراس الجناح يتأمل زرقة البحر، هذا البحر الذي يتوسط أهم أقطار العالم التي سادت فيها حضارات قديمة: الإغريقية والرومانية والفينيقية، والآن أيضاً تعد البلدان الواقعة

عليه من أرقي بلدان العالم تقدما وحضارة عصرية، سرق منصور الخاطر إلى وراءه البحر ،هناك إلى حيث باولا وميري وقد غادرهما منذ أكثر من شهرين، شهر قضاه في بلاده مع زوجته يترتب شؤون الشيخ العجوز زوج نجاة ووالدتها، وشهر آخر وهو ويتجول مع جلبهار في ربوع مصر، وهو سارح مع خياله عَنَّ له أن يهاتف باولا لأول مرة منذ غادر، ردت عليه ميري متلهفة عنه تسأل في انزعاج: أين أنت يا منصور ثلاث مرات أتصلت بك مضطرة على هاتفك في بلادك.

متى كان هذا؟

منذ ثلاثة أيام على التوالي: أمس وقبله واليوم... ردت على امرأة لم تفهمني، بل لم تترك لي فرصة لأشرح لها الأمر كانت تقفل السماعة في كل مرة.

ماذا حدث؟ أحس أنك منزعجة.

ـ جدا منزعجة، وشكراً أنك اتصلت، وعليك أن تأتي حالا.

ـ قلت لك ماذا حدث، وأنت منزعجة جداً، هل ماتت باولا؟

ـ هي في المصحة وأنا لا أفارقها طوال اليوم عليك أن تأتي حالاً يا منصور، هي تسأل عنك في كل حين.

ـ كيف حالتها الآن لعلها بخير.

ـ إنشاء الله بخير، لا تتأخر من فضلك.

ـ عندما لما أجد رحلة قاصدة روما، طمئنيها أني قادم ما اسم المصحة؟

ـ مصحة الشفاء.

يغادر منصور الفندق على عجل بعد أن أخبر جلبهار بضرورة سفره إلى إيطاليا من أجل قريب له جيء به إلى هناك في علاج مستعجل، قصد وإياها الإسكندرية، من هناك وجد رحلة إلى إيطاليا في اليوم التالي، وصل إلى مدينة باولا في الشمال، حيث كانت ترقد في المصحة في غرفة العناية الفائقة.

دخل منصور على باولا فوجدها ترقد تحت أجهزة متعددة بعضها للتنفس، وبعضها للتغذية، وأخرى تساعد القلب على أداء وظيفته، وجهها شاحب وعيناها غائرتان وجسمها ظاهر من تحت الغطاء وقد أصابه هزال شديد ملأت منه عينها- بعد أن أشعرتها ميري بحضور منصور، وكانت مغمضتين، أغمضتهما، ودخلت في غيبوبة مدّة نصف ساعة تقريبا

سأل منصور ميري، هل ستفيق مرة أخرى؟

ـ نعم... هي بين استفاقة وإغماء منذ ليلة البارحة.

ـ وماذا قال الطبيب؟

ـ قال ستعيش إذا تدخلت العناية الإلهية.

صمت برهة ثم قال: هل أنت مرافقة لها دائما.

نعم منذ دخلت المصحة وأنا لا أفارقها، وهذا سريري بجانبها ولها ممرضة خاصة لا تغيب إلا للضرورة.

ـ على أن أطلب سريراً أخر لأكون معكما دائماً.

ـ هذا ما يجب، هي عندما تفيق ستجدك أمامها، وهذا ما يرفع من معنوياتها ويفرحها كثيراً.

ـ ستكون معنا أنا وأنت في شقتها وقد بارحها السقم عن قريب إنشاء الله.

ربنا يسمع منك ويحقق لنا هذا الفأل الحسن.

يدخل في هذه الأثناء الطبيب المشرف على علاجها، يجري بعض التشخيصات، يراقب الأجهزة ويحلل نتائجها، يأمر بإدخالها (الكوما) وفورا.

يسقط في يد منصور وميري... لقد دخلت باولا في مرحلة الخطر وأصبح الأمل ضئيلا في شفائها، ضلا معها يومين كاملين، لا طعام ولا نوم تقريبا إلا ما يسد الرمق من الطعام وإغفاءات متقطعة بالنسبة لميري ومنصور. حضر الأجل في اليوم الثالث من دخول باولا الكوما صباحا كانت ميري عند رأسها يقابلها من الجهة الأخرى منصور حين انقطع النفس الأخير، انهمرت دموع ميري ولم تملك نفسها من احتضان منصور وضلت تشهق بالعبرات، لم يمسك هو نفسه وذرف الدمع في صمت فامتزجت دموع الصديقة بدموع الرضى، كان الموقف مؤثراً جدّاً، حتى إن الممرضة، وهي المتعودة على احتضار المرضى كل يوم، لم تتمالك نفسها ونشجت بالبكاء، جاء الطبيب كتب تقرير الوفاة وخرج تسلم باطن

الأرض جسد باولا الطاهر وهي مسلمة مؤمنة بقضاء الله وقدره، انهال من فوقها التراب وتحتها التراب، ودعت أهل الحياة وانضمت إلى الأموات.

بعد مراسم الدفن، غادرت ميري ومنصور من المقبرة إلى شقة باولا لاستقبال المعزين، كان منصور ينام في غرفة وميري في غرفة أخرى ومعهما خادمة باولا تنام في غرفة، ضلوا جميعاً لا يبرحون المكان إلى أن انقطع سيل المعزين وكانوا كثرة من معارف باولا والعاملين معها في متاجرها وشركاتها موظفون ومستخدمون، بعد شهر من الزمان أخبر منصور ميري: أنه يزمع العودة إلى بلاده، ثم سألها ماذا هي فاعلة.

قالت: سأنتظر حتى تعود.

ـ وماذا عن أخبار جون؟

ـ أخبرني أمس أنه في ساحل العاج.

ـ ماذا يعمل في ساحل العاج.

ـ له في كل عاصمة أو مرفأ للسفن عمل يتعلق بشركائه أو بأسطوله البحري.

ـ هذا الرجل لم يهدأ عن العمل أبدا حتى في هذه السن؟!

ـ هكذا هو دائما يلاحق العمل أينما يكون ويحقق النجاح تلو النجاح.

ـ وماذا بعد؟ من أجل جمع المزيد من المال! وماذا فعل المال لباولا؟ تركته ربما لمن لا يستحقه.

ـ نسيت أن أخبرك أنها تركت لك رسالة قبل أن تدخل المصحة، وأمرتني أن أسلمها لك بعد وفاتها، كأنها كانت تشعر بقرب النهاية.

ـ مسكينة باولا رحمها الله... أرجو ألا يكون فيها وصية لي بمال.

لا أعلم، هاتها أنظر فيها.

قرأ منصور الرسالة، وجد فيها: باولا توصي بكل أموالها السائلة في البنوك، والأسهم في الشركات وما تملك من منقول وغير منقول. إلى منصور، وكل يثبت ذلك عند محاميها.

طلبت منه في آخر الرسالة أن يتولى إدارة أعمالها وأن يقيم في شقتها ويذكرها ويسامحها بعد أن أكمل قراءة الرسالة وميري حاضرة تسمع قال:

ـ وماذا أعمل بهذه الأموال الطائلة والعقارات؟ هل آخذ منها شيئاً حينما أغادر الدنيا؟ وهي نفسها لم تأخذ شيئاً حين غادرت؟ سأنفذ وصيتها كما طلبت فلا أكسر بخاطرها وهي في العالم الآخر... لكني سأتصرف في هذه الأموال في وجوه الخير ونفع الناس، وسأقيم في الشقة تحقيقا لرغبتها ما دمت في إيطاليا... هناك وصية أخرى لم أقرأها... لعلك تطلعين عليها، ولا شك أنك تعرفينها، لابد أن باولا حدثتك فيها عديد المرات.

أعرفها... وهات أقرأها عليك ما دامت مكتوبة تقرأ ميري الجزء

الذي لم يقرأه منصور بصوت مسموع.

وصيتي الأول التي أطمع أن تحققها لي لتقر عيني في قبري هي الآتي: تزوج ميري يا منصور ليطمئن قلبي وقلبها، إنها الوفية المخلصة لي ولك والسلام.

نظر منصور في وجه ميري وجدها تنظر إلى الأرض والدمع يسيل على خديها كفّفه بيده. وأخذ يدها بين راحتيه ثم انحنى يقبل يدها وجلس لا يتكلم، نهضت ميري فكفت دموعها ثم عادت وجلست قبالة منصور.

سأحقق كل وصايا باولا، إلا المال فهو عبء ثقيل قال منصور.

- ما دمت ستنفقه في وجوه الخير، فهو الأجر لك ولها قالت: ميري.

- سأفعل إنشاء الله وستكونين الشاهدة يا ميري.

في اليوم التالي، أخبرت ميري منصور بقدوم زوجها جون إلى وطنه الأول اليونان، وأنه كما أخبرها: اشترى جزيرة صغيرة في الأرخبيل، وبها قصر كبير، سيقضي فيها بقية حياته وقد تجاوز التسعين، وعليها أن تلحق به إن أرادت.

قال منصور: هي الطيور المهاجرة تعود إلى وكرها الأول دائماً كما نرى نحن في أفريقيا تأتي إلينا من الشمال تقطع البحر يصل منها ما يصل إلى الدفء تقضي شهور الصقيع ثم تعود، بعضها يسقط في البحر وبعضها

يصل إلى حيث رأت عيونها النور، وهكذا البشر غالباً ما يحن إلى مرابع الصبا. ضلت ميري مترددة بين أن تزور زوجها في جزيرة حلمه وبين أن تضل مع منصور الذي وعدها بتنفيذ وصية باولا وهذا حلمها- زوجها ترك لها الخيار أن تأتي أو لا تأتي قال- إذا أردت - وهي تريد أن تحقق حلمها كما حقق هو أحلامه: جمعه للأموال الطائلة وأخيراً استقر في وطنه: قصر كبير في جزيرة هي ملكه الخاص. أما حلمها هي: فهو أن تتحقق أمنيتها بزواجها من منصور، وها هو يوافق أخيراً بعد أن تردد كثيراً في حياة باولا، وماطل في الموافقة إلى أن وعدها - باولا- أن لا يكون اقترانه، بميري ألا عندما تغادر وهما على مائدة إفطار الصباح قال منصور:

ـ كنت قد قلت لك إنني مسافر إلى بلادي، وسألتك ماذا أنت فاعلة.

ـ وقلت: سأنتظرك.

ـ وزوجك طلب منك أن تكونى معه في جزيرة أحلامه.

ـ وترك لي الخيار.. أضافت هو يحقق حلمه.

ـ وأنت ألم تحققي حلمك بعد؟

ـ ما زلت أنتظرك.

ـ وأنا أردت أن أتأكد.

يا حبيب أبعد هذا الوقت الطويل؟!... أليست أنا التي تكابد الهوى منذ سنتين؟! منذ رأيتك لأول مرة وأنت وباولا في شهر العسل،

في بيرن إن مازلت تذكر؟

ـ كان ذلك عندما وجدتكما في حَمام الشمس قرب المسبح.

ـ حينما نقرت على البلور وأنت واقف تحنى قامتك الفارعة، وقتئذ نقرت على باب قلبي.

ـ وماذا كان حين جلسنا أنا وأنت وباولا نحتسي الشاي؟

ـ وقتها كنت أتملأك حتى فضت، وعند مغادرتكما وانفردت بنفسي وجدتك في قلبي، ملكت كياني كله، تفجرت في عاطفة لم آلفها من قبل، مدّت كياني كله، تفجرت فيّ عاطفة لم ألفها من قبل، كدت أن أعود إليكما وأقتحم خلوتكما في جناحكم الخاص، كانت مشاعري وأحاسيسي تدغدغها أنت بسحرك وجاذبيتك، سألت نفسي ما هذا الذي طرأ علي؟ أهو الحب!! في لحظة وبهذه السرعة؟! أصبحت قلقة لا أعرف كيف أتصرف، أدمنت صحبتكما حينما وحدت من باولا الترحيب والتشجيع، ومن يومها وعلى مدى سنتين حتى الآن وأنا هائمة في هواك، ولا أراك إلا عالما بحالي.

وما أنا لا مثلك، أكابد الهوى، لكن كانت بيننا باولا، وهي الوفية المخلصة، كنت أخاف على مشاعرها الرقيقة.

نعم... ورغم أنها تعرف ما بيننا من هوي، كنت أنت غير قادر على الإقدام، ولا أنا قادرة، كانت هي التي تشجعنا على الاقتراب

بطرقها المواربة دون أن تفصح، وأخيراً فاحتنى بمرضها وطلبت منى أن أتزوجك... رفضت احتراما لمشاعرها وشفقة عليها، ثم قالت لي عن كل شيء، مرضها وأمنيتها أن تتزوجني، وأنت رفضت أيضاً، وبعد إلحاح قلت لها، لن يكون هذا الزواج في حياتك، أليس هذا الذي كان.

ـ نعم... والآن زالت الأسباب، وعليَّ أن أفي بوعدي لأحقق لها أمنيتها لعلها ترتاح وهي في قبرها إنما أنت متزوجة يا ميري.

ـ وأنت متزوج يا حبيب.

ـ من أنبأك؟!

هو الحدس- لقد ردت على امرأة قدرت أنها شابة في عمري أو حتى أصغر، فمن تكون ألم تكن زوجتك؟

نعم هي زوجتي... وأنا كذبت على باولا من قبل حين كنت متزوجاً من زوجتي التي ماتت، والآن لا أريد الكذب مرة ثانية.

ـ المانع عندي أنا.... أمّا أنت فلك أن تتزوج أكثر من واحدة كما علمت من باولا... دينك يسمح لك بذلك، وأنا لا أمانع أن تكون لي شريكة فيك، إن زالت الأسباب عندي.

ـ لنترك الأيام تفعل ما تشاء.

ـ عسي أن يكون فرجاً قريبا، نحن لا ندري الأيام بما هي آتية.

ضل منصور أسبوعا آخر يرتب بعض الشؤون المتعلقة بأعمال باولا

التجارية والعقارية، وأخرى إجراءات رسمية مع المحامي، في الأثناء جاءت برقية عاجلة إلى ميري تخبرها بوفاة زوجها جون، سافرت على أثرها مستعجلة إلى اليونان، وسافر منصور إلى بلاده.

عوارض كثيرة ضلت واقفة بالمرصاد تمنع ذلك المشروع الذي فكرت فيه باولا، وأرادت أن يتحقق وهي على قيد الحياة- زواج منصور من ميري – لكن شهامة كل من منصور وعزة نفسه وإخلاصه، ومروءة ميري واحترامها لمشاعر صديقتها التي احتضنتها بودها منذ البداية، وتلك الصداقة البريئة التي نشأت بينهما، أبت تلك الأخلاقيات من طرف ميري ومنصور أن يتم ذلك الزواج في حياتها، رغم ما بينهما من عشق متبادل.

والآن وهما في حيرة من أمرهما، وقد بلغ بهما الهوى مبلغه: يتذكر منصور أن ميري في ذمة رجل آخر، وكان يعرف ذلك من قبل، وينتظر ما تجد به الظروف، وميري تعلم أن منصور متزوج باعترافه، لكن لا يشكل لها زواجه عائقا بالنسبة لها فهي واقعية وراضية بالشراكة كما قالت له.

يعود منصور بعد شهر أو يزيد ويشرع في ممارسة عمله كمدير لأعمال باولا فهو حتى ذلك الوقت لم يقتنع بأن تلك الأموال الطائلة والعقارات التي آلت عليه بحكم الوصية وأنه الوارث الوحيد لزوجته باولا، هي من حقه وله أن يتصرف فيها على أي وجه يراه، وقرر بينه وبين نفسه أن يأخذ راتبا شهرياً كرواتب الآخرين من المدراء في البلاد.

بعد يوم واحد جاءت ميري وكأنهما على موعد، كان اللقاء حارا

بينهما رغم ما خالطه من عبارات التعازي من منصور، دائما في شقة باولا التي قرر منصور إن تكون إقامته الدائمة ومعهما الخادمة.

قصت ميري على منصور كيف مات زوجها، قالت: كان جون وهو رجل تجاوز التسعين، كان يسبح كل يوم صباحاً في حوض السباحة في القصر في تلك الجزيرة التي اشتراها وكان تحت رقابة عامل حوض السباحة، وإذا بجون يغطس ثم يطفو ثم يغطس، بعدها وضل طافيا فوق الماء لا حراك ولا نفس، جاءت النجدة من عمال القصر، ثم الطبيب والتحقيق، كتب الطبيب شهادة الوفاة وانتهى الأمر. قالت: منحها أموالا طائلة على سبيل الوصية وأموالا أخرى تعد بالملايين آلت إليها عن حصتها في الورث وبقية الأموال، وزعت بين أبناء أخيه الثلاثة وبنات أخته اثنتان، فأصبح كل منهم من الأغنياء بين يوم وليلة، أما الجزيرة والقصر فقد كتبها جون باسمها.

ومن قبل كانت قد اشترت الفيلا الكبيرة على ضفاف بحيرة كومو وسجلتها باسمها بطلب من جون، وتملك حسابات في بنوك سويسرا وفرنسا، وأمريكا في سان فرنسسكو.

قال منصور:

وماذا نصنع أنا وأنت بهذه الأموال؟ وهل نفعت باولا وجون من قبلنا؟!

عجيبة هذه الحياة، لا تكتمل لأحد، وكما قال شاعر قديم (لكل أمر إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان).

هذه الدنيا تغدق على الإنسان من جهة وتحرمه من جهة أخرى كما رأيت: لا ولد لجون يرثه ويحمل اسمه من بعده. ولا باولا نفعها المال وتركت كل شيء وراءها.

لعلنا أنا وأنت يا حبيب ننجب ونترك لهم كل هذه الأموال بعد عمر طويل.

وما على الله بعزيز لكن وسكت...

احترمت ميري سكوته- خطر ببالها أنه ربما عدل رأيه في الزواج بها- غيرت الحديث قالت ألا نذهب غداً يا حبيب إلى الفيلا لتتفرج عليها بعد أن تمت الإصلاحات؟

ـ سنذهب بعد دوام العمل، فأنا أصبحت موظفاً بدرجة مدير عام لأعمال المرحومة باولا تنفيذا لوصيتها.

ـ وهل أوصتك وصية واحدة؟؟

ـ تلك وصية أحرس عليها من جانبي أشد الحرس.

أما زلت تريد أن تتأكد من ذلك ؟!

لماذا يا حبيب أتريدان تتأكد من حبي لك بعد؟! وأنت تراني ازداد كل يوم شغفاً وهياما بك، ولو لم أكن متأكدة من حبك لي، لما ترخّصت

وعرضت نفسي عليك أو أنت تكابر؟! ليس في الحب مكابرة يا حبيبي، ولا يخفي نفسه والحب سلطان قاهر إرادتي وإرادتك.

ما قلته كله صحيحا، وأنا متلهف عليك أكثر، لكن هناك أمر لابّد أن أبوح لك به وأحجم خوفا أن تضيعي مني، بعد أن تعلميه.

أنا أضيع منك؟! مستحيل أن يحدث هذا، أنت أغلى شيء عندي في الوجود، أنت عمري وحياتي، وماذا بعد العمر والحياة، قل يا حبيبي ما في خاطرك، ليس من سبب يفرقنا، هذا يقين عندي، وأرجو أن يكون يقينا عندك.

أقولها الآن وبصريح العبارة، وأرجو إلا تؤذيك وتغيِّر من قناعتك فأخبرك أني...

- قلها ولن يزحزحني شيء عن حبك ولن تخسر أبداً.

- أنا يا ميري، يا حبيبتي: لا أنجب.

- أهذا الذي كنت تتهيب أن تقوله؟!

- نعم وليس بالشيء الهين، أن تحرم المرأة من أمومتها.

المرأة عندما تحب رجلاً يضل هو كل شيء في حياتها: زوجها وأبوها وأخوها وولدها، ولا تفكر في سواه... هذا الذي يشكل عندك هاجساً وتحجم أن تقوله لي، لا يزعجني أبداً وهو قدر مكتوب على بعض الناس، كمن أصيبوا ببعض العاهات الجسدية، أو الأمراض...

أنسيت مرض باولا الذي داهمها وفي عز شبابها وغادرت بسببه الدينا، وتركت وراءها كل شيء؟!

وهذا هاجس أخر يقلقني... من يرث هذه الأموال الطائلة التي تركتها باولا وسأتركها أنا وأنت من بعدنا؟!

وأذكر ذات يوم قلت لي: سنتزوج وننجب أولادا ونترك لهم هذه الأموال بعد عمر طويل، قلتها بالحرف الواحد ولازلت اذكرها.

هذه أمنية يتمناها ويفكر فيها كل زوج وزوجة حينما يضمهما بيت واحد، هي نزعة في الإنسان، لكن ليس كل ما يتمنى المرء يدركه.

- ألا يزعجك ما قلته لك.

- أبداً لا يزعجني يا حبيب، أنا قدرية، أرضى بحكم القدر.

- ولا تزعجك شريكتك زوجتي ليلي؟!

- قلت لك من قبل هي: من حقك، وأنت تقسم بيننا شهراً عندها وشهرا عندي، لا تزعجني أبداً وإن طاب لها العيش معنا فأنا مرحبة بها، كما رحبت باولا من قبل بي حين رغبت أن تتزوجني وهي على قيد الحياة.

- أخاف عليك من الوحدة عندما أكون في بلادي.

- لا تخاف على من شيء، أنالي صديق يعلمني ولا يكلمني أجده حين أطلبه، لا يدخن ولا يشرب قهوة، ولا يكلفني أي نوع من الخدمات، هو في بيتي دائماً أنام أنا في فراشي، وهو بين إخوة له في الرفوف، قالوا

عنه: خير جليس في الزمان، فلا تقلق من هذه الناحية.

سأجدك بعد وقت، ذات باع في الأدب، أو من كاتبات الرواية الشهيرات.

ربما لكني أعشق الرواية.

وهذا ما أغلبه أنا فيك على أصناف الأدب الأخرى، لخيالك الواسع وذاكرتك الحافظة.

هو ما قلت: كاتب الرواية لابد أن يكون صاحب ذاكرة حافظة، وخيال واسع، وحصيلة كبيرة من مفردات اللغة وتراكيبها اللفظية مع رشاقة الأسلوب وسلامة التعبير، وأرجو أن أتمكن من ذلك بعد طول القراءة، وكما تعلم هي هوايتي المفضلة.

إذا حسم الأمر، الآن طابت نفسي، وزال هاجس كان يقلقني، وكنت أوخر رجلا واقدم أخرى وأخاف أن أصارحك فاخسرك.

ـ أنت الرابح دائما ولن تخسرني أبداً... متى تفرغ من عملك اليوم.

ـ على الساعة الخامسة أكون في حل من العمل بعد أن أرتب من يقوم مقامي حتى نهاية الدوام.

ـ وأنا سأصحب معي مجموعة من النظافات مع كبيرتهم المشرفة على ترتيب الأجنحة، من أحد الفنادق الكبيرة ونخرج من المدينة إلى الفيلا لنتفقدها ونرتب ما يجب، تزينها ونعلق الأضواء ونهيئ كل شيء

فيها. وعلى الساعة الخامسة نلتقي هناك فى قصرنا الجميل، وهذه الليلة لسنا في حاجة إلى الخادمة لتبقى هنا. وكل الطعام والشراب سيحضر لنا من فندق قريب.

على الساعة الخامسة كانت ميري تنتظر منصور، جاء في الموعد وانطلقت بهما السيارة إلى الفيلا على ضفاف البحيرة وكانت الليلة الأولى.

ضل منصور وميري شهراً كاملاً في رغد من العيش، وراحة نفس وطيب خاطر، عروسان يتنقلان بين الفيلا الفخمة، فيلة ميري، والشقة العصرية الأنيقة، شقة باولا، وأحيانا يخرجان إلى مدينة مجاورة يقضيان عطلة نهاية الأسبوع في أحد الفنادق الراقية، وقد وضعا برنامجا لقضاء شهر العسل في نهاية الصيف بين تركيا واليونان، للتفرج على أثار العثمانيين والإغريق ثم يعرجان على القصر في تلك الجزيرة الخاصة التي اشتراها جون وكتبها باسمها، بعد أن عاش فيها أيامه الأخيرة ثم مات غرقا في حوض السباحة، هكذا هي الحياة، أو القدر يختار النهاية لكل حي.

في ذلك الشهر الأول، شهر ميري عندما يجد منصور فرصة من فراغ، يجلس وإياها يخططان في كيفية توزيع تلك الثروة الهائلة، التي تركتها باولا عل أوجه الخير.

كان يملي على ميري وهي تكتب: حصة من مال سيبعث بها منصور إلى مأوي للعجزة والمسنين، بكامل المرافق والعاملين والموظفين، قال: سيكون مكانه (بنقلاديش).

أو الهند وفيها خلق كثير وفقر وإهمال، قالت ميري.

أو الهند، كما قلت، المهم وجه من وجوه الخير في خدمة الإنسان أضاف حصة أخرى سننشئ بها مركزاً للأبحاث والأورام السرطانية وهذا سيكون هنا في مدينة باولا حيث يوجد العلماء والمختصون والمختبرات والمعامل.

ـ وهذا عين الصواب ونعم ما تفعل.

أما ملجأ للأيتام والمشردين فسيكون في مالي أو الصومال.

ـ ونعم ما تفعل، في أي مكان من أفريقيا المتخلفة تجد أيتاما ومشردين: النيجر مثلا وتشاد وحتى نيجيريا- شمالها- رغم أنها من أغنى الدول بمواردها النفطية.

هذا ما استقر عليه الرأي الآن، وسنرى أوجها أخرى لخير المستحقين والمحرومين في أي بلد من العالم، أموال باولا وفيرة وكل يوم تدر عليها مشاريعها أرباحا تضاف إلى رصيدها، أما أنا فقد عاهدت نفسي على ألا أصرف من مالها شيئاً على نفس، فمرتبي كمستخدم بدرجة مدير عام يكفينا أنا وأنت لمعاشنا.

أنا وأنت؟! أنسبت مالي من المال هو أضعاف مضاعفة لمال باولا... ماذا أنا فاعلة به.

ما تشاءين.... أما معاشك فهو عليّ أنا الزوج، أنا كفيل به، وأنت

زوجتي ومن حقك أن أصرف عليك من مالي الخاص.

تضحك ميري وتقول: مالي هو مالك افعل به ما تشاء، وأنا زوجتك لن أعصى لك أمرا.

سنوزعه كما وزعنا مال باولا، على وجوه الخير لصالح المعوزين.

ولنا في باولا وجون عبرة، هو المآل طال الزمان أو قصر.

لمن يعتبر، وأنا وأنت إنشاء الله من المعتبرين ولله المصير.

ونعم بالله، وكل شيء من فضله، سبحانه ذو الفضل العظيم.

أكمل منصور الشهر مع ميري في سعادة لا توصف ملؤها الحب والود والانسجام والتفاهم، وهو غافل ذات صباح قالت له ميري: اليوم أكملت شهري راضية مرضية، ولن أجور على حصة غيري، وغدا تسافر بإذن الله إلى ليلى الصابرة كما سميتها، حتى لا تنقص من حصتي القادمة.

- لم أنس، لكنها جاءت منك أكرم وأفضل، وأنت الكريمة الفاضلة، وفي الصباح مسافر إلى ليلي، وذكر المثلث ذا والأبعاد الثلاثة زاوية منه:

ميري- ليلي- جلبهار-

جرجيس زتونش 17/ 12/ 2015